معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي
Palestine Institute For National Security Research

2023

مجلة فلسطين لأبحاث الأمن القومي

محتويات العدد الخامس (04) نيسان /إبريل

المحتويات

01 التعريف والرؤية

02 الأهداف

03 قواعد التوثيق

04 هيئات المجلة

05 الأبحاث والدراسات

التعريف والرؤية

مجلة فلسطين لأبحاث الأمن القومي هي مجلة اليكترونية دورية فصلية، علمية محكمة تصدر عن معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي كل أربعة شهور، تعنى بنشر أبحاث ودراسات ومقالات وأوراق تحليلية علمية ذات طابع استراتيجي في المسائل المتقاطعة مع الأمن القومي بأبعاده المتعددة السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، العسكرية، الأمنية، البيئية، والسيبرالية، مستندة إلى معايير نشر علمية بمشاركة كتاب وباحثين من فلسطين وخارجها. وتعمل المجلة في إطار خطة معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي لتحقيق مكانة مرموقة بين المجلات العلمية المحكمة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي.

الأهداف

١. القاء الضوء على القضايا المهمة ذات العلاقة بالأمن القومي الفلسطيني والعربي والإقليمي والدولي، بشكل علمي ورصين.
٢. تسليط الضوء على القضايا الاستراتيجية الآنية وبعيدة المدى في مجالات اهتمام معهد فلسطين لأبحاث الأمن القومي.
٣. دعم صنع القرار الفلسطيني واستشراف القضايا المستقبلية ذات الصلة بالأمن القومي الفلسطيني.
٤. نشر انتاجات باحثي المعهد والمشاركين في أنشطته، وتعزيز المكانة العلمية والبحثية والإعلامية للمعهد.
٥. تشجيع وإثراء حركة البحث العلمي في فلسطين، والاسهام في نهضة مجتمع البحث العلمي الفلسطيني.

قواعد توثيق المصادر والمراجع

لمجلة فلسطين لأبحاث الأمن القومي

تعتمد مجلة فلسطين لابحاث الأمن القومي **نظام APA 6 العالمي** لتوثيق المراجع داخل المتن وفي قائمة المراجع، ويكون في نهاية البحث، قائمة المراجع التي تعد جزء لا يتجزأ منه.

وبحسب القواعد الآتية:

١. المرجع القرآن الكريم: إذا كان القرآن الكريم أحد المراجع يوضع في صدر القائمة دون الالتزام بأي قاعدة أخرى.

٢. يكتفى بذكر اسم السورة ورقم الآية بين قوسين (البقرة:١٠١)، وأن تكتب الآية بخط المصحف العثماني ويوضع بعدها التوثيق (البقرة: ١٠١).

٣. توثيق الأحاديث النبوية الشريفة: يشار إليه في المتن كالتالي: [اسم الكتاب رقم الجزء / رقم الصفحة: رقم الحديث إن وجد]، مثال:[صحيح البخاري ٨ / ٧٠٢:٧٧.]

٤. التباعد في الأسطر بين المراجع مفردا.

٥. تكتب قائمة مراجع البحث في جزأين تحت عنوانين: الأول المراجع العربية، والثاني المراجع الأجنبية. تضم القائمة جميع المراجع (العربية والأجنبية) التي استخدمت في متن البحث دون زيادة أو نقصان.

٦. يجري ترتيب المراجع في جزئي القائمة هجائيا، (أ، ب، ت، ث، ...) بحسب اسم عائلة المؤلف دون ترقيم أو شرطات، وإذا جاء المرجع في سطرين تأتي بداية السطر الثاني بعيدا عن بداية الأول بمسافة كلمة.

٧. مراعاة تطابق المراجع في القائمة مع ما استخدم منها في متن الورقة العلمية.

٨. إذا كان اسم العائلة يبدأ بأل التعريف مثل (السلمان، أو الخطيب) تهمل أل التعريف، ويجرى توثيق العائلة في المرجع الأول تحت الحرف (س)، والثاني تحت الحرف (خ).

٩. تعامل الأسماء المركبة لعائلة المؤلف أو المؤلفين وكأنها اسم واحد عند ترتيب التسلسل الهجائي للمراجع.

١٠. في قائمة المراجع، عندما يكون هناك أكثر من مرجع لنفس المؤلف وسنوات النشر مختلفة ترتب المراجع وفقا لتاريخ النشر من الأحدث الى الأقدم.

١١. في قائمة المراجع، عندما يكون هناك أكثر من مرجع لنفس المؤلف وسنوات النشر متشابهة ترتب المراجع وفق الحرف الهجائي الذي اضيف لعام النشر داخل المتن. مثل أ٢٠٠٨ يوضع في القائمة أولا ومن ثم ب ٢٠٠٨.

١٢. في قائمة المراجع، في حال وجود مؤلفين مشاركين: ترتب المراجع الفردية للمؤلف أولا، ثم تليها المراجع المشتركة مرتبة هجائيا وفقا لألقاب المؤلفين المشاركين.

١٣. في حال وجود أعمال عدة لمؤلف واحد فإن توثيق هذه الأعمال المنفردة تسبق توثيق الأعمال المشتركة.

هيئات المجلة

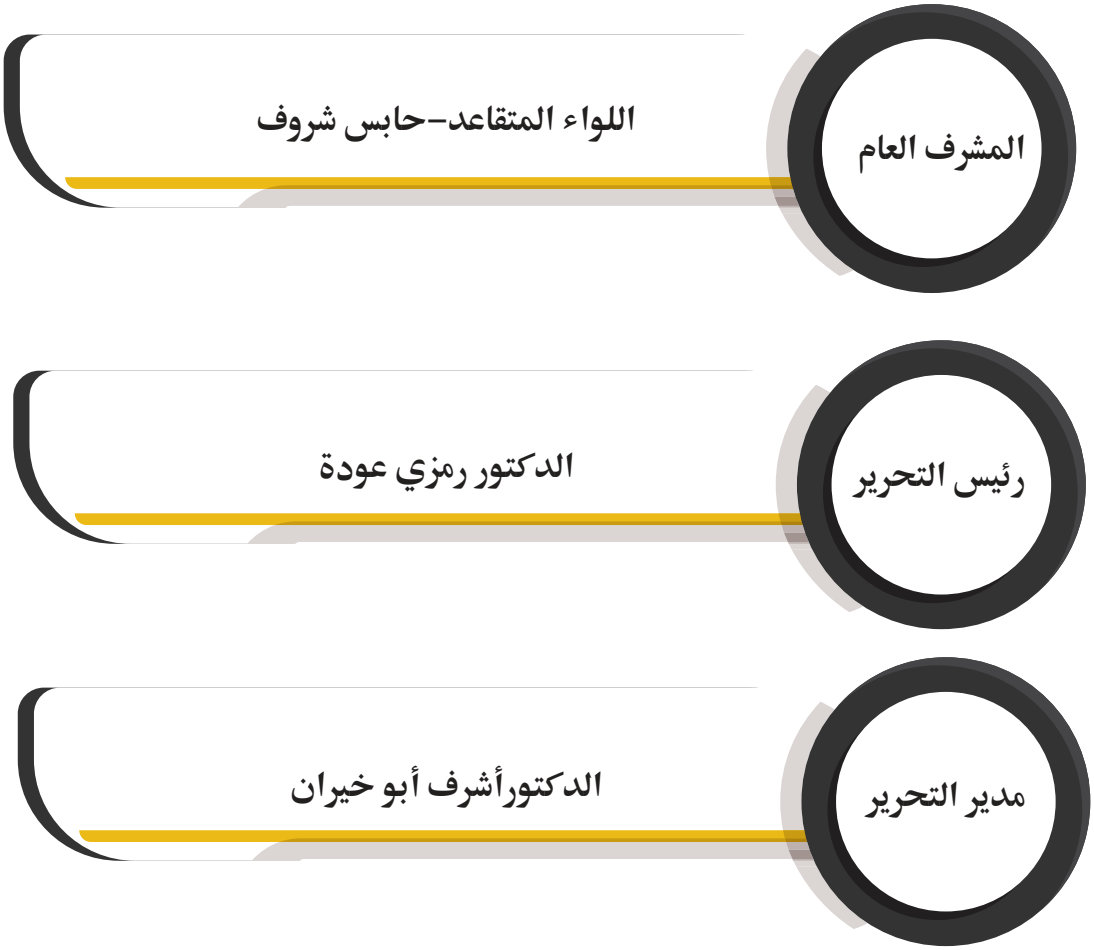

أعضاء هيئة التحرير

- دكتور أحمد نزال
- دكتور عبد الرحيم الشوبكي
- دكتور حسين رداد
- دكتور إياد بندر

الهيئة الإستشارية العلمية للمجلة حسب الترتيب الهجائي

أ.د إبراهيم أبراش

أ.د أحمد نسيم برقاوي

أ.د إياد برغوثي

أ.د جمال زهران

أ.د حسن نافعة

أ.د حسني عوض

د.حسين رامي

د.رائد المالكي

د. عبد الرحمن الحاج إبراهيم

د.عبير ثابت

د. فادي أبو سيدو

د. فادي نحاس

د.لور أبو خليل

د.ليلى شمس الدين

د.محمد جبريني

د. محمد فرحات

أ.د محمد فهاد الشلالدة

أ.د محمود الجعفري

د.معتز قفيشة

د.نظام صلاحات

د.نظام عساف

أ.د نعمان عمرو

د.وليد سالم

هاجر جبلديش

دراسات

20-8 تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية - دكتور منجد سلامة

34-21 سيمائيات الصورة في الخطاب السياسي من خلال شعار حركة حماس نموذجاً - الباحث جعفر كنس

49-35 التسامح الديني ركيزة أساسية للأمن القومي - الباحث راسم بشارات

65-50 قراءة تحليلة في دراسات الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط- دكتور عزيز محمود العصا

87-66 دراسة أثر العامل الديني على الاستيطان وسلوك المستوطن في الضفة الغربية- الباحث معتصم الكيلاني

101-88 دراسة مصر الجديدة و إنعكاسات ثورة يناير 2011 على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي -الباحث حسام نمر عبيدالله

محتويات العدد الخامس (04) نيسان /إبريل

تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية

Evaluation of the e-learning experience in Palestinian universities during the Corona pandemic, according to the quality standards of the Jordanian Higher Education Accreditation Commission

دكتور منجد سلامة

رام الله - فلسطين

تاريخ الإستلام 24-8-2022 تاريخ القبول 26-12-2022 تاريخ النشر 30-4-2023

الملخص:

هدفت الدراسة التعرف إلى تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا «في ضوء بعض معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية» من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وتمثلت عينة الدراسة (٢٧٠) فرداً، وقام الباحث بتطوير استبانة مكونة من (٤٠) فقرة كأداة لجمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة، وبعد إعداد أدوات الدراسة تم التحقق من صدقها بعرضها على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التعليم الإلكتروني وأساليب التدريس والمناهج، وبعد توزيع الاستبانة على عينة الدراسة، توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها أنَّ تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا «في ضوء بعض معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية» من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بشكل عام كانت مرتفعة، بمتوسط (٤,٠)، وانحراف معياري (٥١٥,٠)، وقد تبين عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٥٠,٠ ≥ ⍺) فأقل في المتوسّطات الحسّابية لمستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغير الجنس، والكلية، والجامعة التي تنتمي إليها، وبناء على ما تم الوصول إليه من نتائج أوصت الدراسة بالعديد من التوصيات كان أهمها اعتماد معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية في الجامعات، وتشجيع الجامعات على تبني التعلم الإلكتروني، والعمل على حوسبة المواد التعليمية إلكترونياً وتبادل المواد المحوسبة من قبل مدرسين مختلفين في محاولة للاستفادة من الخبرات وتسهيلاً لمهمة عدم تكرار حوسبة المادة الواحدة من قبل كافة المدرسين.

Abstract

The purpose of the study is to evaluate the learning experience in Palestinian universities during the corona virus university course "in the light of some quality standards of the Jordanian Higher Education Authority" from the point of view of faculty members. Descriptive analytical approach was used, sample of the study consisted of (270) individuals. A stage of (40) paragraphs as a tool for collecting data related to the subject of the study, and after preparing the study, its validity was verified by presenting it to a group of arbitrators with expertise and specialization in the field of e-learning, students and curricula, the field of education. The study result that, the most important of which is that evaluating the e-learning experience in Palestinian universities during the Corona pandemic "in the light of some quality standards of the Jordanian Higher Education Accreditation Commission" from the point of view of faculty members in general was high, with an average of (0.4) and a standard deviation of (0.4). 515.0), there were no statistically significant differences at the function level (05.0 (= α > less) in the arithmetic means of the level of e-learning experience in Palestinian universities during the Corona pandemic according to the quality standards of the Jordanian Higher Education Institutions Accreditation Commission, according to the gender College, universities variable. the study recommended Adopting the quality standards of the Jordanian Higher Education Accreditation Commission in universities, encouraging universities to adopt e-learning, and employing it in teaching.

مقدمة:

يشهد العالم ثورة حقيقية في مجال التكنولوجيا الحديثة وخصوصاً على صعيد المعلومات والاتصالات، وانطلاقاً من أهمية الدور الحيوي الذي يلعبه التعليم في التنمية البشرية، ومع توجهات العصر الحديث والذي من أبرز مميزاته: التقدم العلمي والتطور السريع وثورة المعلومات الهائلة التي تزداد كل لحظة، كان لزاماً علينا إعادة النظر في أنماط التعليم التقليدية السائدة لمواجهة متطلبات القرن الحادي والعشرين.

وقد حولت ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات العالم اليوم إلى قرية إلكترونية صغيرة تتلاشى فيها الحواجز الزمنية والمكانية إذ تلاشت المسافات، وتطايرت الحواجز السياسية الثقافية، ولا شك في أن هذا التغير قد فرض على المؤسسات التربوية أن تقدم حلولاً للاستفادة من التطور في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتوظيفها في النسيج التربوي بما يتماشى مع أهدافها ومسلماتها» (عبد العزيز، ٨٠٠٢).

ولم تَعد عملية دمج التكنولوجيا في عملية التعليم والتعلم ترفاً؛ بل أصبحت مطلباً حيوياً لتطوير البنى والهياكل التربوية لما تقدمه التكنولوجيا من نقلة نوعية في إعادة صياغة جميع مفردات العملية التعليمية، واستجابة للفرص التربوية التي أتاحتها الثورة التكنولوجية في مجال المعلومات والاتصالات ظهرت تكنولوجيا التعليم الإلكتروني وتأصلت في كثيرٍ من الأدبيات العلمية وصَاحب هذا التأصيل ترسيخ تكنولوجيا التعليم الإلكتروني كواقع ملموس في معظم مؤسساتنا التعليمية، وأصبح واضحاً للعيان الآثار الإيجابية المترتبة على توظيف تكنولوجيا التعليم الإلكتروني في المؤسسات التعليمية، مما جعلها تحدث نقلة نوعية في العملية التعليمية (الحلفاوي، ٦٠٠٢).

وانعكس التَّقدم العلميّ والانفجارِ التكنولوجي المُتسارع على العمليَّة التعليمية، وبشكل خاصٍّ على استخدامِ التعلم الإلكتروني، وقد شهدت السَّنواتُ الأخيرةُ تقدماً هائلاً في تكنولوجيا التعلم، وفي كيفية توظيفها واستخدامِها في التَّعليم، ويُعد التعلم الإلكتروني ركيزة أساسية تستند إليها العملية التعليمية في الجامعات؛ حيث أحدث التعلم الإلكتروني تأثيرات واسعة على المجتمعات بصفة عامة، والجامعات بصفة خاصة في مجالات دمج التقنية في التعلم.

ويمثل التعليم الإلكتروني ثورة كاملة قامت على أكتاف ثورة تكنولوجيا المعلومات التي هي حصاد دعم ثلاثة أنواع من التكنولوجيا، هي تكنولوجيا الكمبيوتر، وتكنولوجيا البرمجيات، وتكنولوجيا الاتصالات، أو نقل البيانات وهذا النوع من الدمج ليس فقط مجموعاً حسابياً لهذه التكنولوجيا لكنه قدرة تضاعفية كبيرة للإنتاج العلمي من حيث الكم والكيف (الصعيدي، ٥٠٠٢م، ص٥٢).

وقد تمحورت نماذجُ التدريس في الجامعات بالبرمجيات المستخدمة في التعلم الإلكتروني؛ فقد أصبح دور الأستاذ الجامعي بصفةٍ عامةٍ هو دور المُصمم للموقف التَّعليمي القائم على الحاسوب كنظام تعليمي مُتميز، وقل الاهتمامُ بالعرض والشرح من قبل الأستاذ الجامعي، ولم يعد استخدامُ التكنولوجيا الحديثة في التدريس يتوقف على الوظائف الأساسية للحاسوب، بل تعداها إلى ما وراء ذلك من الوظائفِ وأصبح يتكامل مع أشكال تكنولوجية كثيرة منها التعلم الإلكتروني بصورة التعلم عن بعد، والذي بدأ التدريس فيه بإظهار نُصوص مكتوبة على الشاشة تعرض مادة علمية على طلبة الجامعات غير المتواجدين في القاعات التدريسية ويتطلبُ توظيفُ التعلم الإلكتروني في برامج إعداد الأستاذ الجامعي عدداً من المُتطلبات كالاستعانة بالمُتخصصين في التكنولوجيا والبرمجيات، ومُصممي البرامج؛ لتنفيذ المساقات التدريسية بصورةٍ جذابة وأكاديمية، ووجود بنية تحتية تكنولوجية لاستخدام مختلف وسائطِ التَّعلم، وتنمية مهارات استخدام التكنولوجيا، والبرمجيات المُستخدمة في التَّعامل مع المساقات التدريسية المسموعة (رمال، ٢٠٠٢، ص٧٢).

وتقوم الجامعات باستيعاب مفهوم التعلم الإلكتروني الذي يمكنها من إدارة المنظومة التعليمية على أكمل وجه، ولكي تنجح الجامعات في عملها وتحقق الأهداف المطلوبة منها لا بد أن تتوفر لها إدارة تكنولوجية هادفة لا تعتمد على العشوائية، أو التخبط في تحقيق غاياتها بل تعتمد على توظيف التكنولوجيا والتخطيط السليم في إطار التغير الرقمي، وإدارة إيجابية لا تركن إلى السلبيات أو المواقف الجامدة؛ بل يكون لها الدور القيادي الرقمي الرائد في التدريس الجامعي بعيدة عن الطرق التقليدية، مستجيبة للتغير السريع، ومدركة للصالح العام عن طريق العمل الجاد السريع، والإدارة التي لا تنحاز إلى الروتين، والتي تحرص على تحقيق أهدافها بغير قصور أو مغالاة في توظيف التعلم الإلكتروني (فهمي، ٧٠٠٢، ص٩١).

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. ما تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية؟

٢. هل تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a=0.05) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجنس؟

٣. هل تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a=0.05) بين متوسّطات استجابات افراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الكلية؟

٤. هل تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a=0.05) بين متوسّطات استجابات افراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجامعة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة التعرف إلى:

١. التعرف إلى تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية

٢. التعرف إذا كان هناك فروق بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجنس.

٣. التعرف إذا كان هناك فروق بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الكلية .

٤. التعرف إذا كان هناك فروق بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعليم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجامعة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال دراسة النظريات التي تتعلق بالتعليم الإلكتروني حيث إن هذه الدراسة تسلط الضوء على موضوع التعلم الإلكتروني في الجامعات وستتناوله بالشرح والتحليل من خلال الاطلاع على مراجع حديثة تختص بهذا الموضوع وكذلك تعمل على توضيح نقاط القوة والضعف في هذا النوع من التعليم، كما ستتناول هذه الدراسة شرحاً مفصلاً عن فيروس كورونا كوفيد ٩١ المستجد.

كما وتنطلق أهمية هذه الدراسة من خلال النتائج والتوصيات التي ستتوصل إليها حيث إنها ستساعد أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الفلسطينية على اتباع طرق مثلى في عملية تطبيق التعلم الإلكتروني وكذلك فإنها تمدّ يد العون

للطلبة في تقديم النصائح والإرشادات لهم في كيفية التعامل مع عملية التعليم الإلكتروني، كما وتأتي الأهمية البحثية في هذه الدراسة في أنها تساعد الباحثين على إيجاد بحوث جديدة تتعلق بالتعليم الإلكتروني بشكل عام وتقييمه بشكل خاص كتقييم التعليم الإلكتروني في الجامعات بدولة أخرى كالأردن مثلاً، كما أن هذه الدراسة ستكون مرجعاً للباحثين المهتمين في علمية التعليم الإلكتروني بصورة عامة وبتقييم التعليم الإلكتروني بصورة خاصة وذلك من خلال اعتبارها كدراسة سابقة في هذا المجال.

مصطلحات الدراسة:

تقويم: هو نشاط إداري يعمل على تقديم عملية قياس دقيقة لمدى تحقيق الأهداف والغايات المطلوبة ويتمحور حول الأنشطة الخاصة بعملية التنفيذ هدفها الرئيس رصد الأخطاء والمتابعة، ومن ثم العمل على تقديم تقرير ذات قرار مناسب بشأنها.

التعليم الإلكتروني: تعلم يستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؛ لتسهيل الوصول إلى مصادر تحدث التعاون والتبادل بين المتعلم والمعلم، أو بين المتعلمين بعضهم التعلم والخدمات، ويسهم في تحسين نوعية التعليم.

الجامعات الفلسطينية: هي المؤسسات التعليمية كافة التي تقع تحت مسمى وزارة التربية والتعليم العالي الفلسطيني والتي تقع ضمن حدود السيادة الفلسطينية.

أزمة كورونا: هي أزمة عالمية نشأة بسبب انتشار فيروس كوفيد٩١ في غالبية دول العالم، وهذا أدى إلى تقييد حركة البشر وانهيار السياحة وتوقف سلاسل الإنتاج بشكل يهدد الصحة والاقتصاد والمنظومة التعليمية بأكملها.

حدود الدراسة ومحدداتها:

اقتصرت الدراسة على الحدود والمحددات الآتية

- ✓ الحدود الزمانية: طبقت الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي ٢٠٢٠/ ١٢٠٢.
- ✓ الحدود البشرية: طبقت الدراسة على أعضاء هيئة التدريس .
- ✓ الحدود المكانية: طبقت الدراسة في جامعة النجاح الوطنية «تعليم منتظم»، وجامعة القدس المفتوحة» تعليم مفتوح»

الدراسات السابقة:

قام الأمير (١٢٠٢) بدراسة هدفت إلى معرفة دور التعلم الإلكتروني في مواجهة المشكلات الأكاديمية الناجمة عن انتشار فيروس كورونا لدى طلاب المرحلة الثانوية. كما هدفت إلى معرفة أهم المشكلات، وكيفية مواجهتها من وجهة نظر طلاب الثانوية العامة. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي كمنهجاً للدراسة الحالية، واعتمدت على أداة الاستبيان كأداة لجمع البيانات وتحليلها تحليلاً إحصائيًا للوصول إلى النتائج الصحيحة، وطبقت أدوات الدراسة على عينة من طلاب الثانوية العامة بلغت (٠٠١) طالب من الذكور والإناث. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج من أبرزها: جاء اليوتيوب في الترتيب الأول بنسبة بلغت (٢,٣٨٪)، في حين جاء في الترتيب الثاني الواتساب آب بنسبة بلغت (٦,٢٤٪)، وجاء في الأخير الفيسبوك بنسبة بلغت (٩,٠١٪).

وتناولت العنزي (١٢٠٢) دراسة هدفت إلى معرفة تحول طلبة جامعة الملك سعود نحو التعلم عن بعد في ظل أزمة فيروس كورونا من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في ضوء بعض المتغيرات، وذلك من خلال أخذ آراء أعضاء هيئة التدريس في استخدام الطالب لأدوات التعلم عن بعد ودرجة رضاهم عن التحول للتعلم عن بعد، وانعكاس هذا التحول ومعوقاته في ظل أزمة فيروس كورونا. واتبعت الدراسة المنهج الوصفي،

وتكونت عينة الدراسة من (٢٦٣) من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك سعود، وطبقت عليهم استبانة مكونة من أربعة محاور ارتبطت بشكل مباشر بأسئلة الدراسة. وأشارت نتائج الدراسة إلى أن درجة استخدام طالب جامعة الملك سعود لأدوات التعلم عن بعد في ظل أزمة فيروس كورونا جاء بدرجة كبيرة وبنسبة ٧٪، كما أشارت النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابات أفراد عينة الدراسة نحو التحول للتعليم عن بعد تُعزى لمتغير سنوات الخبرة.

وطبقت الفواعرة (١٢٠٢) دراسة هدفت إلى معرفة مدى فاعلية التعلم الإلكتروني في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر معلمي المرحلة الأساسية في مديرية تربية لواء البادية الشمالية الغربية. وتكونت عينة الدراسة من (٠٥١) معلماً ومعلمة، من خلال استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وأعدت أداة الدراسة وتضمنت أربعة مجالات: أولاً: فاعلية التعليم الإلكتروني، ً وتكون من ٨ فقرات تفاعل المعلمين مع التعلم الإلكتروني، وتكون من ٩ فقرات، وثالث تفاعل الطلبة مع التعليم الإلكتروني، وتكون من ٩ فقرات متطلبات التعليم الإلكتروني، ورابعاً وتكون من (٧) فقرات، ثم جرى التأكد من صدقها وثباتها. وقد توصلت الدراسة إلى أن فاعلية التعليم الإلكتروني في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر معلمي المرحلة الأساسية في مديرية معلمي المرحلة الأساسية في مديرية تربية لواء البادية الشمالية الغربية بصورة عامة كانت بدرجة متوسطة. فحصل مجال تفاعل المعلمين مع التعلم الإلكتروني على المرتبة الأولى، في حين حصل مجال متطلبات التعليم الإلكتروني على المرتبة الأخيرة.

وأجرى أبو عيادة (١٢٠٢) دراسة هدفت التعرف إلى دور القيادات في تفعيل التعليم الإلكتروني في أزمة كورونا. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي إذ تم جمع المعلومات من خلال استبانة وزعت على عينة مكونة من (٩٠١). وتوصلت الدراسة إلى أن واقع تفعيل التعليم الإلكتروني في الجامعات الأردنية جاء بدرجة منخفضة للمجالات ككل، والأهمية بدرجة مرتفعة، وأن هناك حاجة لتفعيل التعليم الإلكتروني في الجامعات الأردنية. ولم تُظهر النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية لمتغيرات الجنس، والرتبة الأكاديمية، بينما وجدت فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير القطاع ولصالح الجامعات الخاصة، وبناءً على نتائج الدراسة تم وضع العديد من التوصيات منها صياغة إجراءات قيادية لتفعيل التعليم الإلكتروني في الجامعات، وضرورة التخطيط لتحويل جامعاتنا الأردنية إلى جامعات ذكية ببيئة إلكترونية ذكية لمواكبة مستجدات العصر.

وأجرى صالحة وخليف ٠٢٠٢(دراسة هدفت التعرف إلى التحديات التربوية غير المتوقعة للتطوير البلدان في أزمة كوفيد ٩١: تقرير موجز، وهدفت هذه الدراسة إلى استكشاف التحديات المرتبطة بالتعلم عن بعد في حالات الطوارئ في البلدان النامية بما في ذلك فلسطين وليبيا وأفغانستان من وجهة نظر الطالب والآباء والمعلمين. ومن أجل تحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج النوعي لجمع البيانات وتحليلها. وتم استخدام المقابلات شبه المنظمة والملاحظة الصفية عبر الإنترنت لجمع البيانات. وشملت الموضوعات في المقابلات ٠٦)) مشاركاً من مختلف البلدان عبر الإنترنت. استمر كل فصل حوالي ٠٤ دقيقة. وتم استخدام التحليل المواضيعي لتصنيف النتائج إلى مواضيع. وكشفت نتائج الدراسة عن تحديات مختلفة في التعلم عن بعد في حالات الطوارئ في أزمة كوفيد ٩١ تضمنت هذه التحديات بيئة التعلم، وجودة المحتوى الرقمي، وعدم المساواة الرقمية، وانتهاك الخصوصية الرقمية. وأفاد المشاركون أن كوفيد ٩١ وسعت الفجوة الرقمية بين الطالب وأسرته، وحرمته من حضور الفصول في حالات الطوارئ هو انتهاك ُناشئ آخر في التدريس عن الإنترنت. كان هناك تحدٍّ الخصوصية الرقمية للطالب وأولياء الأمور. علاوة على ذلك، أكدت النتائج أن هذه التحديات كانت العوامل الرئيسية التي أثرت سلباً على حضور الطالب ومشاركتهم في الفصول عبر الإنترنت.

كما قام كل من زهرا وكيرلوف ووندیرت (Zaharah& Kirilova and Windarti,2020) بدراسة هدفت إلى معرفة تأثير تفشي فيروس كورونا نحو أنشطة التدريس والتعلم في إندونيسيا، كما تهدف هذه المقالة إلى شرح تأثير الفيروس التاجي على أنشطة التعليم والتعلم، التي تُجري حتى الآن عمليات التدريس والتعلم في المدارس أو الفصول ولكن مع انتشار الأوبئة المشتركة، يتم نقل نشاط التدريس والتعلم في المنزل عن طريق التعلم الإلكتروني باستخدام الأجهزة التكنولوجية المختلفة، مثل الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر وأجهزة الكمبيوتر المحمولة. يشمل التأثير الذي يسببه الفيروس التاجي جوانب مختلفة، مثل الجوانب الاجتماعية والثقافية والأسوأ الاقتصادية. يتم إجراء هذه الدراسة من خلال دراسة الأدب من خلال النظر في نتائج الدراسات الاستقصائية ودراسات الأدب والمجلات والوثائق للعديد من المطبوعات ووسائل الإعلام الإلكترونية والكتب المتعلقة بالتدريس والمجتمع الاجتماعي وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا. يوضح ختام هذه الورقة خطوة الحكومة في إصدار السياسات للجمهور بعدم القيام بأي أنشطة خارج المنزل، ويتم تنفيذ جميع الأعمال من المنزل، بما في ذلك أنشطة التدريس والتعلم.

في حين أجرى كوزريلي (Cozzarelli,2020) دراسة هدفت التعرف إلى التعلم السحابي: نظام جديد للتعلم الشامل والمبسط والشبكي، الهدف من هذه الدراسة هو التحقق من الإمكانات التعليمية الناشئة عن إنشاء الشبكات التي تشجع التعلم من خلال الويب ٠,٢، إن تطوير شبكات التعلم التي تولد روابط بين مختلف المستخدمين يمكن أن يحول المدارس والجامعات في مجتمعات الممارسة، التي تتميز ببيئة تعليمية مفتوحة ومتعددة الأبعاد. يجمع التعلم السحابي بين القدرة على الاستفادة من الموارد الموزعة في السياق، وتحويل مجموعة متنوعة من التطبيقات على الأجهزة الرقمية المحمولة في أداة تعليمية شخصية. وعلى وجه الخصوص، يبدو أن التعلم السحابي يوفر أداة فعالة لتطوير الكفاءات الرئيسية المحددة في الإطار الأوروبي، فالحوسبة السحابية هي استعارة تقترح منظور القدرة على الاتصال في أي مكان، وتستدعي من جهة البنية التحتية التكنولوجية المعقدة وتقترح من ناحية أخرى فقدان النهاية للموقع الفعلي للمستخدمين والموارد أهميته، ويخلق اتصالات النهاية لها وطرق للتفاعل في الشبكة.

وتناول المشهراوي (٢٠٢٠) دراسة هدفت إلى معرفة أثر تجربة توظيف التعلم الإلكتروني لتحسين العملية التعليمية في المرحلة الأساسية العليا بمحافظات قطاع غزة من وجهة نظر المعلمين، كما هدفت الدراسة الكشف عن أثر تجربة توظيف التعلم الإلكتروني لتحسين العملية التعليمية في المرحلة الأساسية العليا بمحافظات قطاع غزة من وجهة نظر المعلمين، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة الدراسة من (٢٢٠) معلماً ومعلمة يعملون في المدارس الحكومية بغزة، وتمثلت أداة الدراسة في استبانة لجمع المعلومات، حيث تضمنت

(٦٠) فقرة، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن فقرة «وجود بالمدرسة قاعة حاسوب مجهزة» هي الأكثر تكراراً في محور مدى استخدام التعلم الإلكتروني في المدرسة، وأهم الأنماط المستخدمة هي «التعلم الذاتي»، ومقرر «التكنولوجيا» هو الأكثر توظيف للتعليم الإلكتروني، وأكثر المستويات استخداماً له هو «الصف السابع الأساسي»، وأهم إيجابياته أنه «يراعي الفروق الفردية بين مستويات الطلاب»، ومن سلبياته «الأعطال الفنية في الأجهزة»، وفيما يتعلق بأهم المعيقات التي تواجه التعلم الإلكتروني هي «ضعف تأهيل وتدريب المعلم على استخدام التقنيات الحديثة في التعليم»، وأظهرت نتائج الدراسة أيضاً عدم وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى (0.05 ≥ ⍰) في متغيرات الدراسة جميعها (الجنس، والمؤهل العلمي، والتخصص، والخبرة، والدورات التدريبية). وفي ضوء هذه النتائج أوصت الدراسة بضرورة العمل على استخدام التعلم الإلكتروني في العملية التعليمية، وتزويد مدارس المرحلة الأساسية العليا بالأجهزة الإلكترونية اللازمة لتطبيق التعلم الإلكتروني.

وأجرى كل ادزوف وجبريل وهولم ونيكيو(Adzovie & Jibril, & Holm and Nyieku, 2020) دراسة هدفت التعرف إلى التعلم الإلكتروني الناتج عن جائحة (Covid 19):دراسة مفاهيمية من منظور البلدان النامية أحدث تغييرات نتيجة تفشي وباء كورونا (٩١ (Covid-، وتوقف التعلم القائم على الحرم الجامعي، وتحولت معظم المدارس إلى طرق التدريس والتعلم) التقليدي) في جميع البلدان المتضررة تقريباً عبر الإنترنت. على الرغم من الافتقار إلى البنية التحتية التي تدفع التعلم الإلكتروني في معظم البلدان النامية مثل غانا، واضطرت المدارس إلى اعتماد أشكال مختلفة من التعلم الإلكتروني مثل إكمال الفصول من خلال استخدام منصات وسائل التواصل الاجتماعي من أجل إتمام المناهج الدراسية. وكان الغرض من الدراسة هو فحص تصور الطالب فيما يتعلق بأنماط التعلم الجديدة التي أدخلتها مدارسهم، مع الأخذ في الاعتبار قضايا الفجوة الرقمية الموجودة في غانا. جزئياً، سعت الدراسة إلى استكشاف الاختلافات بين الجنسين في الوصول إلى منصات التعلم الإلكترونية واستخدامها. وأيضاً، تم النظر في توافر الإنترنت، وتم استكشاف أهمية استخدام وسائل التواصل الموثوقة وإمكانية الوصول للطالب. وفي هذه الدراسة، استخدم المؤلفون الأوائل استفساراً مع التركيز بشكل خاص على تحليل المستندات بالإضافة إلى آراء الخبراء من أجل وضع تصور لتحقق من سوابق وعواقب التعلم الإلكتروني في بلد نام.واستخدم التصميم بحث كمي مستقبلي يمكن أن يأخذ في الاعتبار دراسة استقصائية من ثالث مؤسسات جامعية مختلفة على الأقل في غانا وتحليلها باستخدام تحليل متعدد المتغيرات أو نمذجة المعادلة والمعادلة الهيكلية الجزئية الأقل مربعاً، يمكن أن تساعد هذه المبادرة في التحقق من صحة النموذج المفاهيمي المقترح للدراسة. وكشفت مراجعة الأدبيات أن البلدان النامية كانت غير مهيأة فيما يتعلق باعتماد حلول التعلم الإلكتروني كبديل رئيسي للتعليم والتعلم التقليديين، وقد كشف ظهور وباء كوفيد ٩١ إلى حد كبير، ونقص المرافق والتكنولوجيا الملائمة لتنفيذ حلول التعلم الإلكتروني، وخاصة في مؤسسات التعليم العالي في غانا.

وقام كل من حماد وزهري (Hammad & Zohry,2020) بدراسة هدفت إلى معرفة معوقات تنفيذ التعلم الإلكتروني بكليات السياحة والفنادق بالجامعات المصرية العامة، كما هدفت هذه الدراسة التعرف إلى المعوقات التي تعوق التعلم الإلكتروني بكليات السياحة والفنادق بالجامعات المصرية العامة. واعتمد على البيانات الأولية من خلال معالجة (٥٥١) استبانة أعضاء هيئة التدريس في الكليات المذكورة لتقييم تطبيقهم للتعلم الإلكتروني وتحديد مشكلاته، كما اعتمد البحث على بيانات ثانوية تتعلق بموضوعه. وكشفت النتائج أن غالبية الكليات المذكورة تطبق التعلم الإلكتروني، خاصة بعد جائحة فيروس كورونا الأخير. ومع ذلك، هناك بعض المشكلات التي تعوق فعالية التعلم الإلكتروني في هذه الكليات مثل عدم كفاية المعرفة به. لذلك، يوصي البحث بتوفير معايير واضحة للتعلم الإلكتروني في الكليات المذكورة تتوافق مع طبيعتها الإلكترونية وتوفير ورش عمل عملية حول التعلم الإلكتروني لهيئة التدريس والطالب وأولياء الأمور لزيادة وعيهم به.

منهج الدراسة:

من أجل التعرف على تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا «في ضوء بعض معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية» من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، استخدم الباحث كل من المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لملائمتهما لطبيعة الدراسة، كما وأن المنهج الوصفي هو الأنسب لوصف الظاهرة من جميع جوانبها، ويصفها بشكل دقيق.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة الذي طبقت عليه أدوات الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في جامعة النجاح الوطنية والقدس المفتوحة، حيث بلغ عدد أعضاء هيئة التدريس ما يقارب (٠٠٠١) عضو هيئة تدريس، وذلك حسب دائرة الموارد البشرية وعمادة شؤون الطلبة في جامعة النجاح الوطنية والقدس المفتوحة للعام الجامعي ٢٠٢٠-١٢٠٢، كما تم اختيار عينة متيسرة منهم حيث بلغ عدد أفرادها (٠٧٢) عضو هيئة تدريس.

أداة الدراسة استبانة:

وهي مجموعة من الأسئلة المكتوبة والمزودة بإجاباتها ويتطلب مِن المستجيب ُالإجابة عنها بهدف الحصول على بيانات، ومعلومات حول قضية ما أو مشكلة محددة تم الإشارة إليها بما ينطبق عليها، ويسعى الباحث الحصول عليها (الخرابشة،٢١٠٢). استخدم الباحث الاستبانة كأداة لجمع المعلومات في هذه الدراسة تم بنائها بناء على معايير هيئة الاعتماد الأردنية، وقد تكونت من (٠٤) فقرة- وتم بناء أداة الدراسة بناء على مقياس ليكرت الخماسي، حيث يبدأ بقليلة جداً وتعطي درجة واحدة فقط، ثم قليلة وتعطي درجتين، ومتوسطة وتعطى (٣) درجات، وكبيرة وتعطى (٤) درجات، وكبيرة جداً وتعطى (٥) درجات هذا في الفقرات الإيجابية.

صدق الأداة:

من أجل التحقق من صدق الأدوات تم عرضها على مجموعة من المحكمين من أساتذة الجامعات المتخصصين في مجال التعليم الإلكتروني وأساليب التدريس والمناهج، من أجل إبداء رأيهم في فقرات مِن حيث صياغتها وإجراء التعديل المطلوب عليها، بعد عرضها عليهم، إما بالموافقة عليها، أو تعديل صياغتها، أو حذف بعضها ومناسبتها للمجال الذي وضعت فيه، أو عدم أهميتها، وبناء على هذه الملاحظات تم تصحيح الصياغة والحذف والإضافة، لتخرج في صورتها النهائية.

ثبات الأداة:

المعالجات الإحصائية

استخدم الباحث مجموعة من المعالجات الإحصائية وتتمثل في التكرارات والنسب المئوية، واختبار معامل الثبات ألفا، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت(؛ لعينتين مستقلتين واختبار تحليل التباين الاحادي وذلك من أجل التوصل إلى النتائج المرجوة.

نتائج الدراسة

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية، وكذلك الكشف عن الفروق في مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغيرات) الجنس، والكلية، والجامعة التي تنتمي إليها)، وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة وَفْقاَ لأسئلتها:

أولاً: النتائج المتعلقة بالإجابة عن السؤال الأول والذي ينص على «ما مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية؟

للإجابة عن السؤال الأول والمتعلق بمتغير تجربة التعلم الإلكتروني، تم حساب المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية والرتبة ومستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية (الحوكمة، والبرنامج الأكاديمي، والبنية التكنولوجية الخاصة بمنصة التعلم الإلكتروني، والتعليم والتعلم (مدرسو المساق، وتصميم المساق، وتقييم مخرجات التعليم)، وخدمات الطلبة، وضبط الجودة) وفقراتها، وتظهر الجداول (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠) ذلك.

تم التأكد من ثبات الأدوات (الاستبانة) باستخدام معامل كرونباخ ألفا، وتم قياس الثبات فقد بلغ (٧٨,٠)، وهذه النسبة مناسبة وتفي بأغراض هذه الدراسة.

المعالجات الإحصائية:

استخدم الباحث مجموعة من المعالجات الإحصائية وتتمثل في التكرارات والنسب المئوية، واختبار معامل الثبات ألفا، والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت(؛ لعينتين مستقلتين واختبار تحليل التباين الاحادي وذلك من أجل التوصل إلى النتائج المرجوة.

نتائج الدراسة :

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية، وكذلك الكشف عن الفروق في مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغيرات) الجنس، والكلية، والجامعة التي تنتمي إليها)، وفيما يلي عرض لنتائج الدراسة وَفْقاَ لأسئلتها:

الجدول (١) المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية والرتبة ومستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية على المستوى الكلي وكل معيار من معايير الجودة مرتبة تنازليا)

الرقم	البعد	الرتبة	المتوسط	الانحراف	المستوى
1	الحوكمة	1	4.025	0.527	مرتفع
6	ضبط الجودة	2	4.024	0.552	مرتفع
4	التعليم والتعلم	3	4.007	0.544	مرتفع
2	البرنامج الأكاديمي	4	4.000	0.580	مرتفع
5	خدمات الطلبة	5	3.932	0.726	مرتفع
3	البنية التكنولوجية الخاصة بمنصة التعلم الإلكتروني	6	3.913	0.659	مرتفع
	المستوى الكلي لتجربة التعلم الإلكتروني		4.000	0.515	مرتفع

يلاحظ من الجدول أعلاه أن مستوى تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية بشكل عام كانت مرتفعة، بمتوسّط (٤)، وانحراف معياري (٥١٥,٠)، وقد جاءت جميع مستويات تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية بمستوى مرتفع، إذ تراوحت المتوسّطات الحسّابية بين (٥٢٠,٤ – ٣١٩,٣)، وجاء في المرتبة الأولى البعد (١) والذي ينص على «الحوكمة» بمستوى مرتفع، بمتوسّط مقداره (٥٢٠,٤)، وانحراف مقداره (٧٢٥,٠)، تلاه في المرتبة الثانية بعد (٦) والذي ينص على «ضبط الجودة» بمستوى مرتفع، بمتوسط مقداره (٤٢٠,٤)، وانحراف مقداره (٢٥٥,٠)، وجاء في المرتبة السادسة والأخيرة البعد (٣) والذي ينص على «البنية التكنولوجية الخاصة بمنصة التعلم الإلكتروني» بمستوى مرتفع، بمتوسّط مقداره (٣١٩,٣)، وانحراف مقداره (٩٥٦,٠).

السؤال الثاني: هل تُوجد فروق ذات دِلالة إحصائية عند مستوى الدّلالة (a = ٥٠,٠) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجنس؟

للإجابة عن هذا السؤال والمتعلق بمتغير الجنس، تم استخدام اختبار (T-Test) والجدول الآتي يوضح ذلك:

الجدول (٢) المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية واختبار (T-Test) لفحص دلالة الفروق لمستوى تجربة التعلم الالكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغير الجنس (ذكر، أنثى)

المتغيرات	الفئة	العدد		الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	الدلالة
المستوى الكلي لتجربة التعلم الإلكتروني	ذكر	156	4.008	0.533	0.331	265	0.741
	أنثى	111	3.987	0.491			

* دال إحصائيّاً عند مستوى الدلالة (a = ٥٠,٠)

يلاحظ من الجدول (١١) أعلاه أنه لا تُوجد فروق ذات دِلالة إحصائية عند مستوى الدّلالة (a = ٥٠,٠) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجنس، حيث تبين أن قيمة مستوى الدلالة أكبر من (٥٠,٠) وهذا ما يؤكد ذلك.

السؤال الثالث: هل تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a = ٥٠,٠) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الكلية؟

للإجابة عن هذا السؤال والمتعلق بمتغير الكلية، تم حساب المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية واستخدام اختبار (T-Test) والجدول التالي يوضح ذلك.

الجدول (٣) المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية واختبار (T-Test) لفحص دلالة الفروق لمستوى تجربة التعلم الالكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغير الكلية (إنسانية، علمية)

المتغيرات	الفئة	العدد		الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	الدلالة
مستوى التجربة ككل		122	3.943	0.481	1.649-	265	0.100
	علمية	145	4.047	0.540			

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05 = ⍰) ** دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01 = ⍰)

يلاحظ من الجدول (١١) أعلاه أنه لا تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٥٠,٠ = ⍰) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الكلية، حيث تبين أن قيمة مستوى الدلالة أكبر من (٥٠,٠) وهذا ما يؤكد ذلك.

لا تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدّلالة (a = ٥٠,٠) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الجامعة التي تنتمي إليها.

للإجابة عن هذا السؤال والمتعلق بمتغير الجامعة التي تنتمي إليها، تم حساب المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية واستخدام اختبار (T-Test) والجدول الاتي يوضح ذلك.

الجدول (٤) المتوسّطات الحسّابية والانحرافات المعيارية واختبار (T-Test) لفحص دلالة الفروق لمستوى تجربة التعلم الالكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية تبعاً لمتغير الجامعة التي تنتمي إليها

المتغيرات	الفئة	العدد		الانحراف المعياري	قيمة ت	درجات الحرية	الدلالة
مستوى التجربة ككل	جامعة النجاح الوطنية	168	4.004	0.491	0.211	265	0.833
	جامعة القدس المفتوحة	99	3.990	0.557			

* دال إحصائيّاً عند مستوى
الدلالة (⍺ = 0.05)

يلاحظ من الجدول (١١) أعلاه أنه لا تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (a = ٥٠,٠) بين متوسّطات استجابات أفراد عينة الدراسة في تقويم تجربة التعلم الإلكتروني في الجامعات الفلسطينية خلال جائحة كورونا وَفق معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية حسب متغير الكلية حيث تبين أن قيمة مستوى الدلالة أكبر من (٥٠,٠) وهذا ما يؤكد ذلك.

التوصيات

بناء على إجراءات الدراسة وما توصلت إليه من نتائج فإن الباحث يوصي بمجموعة من التوصيات وذلك على النحو الآتي:

١. العمل على حوسبة المواد التعليمية إلكترونياً وتبادل المواد المحوسبة من قبل مدرسين مختلفين في محاولة للاستفادة من الخبرات وتسهيلاً لمهمة عدم تكرار حوسبة المادة الواحدة من قبل كافة المدرسين.

٢. تشجيع الجامعات على تبني التعلم الإلكتروني، وتوظيفه في التدريس.

٣. اعتماد معايير جودة هيئة اعتماد مؤسسات التعليم العالي الأردنية في الجامعات.

٤. إيجاد آلية تسمح بتنويع أوقات إعطاء الحصص للسماح لإمكانية تبديل الطلبة في البيت الواحد فيما بينهم بأوقات الدوام.

٥. لفت أنظار القائمين على المساقات الجامعية بضرورة تضمين التعلم الإلكتروني إلى البرمجيات التعليميّة والمناهج، وإنتاج مقررات إلكترونية تتناسب مع طبيعة العصر التكنولوجي.

المراجع

١ .أبو عيادة، هبه (١٢٠٢). دور القيادات في تفعيل التعليم الإلكتروني في أزمة كورونا، **مجلة ألفا للدراسات العلمية والإنسانية**، ٣، (٦).

٢ .الأمير، حسن (١٢٠٢). دور تكنولوجيا التعليم في مواجهة المشكلات الأكاديمية الناجمة عن انتشار جائحة فيروس كورونا لدى طلاب المرحلة الثانوية، **المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية**، ٤، (١).

٣ .الحلفاوي، وليد (٦٠٢). «**مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلومات**. ط١، الأردن: دار الفكر.

٤ .رمال، محمد (١٢٠٢). فعالية تجربة التعلم عن بعد في إكساب الطلاب مهارة المرونة العقلية وفق التخصصات الجامعية، **المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية**، ١، (٢).

٥ .الصعيدي، سلمى (٥٠٠٢): **المدرسة الذكية مدرسة القرن الحادي والعشرين**. القاهرة: دار فرحة للنشر والتوزيع.

٦ .العنزي، هيفاء (١٢٠٢). تحول طلبة جامعة الملك سعود نحو التعلم عن بعد في ظل أزمة فيروس كورونا من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس في ضوء بعض المتغيرات، **مجلة العلوم التربوية والنفسية**، ٥، (١)، ٣٣-٤٣.

٧ .فهمي، عاطف (٧٠٠٢)، المواد التعليمية للأطفال. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

٨ .الفواعرة، ولاء (١٢٠٢). مدى فاعلية التعلم الإلكتروني في ظل جائحة كورونا من وجهة نظر معلمي المرحلة الأساسية في مديرية تربية لواء البادية الشمالية الغربية، **مجلة جامعة آل البيت**، ٢، (٤)، ٢٢-٣٢، الأردن.

٩ .المشهراوي، حسن (٠٢٠٢). أثر تجربة توظيف التعلم الإلكتروني لتحسين العملية التعليمية في المرحلة الأساسية العليا بمحافظات قطاع غزة من وجهة نظر المعلمين، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية**، ٤٣(١).

١٠. النملة، عبدالعزيز (٨٠٠٢). **مفهوم التعليم الإلكتروني... كيف يمكن الإفادة من التعليم الإلكتروني**. ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني، مدارس الملك فيصل، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11. Zaharah, & Kirilova, G. and Windarti, A. (2020). Impact of Corona Virus Outbreak Towards Teaching and Learning Activities in Indonesia. **Salam: Journal Social Dan Budaya Syar**, 7(3), 109-124.

12. Cozzarelli, C. (2020). Cloud-Learning: A New System for Inclusive, Simplifying, Networked Learning. **International Journal of Digital Literacy and Digital Competence (IJDLDC)**, 3 (2), 56-66.

13. Adzovie , D. & Jibril ,A. B. & Adzoviem, A. and Nyieku, I. E. (2020). E-Learning Resulting From Covid-19 Pandemic: A Conceptual Study From a Developing Country Perspective. **Journal of Social Science Education**, 22(19), 57-66.

14. Hammad, A. & Zohry, M. (2020). Obstacles Hindering the Implementation of E-learning in the Faculties of Tourism and Hotels in Egyptian Public Universities. **Journal of Association of Arab Universities for Tourism and Hospitality**, 9(2), 76-95.

سيميائيات الصورة في الخطاب السياسي من خلال شعار حركة حماس نموذجا

Image semiotics in the political discourse through the slogan of the Hamas movement as a model

جعفر كنس

رام الله - فلسطين

تاريخ الإستلام 23-5-2022 تاريخ القبول 12-11-2022 تاريخ النشر 30-4-2023

ملخص:

يطرح لنا مفهوم التواصل السياسي سلسلة من الأسئلة التي تتمحور حول جودة الممارسة السياسية، وتأثيرها في الرأي العام، وبهذا يسعى القائمون على صياغة الخطاب السياسي سواء اللفظي أو الصوري على تضمينه بمجموعة من الترميزات ذات الحمولة العاطفية بهدف خدمة مشروعهم الفكري. مستثمرين كافة الوسائل التواصلية القادرة على خدمة تصوراتهم، ومن بين تلك الوسائل الشعار الصوري الذي يعد صياغة صورية ذات ذات حمولة فكرية مؤثرة في الرائي.

يتحلى الشعار بسمات متعددة تخدم تصورات وأفكار منتجيه، فغايته الأساسية التأثير في المتلقي وتوجيه سلوكاته نحو قضية محددة، تم بنائها من قِبل متخصص في فنون الجرافيك، وخبير في التواصل السياسي. وهذا ما ظهر فور قرائتنا للمتن، الذي كشف لنا عن حجم التدخل الفكري في صياغته. إذن يعد الشعار السياسي من بين الأحمال البصرية الذي يُضمِر خلف مكوناته خطابًا فكريا يخدم تنظيم حركة حماس، وهذا ما سنسعى في قرائتنا لكشفه.

Abstract

The concept of political communication asks us a series of questions centred on the quality of political practice, the influence of politicians, as well as the expression of citizens' hopes, and other questions that remain an obstacle to policymakers .So the politician seeks to market a political speech capable of influencing the recipient, investing modern media to know its rapid spread and speed of marketing of his speech.

This study aims to highlight the importance of the political slogan as a communication asset, which Hamas enriches in marketing its policy to the recipient, as part of its visual identity, by answering the question "What are the components of the Hamas slogan, what are its connotations and impact on the recipient?", Based on a range of literature, including the psychological, anthropological, and psychological curriculum. The logo has multiple features that serve the perceptions and ideas of its producers, its basic purpose being to influence the recipient and his behaviour. The logo was built, by a graphic arts specialist, and an expert in political communication, because it included carefully selected ingredients, far from arbitrary. This is what emerged immediately after our reading of metabolism, which revealed the magnitude of intellectual interference in its components. The above political slogan is therefore one of the visual loads that behind its components is an intellectual discourse that serves the organization of Hamas, which we will strive to prove in our readings.

الإشكالية:

أعارت حركة حماس للصورة مكانة خاصة في خطابها السياسي، وخصصت لها مساحة واسعة في مواقعها التواصلية؛ لإدراكها بأنها من بين الأداوات التواصلية الفعالة والمؤثرة في تسويق سياستها وتثبيت خطابها في الذهن الجمعوي. لذلك، نجد أنها عملت على

صياغتها ضمن أسناد تواصلية متعددة، بأسلوب فني ومثير، موظفة مجموعة من الترمزيات ذات الجذرية العقدية. فالشعار نموذج القراءة من بين ترميزتها الصورية الذي تجتهد بتوظفه في كافة خطاباتها ومؤتمراتها وملصقاتها، إذ لا يكاد يخلو خطابها السياسي من وجوده، وبهذا يعد مميزا هوية بصرية لها، ومعبرا عن ثقافتها السياسية، وهذا ما دفعنا للنبش في تخومه لنصل بالنهاية إلى معرفة مكوناته، مجيبين على السؤال الرئيسي:

ما هي دلالات شعار حركة حماس، وعلاقته بالموروث الثقافي الفلسطيني والعربي وجذريته في المتخيل الإسلامي؟

نفترض أن شعار حركة حماس لم يستند في صياغته على الموروث الثقافي والإسلامي، لذلك لا يعد وسيطا تواصليا مؤثرا في المتخيل الجمعوي، تحت هذه الفرضية الرئيسية نقدم ثلاث فرضيات فرعية نعمل على نفيها أو تأكيدها في قراءتنا للمتن.

١ -للشعار السياسي أثر إيجابي وكبير في تسويق دعاية حركة حماس، لما يتضمنه من تمثيل أيقوني وتشكيلي يضمر اخلفهما معاني إيديولوجية.

٢ -الشعار السياسي باتَ من بين الوسائط التواصلية غير المجدية، خاصة في عصر الانفجار الفرجوي وما آلت إليه التكنولوجيا من تقدمٍ ملحوظ.

٣ -نفترض أن الخطاب السياسي المبثوث لفظياً حاملاً للمعاني والأفكار أكثر من نظيره البصري.

أسباب اختيار الموضوع:

لا يمكن لأي نموذج عينة القراءة أن يتم اختياره بشكل عشوائي، دون الاستناد على أسس تتوفر في صياغته، لذلك مقمنا باختيار شعار حركة حماس، لأسباب متعددة، نذكر من بينها التالي:

١ -يطغى التحليل اللفظي للخطاب السياسي على معظم المقاربات، وهو إرث نظري يعو لفترة ما قبل الانفجار الإعلامي، ونأمل المساهمة في تسليط الضوء على أهمية ومكانة المكون البصري في كل عملية ترميز سياسي، فمعظم الصور ذات البعد السياسي تحمل بين ثناياها خزاناً من العلامات «المكون اللساني والنص البصري»، غير المصرح بها لفظياً والتي بحاجة للوقوف عليها كما هو الحال في الخطاب اللفظي.

٢ -نرى أن تحليل الصورة له أهمية معرفية، علما أننا أصبحنا نعيش زمن الصورة.

أهداف القراءة:

تهدف هذه القراءة إلى إبراز أهمية الشعار السياسي كأحد الأسناد التواصلية لدى حركة حماس، الذي تستمثره في تسويق سياستها للرأي العام، لكونه أحد الفضاءات التوليدية اللامتناهية من المعاني، التي يراد منها التأثير في الرأي العام، فمكوناته المتناغمة مع بعضها البعض تضمر خلفها خطاباً فكريا تسعى من خلاله للوصول إلى وجدان المخاطبين، وبهذا يعمل الشعار كبنية خطابية، باستطاعته تمرير مشاعر وأحاسيس وأقوال تسعى إلى إنتاج أثر في المتلقي.

الدراسات السابقة:

من خلال متابعة متواضعة لما صدر من دراسات تتعلق بالخطاب السياسي للحركات الإسلامية المعاصرة في فلسطين عموماً وحركة حماس على وجه الخصوص لم أعثر على دراسات علمية شمولية متكاملة ناقشت الموضوع وفقا للمقاربة السيميائية، وإن الكم المنشور من الدراسات حول هذا الموضوع يركز على الدراسات السياسية الصرفة. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت أصدرت كتاب بعنوان «حماس الفكر والممارسة» للكاتب خالد الحروب والذي ناقش الموضوع من الوجهة السياسية الصرفة. كما صدر عن مركز دراسات الشرق الأوسط في عمان كتاب بعنوان «دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس» وشارك فيه أكثر من اثني عشر باحثاً وأشرف على تحريره الأستاذ جواد الحمد والدكتور إياد البرغوثي، إذ كان عبارة عن أبحاث متفرقة تتحدث عن آليات عمل حركة حماس العسكرية والسياسية. فيما صدرت دراسة أخرى على هيئة كراس عن المركز العالمي للبحوث والدراسات في واشنطن بعنوان «حماس بين آلام الواقع وآفاق المستقبل» من إعداد جهاد صالح واحتوت 90 صفحة.

نستطيع القول أن معظم الدراسات سلطت الضوء على نشوء حركة حماس وتأثيراتها المستقبلية على الصعيد السياسي ونذكر من بينها «الحركة الإسلامية في الضفة والقطاع «من إعداد الدكتور زياد أبو عمرو. وكذلك «حماس منظمة عالمية ديمقراطية وليست سياسية» قام بإعدادها محمود جودة. إضافة إلى «الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية» من إعداد الدكتور إياد البرغوثي. وأيضا «الإسلاميون والقضية الفلسطينية» من تأليف إبراهيم طرابلسي. ونذكر كذلك مؤلف «إشكاليات الخطاب السياسي الإسلامي المعاصر» للدكتور محمود الزهار.

تبين من خلال بحثنا في الدراسات السابقة أن هناك دراسة تحمل عنوان Le Hamas, de la résistance armée à l'exercice du pouvoir، وترجمناه «حماس، من مقاومة مسلحة الى ممارسة الحكم» صادر من جامعة université de Cergy-Pontoise (école doctorale de Droit et Sciences Humaines)، بتاريخ juillet 2012 .

تكمن الصعوبة التي واجهتنا في هذه القراءة أننا استنادنا على مجموعة من المؤلفات والمراجع ذات العلاقة بالصورة، وعدم العثور على أي مصادر عالجت موضوع القراءة ضمن المقاربة المستخدمة في قرائتنا. فما عثرنا عليه من كم كبير من الدراسات والكتب تطرقت لحركة حماس من وجهة نظر سياسية. بالضافة إلى ذلك، فقد كانت الوقائع والتطورات السياسية على الساحة الفلسطينية وتحديدا ما هو متعلق بحركة حماس تتم بتسارع كبير، الأمر الذي خلق نوعا من الصعوبة والتعقيد والتشابك حول العديد من المواقف في كثير من الحيان.

لذلك، آثرت التجديد من خلال تقديم هذه القراءة في تقديم تحليل لخطاب حركة حماس وتحديداً لشعارها المبثوث عبر قنواتها الرسمية معتمداً على المقاربة السيميائية التي تساهم في الوصول إلى رؤية أعمق في مجال تحليل الخطاب.

قراءة المتن :

نسعى من خلال قرائتنا للوصول إلى المعاني المضمرة بين مكونات الشعار، بغية الكشف عن عمق التدخل الفكري لدى حركة حماس في صياغتها لخطاباتها الصورية. ولهذا سنقدم نسيجا متداخلا بين القراءة التقريرية والإيحائية، محاولين من خلالها الإجابة عن السؤال الإشكالي، كما وسنسعى بواسطة تلك القراءة تأكيد أو نفي فرضيتنا أعلاه، فقد استندنا على مجموعة من المفاهيم السيميائية التي ساهمت في معرفة تصورات حركة حماس وكيفية توظيفها للموروث الشعبي الفلسطيني في صياغة شعارها.

التعريف بالمتن:

نستعين في قراءتنا للمتن بالجهاز المفاهيمي السيميائي الذي حاولنا توظيفه في هذه القراءة، لأن الشعار يدخل ضمن شبكة التحليل السيميائي، وفي هذا السياق نركز على البعدين، التقريري والإيحائي، مستندين على التمثيل التشكيلي والأيقوني والعلاقة بينهما والخطاب الثاوي خلفهما، بالإضافة إلى المكون اللساني وعلاقته بالنص البصري، والذي سيتيح لنا كشف التفاعلات بين هذه المكونات، فحسب تعبير رولان بارت «إذا كانت اللغة نتاج توافق اجتماعي، فهناك أيضا لغة فوتوغرافية تشتمل على علامات وقواعد ودلالات لها جذورها في التمثلات الاجتماعية والإيديولوجية السائدة»[1]، إذن فالشعار السياسي له لغته المتمثلة بتلك العلامات التي تُتَمّم ما لم تقله الكلمات في خطاب حركة حماس اللفظي.

تتضح قوة المتن في التركيبة التي نشاهدها داخل تأطير الشعار، فتلك العناصر مجتمعة تم اختيارها لتكون ذات بعد تأثيري في المتلقي، إذ يعتبر من بين الترميزات المرئية المتضمنة لخطاب سياسي ذو حمولة إيديولوجية على شكل رسالة بصرية مؤثرة في مواقف وسلوكيات المتلقي. نجده أن صياغته سمحت لنا في البحث عن المعاني المضمرة في علاماته.

مقدمة:

قد عرف الإنسان الصورة قبل أن يعرف الكتابة، حيث أنه تمثل العالم صورا قبل أن يتمثله حروفا، ونسج أفكاره بإيقونات بصرية قبل أن يهتدي إلى الحروف[2]، إذ بقيت جدران الكهوف في فرنسا وإسبانيا ورومانيا شاهدة على هذه الحقبة من تاريخ الإنسان، التي يقدرها العلماء بما يقارب ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد، في حينها اهتم الإنسان برسم الحيوانات الضخمة كحيوان «الرنة، والثيران، والخيول، وحيوان الأرخص «نوع من أنواع الجاموس البري الضخم»، والغزلان والأبقار البرية الضخمة». وإن كنا لا ندري على وجه الدقة طول الحقبة التي عاش فيها الإنسان متمثلا العالم عبر الصور ومعبرا عن ذاته من خلالها[3]، فإننا نستطيع الجزم بالكثير من الثقة، بأنها كانت ذات طبيعة غير نفعية مباشرة، وبالتالي صح فيها القول بانتمائها لما يسمى اليوم بالفن، حيث أنه قفزة الإنسان الأولى نحو «التمثيل، الترميز والإيحاء»، فمنه تعد مغامرتنا السابقة نحو التجريد أيقونية قبل كل شيء.

رغم أن البشرية بدأت رحلتها بالصورة، إلا أنها اليوم شغوفة بها أكثر من أي وقت مضى، فلم يسبق أن كان الإنسان عرضة لهذا الكم من التعبير الأيقوني اليومي عبر جميع وسائل الإعلام والدعاية. وقد تكون محاولة مقاومتنا لتلقي الصور وتحليل أدمغتنا اللإرادي لها ضربا من المستحيل، فنحن لا نستطيع معارضة حمضنا النووي الذي يحمل الجينات اللازمة لمعالجة ملايين الصور، لأننا ورثنا من أسلافنا قدرة فائقة على تحليل الصور، بل وحتى تمثل الكلمات صورا كما أثبتت الدراسات مؤخرا، تلك التركيبة البيولوجية تجعلنا أسرى سيالات عصبية قدرها تحليل مالا نهاية من الصور سواء عن وعي وبدون وعي أيضا.

وبهذا فإن للصورة سلطتها وقدرتها على اقتياد الرائي ضدا على كل تفكير واع، فإن كنا في ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد نحاول القبض على اللحظة الآنية الهاربة من الزمن في صورة، فإنها اليوم تقبض علينا في أزمنة موعودة مستقبلا وأحوال منتظرة في الآتي منه. فقد اجتاحت الصورة الفضاء العام متضمنة مواضيع متعددة بدءا من السلع والبضائع والمنتوجات والخدمات وصولا إلى عالم الفكر والسياسة والثقافة، حيث أن عالم الفكر وإن كان يسعى إلى التعالي فوق براغماتية التجاري ودونية التسويقي، فإنه اليوم لم يستطع الفكاك من حاجة الفكرة إلى تمثيل بصري وحاجة الكتاب إلى تسويق بصري يغري متصفحه. لذا كانت ملصقات الأحزاب السياسية وشعاراتها الحزبية الصورية مجالا خصبا للفكر والثقافة.

إضافة إلى ذلك، تعتبر الإيدولوجيا الماكينة الكاسحة لكل الترميزات فهي ما يمكن أن تأخذ كل الأشكال والبنيات والهيئات التعبيرية بما في ذلك ما يبثه الإعلام. لذلك أخذت الصورة في مختلف وسائل الإعلام أبعادا أخرى حيث ينصهر فيها الإيديولوجي والتسويقي في الآن ذاته، هذا إن افترضنا حدودا قاطعة بين هذين المعطيين، فالصورة داخل الإيدولوجيا تنتعش وتتطور باستمرار مولدة معاني رمزية متعددة. لذا أصبحت الأداة الأولى لكل تسويق إيديولوجي سياسي انتخابي، وأصبحنا اليوم نتحدث عن التسويق السياسي كفرع من فروع التواصل، هذا الأخير الذي يعتمد النصوص البصرية « كالشعار» مثلاً دعامة مهمة لبث رسائله، فلا تواصل سياسي بدون أن يستند إلى مرجع صوري يكثف الرسالة السياسية، يوحي بها ويرمز إليها، إذ لا يمكن الحديث اليوم عن حملة سياسية انتخابية دون الحديث عن الكم الهائل من الصور والشعارات المبثوثة بدقة وعناية هادفة إلى أكبر قدر من الترميز السياسي.

وبهذا تعد الصورة من بين الأدوات الفعالة في التواصل السياسي التي توظفها الدول والأحزاب في دعايتها السياسية، فالتقدم التكنولوجي وما تمتلكه الدول من تقنية مرئية، يعد علامة فارقة في حسمها للصراع الصوري، محققة الانتصارات على خصومها؛ لأن الصورة قادرة على إثارة المشاعر وتشكيل الرأي العام حول موضوعها، لتميزها بقدرتها على خلق التمثلات[1] لدى الرائي بين ما هو حقيقي ومتخيل وبين ما هو مرئي ولامرئي. ثم إن التواصل السياسي ارتبط حسب تعبير دومنيل ولتون بالسياسة منذ بدايتها، إذ تجسد في التبادلات الأولى من أجل تنظيم المدينة[2]، وتُعتَبر الدراسات الاركيولوجية أن الخطابة الأرسطية، شكلت النموذج الأول للتواصل السياسي في الأغورا اليونانية[3]،

ليتطور تقنيا بدءاً من ظهور «مطبعة غوتنبرغ» وصولاً إلى الشبكات متعددة الوسائط، وعلى قاعدة التطور التقني، تنوعت ممارسات التواصل

السياسي، من خلال توظيف وسائل الاتصال الجماهيرية، وثورة النشر الإلكتروني بوسائطه المتنوعة، والتي طغت على أسناد التواصل. ومع تعدد تلك الوسائل يسعى الحزب السياسي بشكل حثيث إلى توظيفها، محملاً إياها مقاصد فكرية قادرة على التأثير في المتلقي وتغيير مواقفه نحو سياستها، ويأتي ذلك، من خلال إنتاج خطاب مفكر فيه. لكن، مع نمو الوعي السياسي الجماهيري وتعدد الثورات التقنية والمعلوماتية، بات الفرد قادرا على التمييز بين الخطاب السياسي الجيد والسيء، وأصبح أكثر حرية في قبول ما يريد ورفض ما يشاء. وهذا ما دفع بالحزب السياسي اليوم أن يكون أمام مهمة أكثر تعقيدا في بناء خطابه، تتمثل في قدرته إقناع الجمهور والتأثير فيه[4]. لذلك استثمرت الاحزاب السياسية الصورة بكافة أسنادها، بغية التأثير في الرأي العام وتوجيهه صوب غاياتها، واخترنا من بين تلك المؤثرات البصرية شعار حركة حماس، باحثين في مكوناته وما يضمره من معاني بغية الكشف عن حمولته الفكرية وهويته الثقافية في بناء خطابها الصوري.

يضمر النص البصري _شعار حركة حماس_ خلفه سلسلة من المعاني، إذ أن «المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له

على أموره، وعلى ما يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره»[٥]. وبهذا فالمعاني داخل النصوص البصرية بحاجة إلى قراءة فكرية بغية الوصول إلى مقاصدها وليست قراءة تقريرية كما يظن البعض، لأن تلك المعاني تتحلى بخصائص الخفاء، وهذا ما نجد له صدى في الدراسات الدلالية المعاصرة، خاصة تلك التي تدرس الغموض واللّبس في النصوص اللغوية والأدبية كما المرئية. كما يجمع أغلب المهتمين، على أن الصورة فيها، ذات طبيعة ملتبسة، تحتمل أكثر من تأويل، فإن البحث عن خصائصها الدلالية يتطلب الغور في ما تخفيه، وترمز له.

نخلص إلى أن الصورة كانت أولى التعبيرات البشرية عن الزمن والحياة والرغبات والهواجس والمخاوف والأساطير الدالة على كل الرؤية الميتافيزيقية للشعوب القديمة، وهي اليوم أيضا وسيلتنا للتعبير عن «أساطيرنا» الحديثة ورغباتنا وهواجسنا ورؤيتنا للحياة من حولنا، فبين الأمس واليوم وبين المسافات الزمنية الطويلة التي سلكها الإنسان إلا أنه مازال يبحث عبر التجريد الأيقوني وعن تكثيف المعاني اللسانية الدالة عبر الصورة. وبهذا لا تتقيد جماعات الضغط بمشرب تواصلي واحد في تسويقها لدعايتها السياسية، وهذا ما عبر عنه وزير الدعاية النازية «جوزيف غوبلز» في عهد أدولف هتلر، حينما أكد على أن كافة الوسائل والطرق مباح استخدامها بهدف الوصول للغايات المرجوة، فالدولة لا يمكنها الالتزام في شكل وأسلوب دعائي واحد، مؤكدا أن الغاية تبرر الوسيلة[٦]. فالشعار وكافة الأسناد التواصلية المرئية من بين الوسائل التي تستثمرها الأحزاب السياسية بهدف تثبيت دعايتها في الذهن الجمعوي.

بناء على ماسبق: تضمن شعار حركة حماس توليفة من المكونات (أشكال، ألوان، رموز، وملفوظات) صيغت بأسوب فني مثير، يراد من خلالها التأثير في الرأي العام، وتغيير مواقفه لصالح تصورات وأفكار حماس، لكن تلك الصياغة لديها معاني ثقافية وعقدية، سنعمل في قرائتنا لكشفها ومعرفة جذريتها، بغية معرفة سياسة حركة حماس في استثمارها وتملكها للموروث الشعبي الفلسطيني وكذلك الموروث الإسلامي في خدمة شعارها السياسي.

القراءة التقريرية والإيحائية:

ظهر اسم حركة المقاومة الإسلامية حماس مع انطلاق الانتفاضة الأولى في كانون الأول/ ديسمبر/٧٨٩١. وعَرَفت الحركة نفسها منذ البداية بأنها «جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين»[٧]. بيد إن شعار الحركة لم يخرج للرائي في ذلك الوقت، لأن حركة حماس في البداية اعتمدت على الملصقات التي طغت عليها اللغة الملفوظة، وأيضا عبارات ذات صبغة عقدية تقوم برسمها على الجدران كنوع من أنواع الدعاية الحزبية. فقد كانت جدران المنازل في المدن والمخيمات والقرى الفلسطينية مكاناً خصباً للمرئي وملاذا لتسويق سياستها. ثمّ فإن حركة حماس استخدمت شعارات متعددة كان من بينها شعار الكتلة الإسلامية التي ولدت قبل ولادتها بعشر سنوات وتحديداً عام ٨٧٩١م وراية التوحيد التي ورثتها عن جماعة الإخوان المسلمين.

اهتمت حركة حماس منذ ولادتها على صعيد دعايتها السياسية باللغة الملفوظة مقارنة باللغة البصرية، إذ بقي خطابها السياسي البصري كما اللفظي عرضة للتغيير المستمر في مكوناته، بما يتماهى وسياسة الحركة، فالشعار من بين الأسناد البصرية الذي تغيرت مكوناته عدة مرات حتى وصل إلى شكله النهائي كما يظهر في الشعار. إذن: مع التقدم المرئي الملحوظ بات شعار حركة حماس كبقية الأسناد التواصلية المرئية يحظى بأهمية متقدمة بالنسبة للحركة، حيث لا يكاد يخلو خطابها البصري على اختلاف أسناده (بيان، ملصق، ندوات مصورة، أشرطة فيديو..) من وجودٍ له؛ لكونه يعتبر المكون الأساسي في هوية حركة حماس البصرية والذي تعرف به عن نفسها للمتلقي.

بناء على ذلك، من أي رحم ولد هذا الشعار، وماهي ترميزاته، هل مكوناته تتماهى مع خطاب حركة حماس اللفظي؟

تكمن قوة الشعار، بوظيفته الثقافية، فما يتضمنه من ترميزات ذات معاني وطنية نجد أصولها في الموروث الشعبي الفلسطيني، «فما فينا أو معنا من حاضرنا، من جهة اتصاله بالماضي، هو تراث أيضا»[1]، فقبة الصخرة والسيفان وخارطة فلسطين وعلم فلسطين، عبارة عن رصيد ثقافي يتميز به هذا الموروث، فدلالاتها المتعددة في قاموس الثقافة الشعبية الفلسطينية، منحتها سمات وطنية وثورية، إذ إن الواقع المعيش للشعب الفلسطيني، وخصوصيته الأمنية المرتبطة ارتباطا جذريا بالسلوك الأمني الإسرائيلي، كوَّن صورة ذهنية في المتخيل العربي والعالمي حول تلك الترميزات، التي تعد رمزا للكفاح وهوية بصرية محفورة في المتخيل العربي حول شكل النضال الفلسطيني.

بالتالي فإن قبة الصخرة التي تعلوها خارطة فلسطين ويحيط بها علمان طبع على الأيمن عبارة (لا إله إلا الله) والأيسر عبارة (محمد رسول الله) وكأنهما يحتضناها ويتعانق أسفل القبة سيفان يتقاطعان عند قاعدة القبة، ثم يفترقان ليكوّنا تأطيراً سفلياً لها، نلاحظ أن ملفوظ فلسطين جاء أسفل التمثيل، فيما كتبت عبارة «حركة المقاومة الإسلامية - حماس» على شريط أسفل الصورة. تلك الترميزات لها جذريتها المورث الديني والثقافي الفلسطيني، فهي ذات أصول عقدية وثورية، صاغتها حركة حماس في شعارها بهدف خدمة تصوراتها، لإدراكها بمكانتها في المتخيل الإسلامي والفلسطيني.

وفق تعبير مشيل مافيزولي، فإن لعبة الأشكال في عصرنا هذا تركز على الراهنية المتعوية، فالتمثيل للمسجد الأقصى كما يظهر في الشعار نجده يخلق ما يسمى بالذاتية الجماهيرية لدى الجمهور الذي يجد أخلاقياته في كل ما هو مشترك سواء متعة أو قسوة، وبتلك التشاركات تتعزز التعاطفية بين الجماهير[2]، لتخلق بينهم روابط مشتركة يتقاسمون فيها مشاعرهم وأحاسيسهم وتضفي عليهم الطابع السحري، لأن تلك الذاتية تعمل على إبراز القوة الخفية اللامرئية التي تعمل على تحريك تلك المشاعر والاحاسيس، إذ بمجرد رؤيتهم للمسجد الأقصى يستحضرون مجموعة من التمثلات التي تثير فيهم سلسلة من الأحاسيس اللامتناهية. وهنا تكمن تلك القوة الخفية، في رمزية المسجد الأقصى الذي يضمر خلفه عوالم الرمزي، القادر على خلق لحمة مشتركة بين الأفراد تتحول إلى طاقات تعبيرية متفجرة في كل الاتجاهات بمقدورها أن تبكيهم وتفرحهم. إن تلك الدلالات لم تأتي من خارج التمثيل للمسجد الأقصى، بل من خلال ترميزاته القائمة بحد ذاتها على سلسلة من العلاقات ذات الطبيعة الدلالية المبنية على نسق من العلاقات التشكيلية، فما تضمنه هذا التمثيل يعبر عن معاني سلوكية وثقافية واجتماعية، تعد بمثابة سند يحاكي ممارسات اجتماعية متفق عليها في الذهن الجمعوي[3]، تلك التمثلات حول المسجد الأقصى تخلق فردا جماعيا، تتلاحم مشاعره مع الغير، وهذا ما تعززه بعض المهرجانات التابعة لحركة حماس حينما يقوم أفرادها برفع مجسم كرتوني للمسجد الأقصى يطوفون به ويكبرون نصرة له، رغم إدراكهم بأنه مجرد تمثيل، إلا أن مشاعرهم تسيطر عليهم وتدفعهم إلى سلوكيات عاطفية[4].

نستنتج أن التوليفة التي أنتجها القائمون على الشعار، وقاموا بتوظيفها أرادوا من خلالها تعزيز هوية حركة حماس وترسيخها في المتخيل الجمعوي، بأنها ليست حركة وليدة عصرنا هذا، بل هي امتدادا عضوياً لزمن النبوه، فكما لاحظنا قام منتجو الشعار بتوظيف مجموعة من المكونات ذات البعد الرمزي بهدف تملك تلك الرمزية لتظهر للمتلقي بأنها ذات بعد عقائدي ممتد منذ زمن النبوة لتصل بنهاية المطاف بالمتلقي إلى تثبيت قناعاته المؤيدة لسياساتها. وعليه، يعد شعار حركة حماس ذو تركيبة تحاكي الواقع المعيش للمتلقي الحالم بتحرير الأقصى وفلسطين من اليهود.

من خلال اللون نستطيع أن نطل على الملصق ومقاصده الداخلية، وهذا الوصف يطلق عليه رمزية اللون «symbolic colour» إذ «إنه يتم استخدام اللون استخداماً رمزياً في اللوحات الفنية[...]، ويستخدم اللون كذلك رمزياً للدلالة على العمق والقرب كما فعل فينسينت فان غوغ Vincent Van Gogh الذي استخدم اللون الرمزي للتعبير عن العوالم الداخلية»[5]. لذلك، فإن تحديد الألوان يساعد على تقديم قراءة إيحائية منطقية لما لها من وظيفة رمزية تؤثر في سلوك المتلقي، هذا ما أكده سعيد بنگراد «اللون يمتلك طاقة تعبيرية يمكن استثمارها في كل

سيرورات التواصل الإنساني[...] إنه يعد أداة لإثارة الانتباه واستمالة النفوس، والإيحاء بعوالم قد لا تستطيع الكلمات الكشف عنها أبداً»[1]. بناء على ذلك، تعد مسألة اختيار اللون لدى متخصص فنون الغرافيك «graphic arts" مسألة مهمة، حيث أنها تعد من بين التشكيلات التي يعتمدها الشعار كمادة بصرية في إحداث ردة فعل لدى المتلقي، لذلك يجب أن تتم مراعاة اللون بما يتوافق ومضمون الشعار، كما وأن المكون اللفظي بالشعار يجب أن يكون متوازيا مع المكون البصري[2] وهذا ما يظهر لنا لما تضمره الألوان من معاني.

يتضمن الشعار مجموعة من المكونات ذات العلاقة التناظرية مع الواقع المَعيش فـ (ألوانه ورموزه ومكونه الملفوظ)، التي تستثمرها حركة حماس وتعيد صياغتها بما يتماهى وتصوراتها التي تحاكي المتخيل العربي والإسلامي وتؤثر في قراراته. من بين تلك المكونات (الألوان)، إذ يرتبط إدراك المتلقي لرمزيتها بمرجعياتها الثقافية والاجتماعية فإن «كل مجموعة بشرية تنظّم رمزيًا العالم المحيط بها وخاصة إدراك الأشياء وخصائصها اللونية»[3]. لذلك عمل منتجو الشعار على اختيار توليفة من الألوان ذات الدلالات الوطنية والدينية التي لها حضور في المتخيل الإسلامي والفلسطيني. إذ نلاحظ حضورا قويا للون الأخضر في كافة خطابات حركة حماس البصرية ومن بينها الشعار الماثل. فلا تكاد تخلو مواقعها الإلكترونية وملصقاتها السياسية والعسكرية ومهرجاناتها من اللون الأخضر، لإدراكها أنه ينال موقع متقدم في المتخيل الجمعوي الإسلامي. ولأنه يعبر عن عمق ثقافي مرتبط بمرجعيات دينية واجتماعية منحته تلك المكانة الهامة في الموروث الإسلامي. ليصبح هذا اللون بصمة مرئية تتميز بها حركة حماس في خطاباتها المؤثرة في الذهن الجمعوي لكونه «يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس، كما ويمثل التجدد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار، إنه لون الطبيعة الخصبة»[4]. إن اللون الأخضر وما يتضمنه الشعار من مكونات رمزية وعبارات، تفصح لنا عن هوية حركة حماس ونظرتها إلى الصراع مع الإسرائيلي، إذ تستند في قوتها على خلفية عقدية وتعتمد في قتالها على عنصر الشباب المسلم، وهاتان الركيزتان تستثمرهما حركة حماس في أغلب خطاباتها اللفظية والبصرية، وكذلك في استراتيجيتها التواصلية. لذلك يعد اللون الأخضر مكونا أساسيا من بين مكونات هويتها الثقافية، لكونه يحظى بحمولة فكرية في المتخيل الإسلامي كما ذكرنا آنفاً.

تلتزم حركة حماس في خطابها بالصبغة العقدية، فما يطرحه البعض من أبناء الأمة الإسلامية، بأن خطابها ~~يخلو من الأهداف~~ السياسية، مبررا ذلك بأنها تعمل لإعلاء راية الإسلام، ولا غاية لها سوى ما تقوله في خطابها، ما هو إلا طرح عاطفي بعيد عن العقلانية، فما يضمره خطابها من معاني يظهر حجم التدخل الفكري في صياغته؛ لكونه مرتبط بأشكال المنع[1]، وهذا يعني سعي كتائب القسام وراء الرغبة والسلطة التي ترنو إليها في خطابها، فقد خصّت فئة من الأفراد المؤمنين بالله والملتزمين بالإسلام عن غيرهم من مكونات المجتمع الفلسطيني، حينما بيّنت بأن تحرير فلسطين حكرا على فئة من الناس المسلمين، وبهذا تكون الهوية العقدية وفق رؤيتها هي العتبة الأساسية من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال، بيد أن شرائح المجتمع الفلسطيني متعددة منها ما هو مسلم ومسيحي، كما أن فصائل العمل الوطني الفلسطيني ذات مشارب فكرية مختلفة منها ماهو يساري وليبرالي وعقدي..

إن استناد حركة حماس على الملفوظات والنصوص العقدية في شعارها، يفصح لنا عن ثقافتها ذات الأصول العقدية، فمهما تغير شكل وأسلوب خطابها، ومهما تماهى مع المتغيرات الإقليمية والدولية وتحور مع الوقائع والأحداث، يبقى مضمونه مرتبطا ارتباطا جذريا في الهوية العقدية لها، حيث أن «الخطابات التي تقال مع الأيام والمبادلات، والتي تذهب مع الفعل نفسه الذي نطق بها، والخطابات التي هي مصدر وأصل عدد معين من الأفعال القولية الجديدة والتي تعيد تناولها وتحولها أو تتحدث عنها [...] والخطابات التي تقال إلى الآن، وتظل قابلة لأن تقال، [...] إنها النصوص الدينية أو القانونية، إنها أيضا هذه النصوص المثيرة للانتباه عندما ننظر إلى هويتها..»[2]، وبهذا تُعدّ الخطابات ذات اللغة العقدية من بين النصوص الأكثر استهلاكا وثباتا في لغة الخطاب على وجه العموم، وخطاب حركة حماس على وجه الخصوص، لذلك، تستثمر نصوصا

عقدية بشكل كثيف في خطابها، بينما نجدها في بعض الأحيان تحاول إضافة لغة وطنية مبتعدة بعض الشيء عن لغتها العقدية، ومتماهية مع ظرفية الحدث، فتارة تؤكد بأن معركتها مع الاحتلال قائمة على سلبه للأرض الفلسطينية، متجاهلة عن قصدية اللغة العقدية التي كانت حركة حماس أكدت عليها في ميثاقها عام ٨٨٩١، وتارة تعتبر نفسها بأنها مشروع تحرري وطني، متعارضة مع ميثاقها في المادة الثانية عشر، حينما بيّنت بأن الوطنية من وجهة نظرها مرتبطة بأسباب ربانية تمنحها روحا وحياة، تتصل بمصدر الروح وواهب الحياة ...[٣]، وبهذا فالوطنية من وجهة نظر حركة حماس ملفوظ مُلغز يضمر خلفه معاني عقدية.

ثم فإن، الصورة تتحلى بخاصية ليست الوحيدة، فهي من طبيعة ملتبسة ذات معاني متعددة يصعب الوصول إليها من قبل المتلقي. ثمّ تفصح لنا التوليفة في الشعار عن العلاقة الدقيقة التي تربط بين الحرص على الحاضر والحياة الاجتماعية والمتخيل التي وظفتها حركة حماس في شعارها، فهذه الجماليات «بمفهومها المتصل بالتطابق مع الغير والرغبة الجمعانية والعاطفة والاهتزاز»[٤]. فعبارة (لا إله إلا االله محمد رسول االله) ملفوظ إسلامي وظفته حركة حماس من الواقع المعيش لعلمها بتأثيره في المتخيل لدى المتلقي الفلسطيني. إذ إن استراتيجية حركة حماس المعلنة في المادة العاشرة من الباب الثالث، في ميثاقها، بشأن نظرتها للقضية الفلسطينية على أنها أرض وقف إسلامي لا تخص سوى فئة المسلمين من الشعب الفلسطيني والعربي والعالمي نجدها تتماهى مع الملفوظ في الشعار لينسجمان في قالب واحد ويكشفان لنا عن خطاب حركة حماس ونظرتها للصراع بأنه صراع عقدي. بالإضافة لكونه يظهر لنا عن العلاقة التناظرية التي تمارستها حركة حماس مع الواقع، إذ من خلال تلك العبارة تخترق وجدان المخاطبين وتحاكي واقعهم الإسلامي ومعتقداتهم الدينية التي تعد بالنسبة لهم ثوابت مقدسة لا يمكنهم التخلي عنها. تلك العبارة فيها دلالة واضحة على تغييب حركة حماس للآخر سواء من الديانات السماوية داخل فلسطين أو خارجها أو من المتعاطفين مع القضية الفلسطينية على اختلاف معتقداتهم.

يتضمن الشعار مجموعة من المكونات الأيقونية التي تلعب دورا مهماً داخله. إن تمثيل قبة الصخرة داخل الشعار يعد استبدالاً مرئياً مارسته حركة حماس بدل الأصل تسعى من ذلك إلى تكريس رمزية جديدة من خلال الحفاظ على وضعة العنصر الممثل وتغير هيئته للرائي. إذن أبرزت حركة حماس هويتها العقدية في تعاملها مع فلسطين وقضيتها حينما استثمرت رمزية العنصر لخدمة تصوراتها مضمرة أهمية القدس ومكانتها التاريخية في المتخيل الفلسطيني والإسلامي والعربي والعالمي. كما وسعت حركة حماس من خلال شعارها إلى بلورة رؤية جديدة لدى المتخيل الجمعوي الفلسطيني والعالمي قائمة على تثبيت وجهة نظرها في مسألة الصراع بين الفلسطينين والإسرائيلين وحصره في صراع ديني. مغيبة بذلك وجهة نظر باقي التنظيمات الفلسطينية التي تنادي في خطابها بالحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، ليقتصر الأمر على صراع ديني لا صراع حق كما يصرحون. إن ما أنتجته حركة حماس من شعار عززت فيه مكانة التصور الديني للجغرافية الروحية لخريطة الكون، وألغت النظرة الحيادية الأنثربيولوجية والتاريخية للمكان، فبتلك الرمزية ثبتت الحكم التفاضلي لا التاريخي للمكان. فوضعة القدس كعنصر رامز داخل الشعار وما لها من حمولة تأثيرية في المتخيل الجمعوي استثمرته حركة حماس لكونها تعلم أن ما لقدسية المكان وجغرافيته من تأثير في المخاطبين[١]. تلزم الإشارة إن القدس وما تعنيه من دلالات ليست مكاناً دينياً فقط، بقدر ما هي رمزا تاريخيا لحضارات وثقافات متعاقبة في المتخيل الإسلامي والعالمي. إن وضعة قبة الصخرة وهي محاطة بتوليفة (تشكيلية وأيقونية ولونية) في مجملها ذات صبغة حزبية وعقدية فرضتها حركة حماس على العنصر الرامز ووظفته في شعارها. بهذا التعويض للرمز تجلت هوية حركة حماس السياسية التي تقوم على الاستبدال والتعويض البصري لتثبيت شعارها وسياستها في المتخيل الجمعوي.

عبرت حركة حماس عن هويتها البصرية من خلال اللون الأخضر المصبوغ على خارطة فلسطين داخل الشعار، إذ يعد عنصرا رامزا لها تسعى من خلاله لإبراز هويتها السياسية. عملت أيضا على تغير طبيعة الرمز من خلال المحافظة على وضعته وتعويضه باللون الأخضر. إن رمزية فلسطين وما تعنيه من معاني في المتخيل الجمعوي ليست حكراً على سياسة حزب؛ لكونها تحظى بمكانة متقدمة في المتخيل العالمي، لأنها ليست مجرد دولة ذات جغرافية محددة بقدر ما هي فكرة يجمع حولها عددا كبيرا من الناس على اختلاف تصوراتهم ومرجعياتهم الدينية حول العالم. بتلك الإضافة لعنصر اللون تسعى حركة حماس إلى تغير تلك الفكرة في المتخيل الجمعوي من فكرة عامة ذات إجماع دولي إلى فكرة خاصة حددتها بفئة الأمة الإسلامية. تمارس حركة حماس تواصل سياسي مرئي من خلال استبدال عناصر الرمز المرئية بعناصر أخرى تتماهى وسياستها وأهدافها، إذ بات الرمز بتغيرها لعناصره المرئية يتضمن في باطنه رسائل محددة، بعضها للمختلفين معها سياسيا والأخرى لجمهورها المؤيد لسياستها. إن تلك الرسائل تفصح للرائي عن معاني محددة بأن حركة حماس ثابتة ومتماسكة في نظرتها للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولن تفرط بأي شبر من فلسطين التاريخية. يعلن لنا أسلوب التبديل الذي مارسته حركة حماس على عناصر الرمز عن نظرتها العقدية القائمة على سيطرتها على كل شبر من فلسطن ونشر تصوراتها العقدية في كافة أرجاء فلسطين. تلزم الإشارة، أن خطاب حركة حماس المرئي يتماهى مع اللفظي الذي تقوم بتسويقه في كل مهرجاناتها وتؤكد على أن ضرباتها الصواخية ستطال كل أرجاء فلسطين وأن مشروعها الإسلامي سيكون صاحب السيادة على المنطقة. وتؤكد أنها صاحبة الولاية الدينية في الحفاظ على فلسطين التي تنظر إليها أنها وقف إسلامي وتحرم التفريط في أي شبر منها. حينما ولدت حركة حماس من رحم الإخوان المسلمين ركزت في عملها على الجانب العسكري داخل الأراضي الفلسطينية، دون إلغاء عملها السياسي. هذا ما أفصح عنه الباب الأول في المادة الثانية من ميثاقها على أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين في فلسطين. ما يظهر للرائي في خارطة فلسطين يتماهى مع خطابها الملفوظ، وكأنها تؤكد للمتلقي أن نطاق عملها العسكري مخصص فقط للأراضي الفلسطينة من شمالها حتى جنوبها، أي فلسطين التاريخية. بالإضافة أن حركة حماس من خلال عملية التبديل التي مارستها على العنصر الرامز (خارطة فلسطين) فقد حصرت ذاتها في فئة محددة من الناس وحددتها بالمسلمين دون غيرهم، فالولوج إلى حركة حماس يتطلب شرطا أساسيا وهوية إسلامية، هذا ما أكدته المادة الثالثة من ميثاقها في جزئية (البنية والتكوين)، حينما حصروا حركة حماس في فئة من المسلمين ذو الولاء لسياستها. فالخارطة الماثلة أمامنا تشير إلى سياستها ورؤيتها الاستراتيجية.

يمثل العلم الفلسطيني الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني بكافة مكوناته وديانات. لكن العلم تعرض إلى عملية استبدال عناصر بأخرى، بحيث نجد أن عبارة التوحيد (لا إلاه إلا الله محمد رسول الله) قد تم توظيفها في الشعار. وهذا التغيير على شكل العلم الفلسطيني يشاهده المتلقي، إذ يشاهد أن وضعية العلم بقيت على حالها مع إضافة عناصر جديدة ليغدو علم فلسطين وما يعنيه من دلالات في المتخيل الجمعوي ذو رمزية عقدية وليس وطنية كما كان عليه. وبهذا الاستبدال أفصحت حركة حماس عن قيمها الفكرية المتمثلة بالجانب العقدي، كما وسعت إلى تكريس ثقافتها في المتخيل الفلسطيني والعالمي، بأن فلسطين إسلامية ولا مكان لغير الإسلام فيها ومبدأ الشراكة السياسية قائم على وجهة نظر إسلامية لا يمكن لحركة حماس أن تتخلى عنها، لكونها تدخل وفق أدبياتها بالمساس بالمقدس وهذا يتعارض مع منهج حركة حماس العقدي. إن ملفوظ الوطنية حسب وجهة نظر حركة حماس وفق ما أكدت عليها في ميثاقها في الباب الثالث، المادة الثانية عشربأنها جزء من الدين وعلى ذلك تربى أفرادها، ولرفع راية االله فوق وطنهم يجاهدون وبذلك نلاحظ انسجام كامل بين خطابها الملفوظ والمرئي.

وفي ذات السياق، يبدأ الفرد بتشكيل تصوراته إزاء موضوع ما، بما يتماهى وحاجاته ومتطلباته النفسية لأن «الفكرة الرمزية ليست تمثيلاً متسلطاً، بل تمثيلاً يتذكر بشكل ما مواقف التكيف ولا ينسى»[1]، من هنا، عمدت حركة حماس على توظيف تلك العبارة في رايتها لتثبيت تصوراتها في مخيال المتلقي، مؤكدة له بأنها خير حافظ لدين الله ورسالة نبيه، تلك التصورات وغيرها تتولد عند المخاطب نتيجة تفاعله مع العبارة التي تستحضر لديه أمجاد الدولة الإسلامية وقوتها وكرامة أبنائها، ليشعر بأنها قادرة على توحيد الإسلام وإحياء روح الأمة الإسلامية التي باتت في المتخيل الجمعوي متراجعة وغير قادرة على تلبية طموحات أبنائها. إضافة إلى ذلك، تتشكل في المتخيل الإسلامي هوية كل مسلم على اختلاف جغرافيته وعرقه مما تولد لديه

شعورا جمعوياً يلبي رغباته، فباتت التجمعات «لا تدين بأي شيء الآن للبرمجة العقلانية، بل هي تقوم على الرغبة في العيش مع الشبيه، حتى لو أدى إلى طرد المختلف»[٢]، فالفرد داخل المجتمعات يبحث عمن يشاطره هويته وأفكاره وتصوراته لأنها تعزز لديه مكانته التي توحده مع غيره ليتشارك معهم مشاعره وأحاسيسه، هنا باتت الحدود والجغرافيا لا مكان لها في متخيله ليحل مكانها شعوراً جمعوياً، فالدين كما باقي الحياة الاجتماعية يعد مكانا خصباً لتلاقح المشاعر، من خلاله يلبي الفرد رغباته ويعزز شعوره مع الجماعة، بالتالي تقوم عبارة التوحيد وما تتضمنه من موروثا ثقافيا إسلاميا على دغدغة أحاسيس الفرد ومنحه شعورا بالوحدة مع الغير.

يرمز السيف في المتخيل الثقافي العربي إلى القوة والنبل[٣] وحركة حماس استثمرت تلك الرمزية ووظفتها في شعارها لإدراكها بفاعليتها وقدرتها للولوج إلى ذهن المتلقي لتغيير مواقفه وتثبيت وجهة نظرها وسياستها. رمزية السيف وما تعنية من قوة، فيها رسالة خفية، تسوقها حركة حماس للمتلقي بأنها تحمي مشروعها العقدي وتحتضنه ولن تسمح لأي كان أن يعيق مشروعها سواء كان الإسرائيلي أو خصمها السياسي (م.ت.ف).

يظهر أن الشعار تضمن مكونات متناغمة مع بعضها البعض، ومحمّلة بالترميزات آنفة الذكر، وهذا جعل منه خطاباً بصرياً بليغاً ومؤثراً في المتلقي في جوانبه الفكرية والنفسية. حيث يقف المتلقي أمام تلك العناصر التي تعرضت للتغيير الظاهري ويبدأ بإدراكها لكونها تحاكي الواقع المعيش بالنسبة إليه، وبذلك الإدراك يتفاعل المتلقي مع عناصر الشعار لتبدأ تلك العناصر بالتأثير في قراراته وتقوده نحو غاياتها بلا قيود، «صحيح أن الحيوان الناطق يعيش صمت الإعجاب أمام صورة جميلة»[٤]، فما يتضمنه الشعار من مكونات وعناصر تم تركيبها من قبل حركة حماس لم توضع بشكل اعتباطي بل حُمِلَت بمعاني لا متناهية تعبر من خلالها حركة حماس عن هويتها العقدية، بحيث يعد هذا الُلبس من بين ميزات الصورة، فهي دائمة الفرار ولا يمكن حصر تأويلاتها. ثم فإن حمولة الشعار الثقافية وكثافة الأحاسيس المبثوثة في مكوناته تلعب دورا متقدما في التأثير في المتلقي، فالشعار يزدحم بالبواعث النفسية والمؤثرات العقدية التي بمجملها تتهيج فور وقوع رؤية المتلقي عليها، لتبدأ بالاشتغال والتأثير في متخيله خالقة نوعاً من الصمت لديه، بتلك السلطة يغدو المتلقي مكبلاً منقاداً طواعية نحو مبتغى الشعار[٥].

نجد أن الشعار، ماهو إلا شكلاً مدججاً بالرموز، مستعاراً من شيء عتيق ومرجعيات أسطورية، وظفتها حركة حماس في خطابها البصري، فهو أحد تلك الخطابات المرئية؛ لأن الأساليب القديمة يتم استخدامها بأساليب جديدة وبتقنية حديثة، فالعالم التخيّلي ينهض من أساس نمط أصلي ومرجعيات أسطورية وقديمة[١] وهذا ما يظهر لنا من خلال مجموعة المكونات المنتشرة في الشعار. يتصف الشعار باستعادة إحياء عناصر قديمة في قالب حداثي يتماهى وسياسة حركة حماس، فكافة مكونات الشعار التشكيلية والأيقونية مستوحاة من نمط اجتماعي قديم.

سعت حركة حماس من خلال مكونات الشعار إلى دغدغة مشاعر المخاطبين من خلال مجموعة من الترميزات العقدية الظاهرة في الشعار بهدف تأكيد تمسكها بالثوابت التي أفصحت عنها في ميثاقها، فـ «الرموز والألوان والعبارات» العقدية جاءت معبرة عن هوية حركة حماس المستقلة والمختلفة عن فكر سياسي معاكس لمشروعها.

إن الشعار السياسي المبني على قصدية الدلالة، تم بناء مكوناته بهدف تسويق أفكار وتصورات حركة حماس، إذ أن تلك المكوناته تم بناؤها لِتَكون ذات بعد تأثيري قادر للوصول إلى نفسية المتلقي، فالتمثيل الأيقوني والتشكيلي ومعهم المكون اللساني المنتشرة فوق سحطه وضمن تأطيره جلها حاملة لمجموعة من المعاني تتفاعل فيما بينها مولدة خطاباً سياسياً مؤثراً في المتلقي، فما نشاهده من عناصر لم تبنى لغرض جمالي فقط، بل بواسطتها سُوِقَت رسائل دعائية حاملة معها خطاباً تمت هندسته وفق صيغة بصرية ذات تأثير في المتلقي.

بناءً على ما سبق، يشكل الشعار خطاباً لا يَقل بدرجة تأثيره عن الخطاب اللفظي؛ فهو يُعد من بين الوسائط التواصلية السياسية الفعالة. لذلك يحظى بأهمية كبيرة من قبل القائمين على إنتاجه لدرايتهم بمدى نجاعته في تشكيل وبلورة الآراء حول حالة معينة.

ولعل الكثيرين مازالوا لا يأبهون بمدى قدرة الصورة على خلق خطاب تواصلي ذو بعد تأثيري، ويرجع سبب ذلك: لاعتقادهم أن ولادتها جاءت لأغراض تعبيرية وإخبارية وأنها اعتباطية التركيب وعشوائية البناء، وبعضهم يعتبرها لغة تواصلية مبتورة لا يمكن لها أن ترتقي بدرجة تأثيرها إلى الدرجة الذي تُحْدِثُه اللغة اللفظية، بالإضافة إلى الكثير من الاعتقادات قد تصل إلى حد الاستهانة بعدم قدرتها على إنتاج الخطاب السياسي لاعتقادهم بأن مكوناتها قائمة على التمثيل الاعتباطي. بينما حقيقة الأمر ما توصلنا إليه في هذه القراءة، بأن الشعار السياسي كمادة بصرية يَعُج بالعلامات المتضمنة لمعاني وأفكار قائمة على قصدية الدلالة، فمكوناته، بناء ذات بعد ترميزي. وهذا ما يمنحه القوة التواصلية التي تميزه عن غيره من وسائط التواصل السياسي.

الخاتمة:

وختاماً لما سبق، تعد قراءتنا للشعار السياسي وما يتضمنه من عناصر ومكونات، ماهي إلا محاولة منا لإظهار ما أخفته ترميزاته من خلال استعانتنا بمجموعة من الأدبيات والتي كان من بينها السيميائيات، لما لديها من ترسانة مفاهيمية استطعنا من خلالها معرفة أهمية الشعار كمادة بصرية وما يخفيه خلف تركيباته من خطاب سياسي لا يقل أهمية عن نظيره اللفظي، بل وفي كثير من الأحيان يسوق خطاباً لا يمكن للفظي تسويقه، لذلك: نؤكد على مكانة الصورة وأهميتها في حياتنا اليومية فنحن فعلاً نعيش في زمنها بامتياز، ففي كثيرٍ من المواقف نجدها تُؤَثر فينا وتوجهنا نحو هدف دون غيره، وذلك لما تَحْبَلُ به مكوناتها من تصورات تم بناؤها بطريقة لا يستطيع المتلقي الإفلات منها، ولعل هذا ما يفسر من جهة أخرى توظيفها أكثر مما سبق من طرف الفاعل السياسي لكونه يعلم بمدى أهميتها التواصلية، وعليه أبدع مصمموها والقائمون عليها بزجها بالمعاني الإيديولوجية، والتي قدمنا قراءة لها في هذا المقال.

بناء على ماسبق، استندت حركة حماس في خطابها على الموروث الثقافي الفلسطيني، موظفة مجموعة من الأشكال؛ لكونها تدرك بأنها متأصلة في الذهن العربي والفلسطيني، لهذا استثمرت الماضي بهدف تأصيل الحاضر وتحويله إلى قوة مؤثرة كل التأثير في الرائي، بعد أن عثرت على سندا تعزز فيه جذورها الفتية[1]، هذا السند لم يكن لولا الموروث الثقافي الفلسطيني، لذلك تملّكته وقامت بصياغته بشكل وأسلوب آخر يخدم خطابها ودعايتها السياسية.

الملاحق:

شعار حركة حماس نموذج القراءة

المراجع

يبليوغرافيا وويبيوغرافيا المقال:

المعاجم:

- المعجم الموحد لمصطلحات الفنون التشكيلية (انجليزي، فرنسي، عربي)، منشورات المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم، مكتب تنسيق التعريب، الدار البيضاء، 1999.

الكتب باللغة العربية:

- **أحمد مختار عمر، «اللغة واللون»، منشورات عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982، الطبعة الثانية، 1997.**
- **سعيد بنكراد، سيميائيات الصورة الإشهارية الإشهار والتمثلات الثقافية، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2006. شوقي العلوي، الاتصال السياسي، النظريات والنماذج والوسائط، منشورات مركز النشر الجامعي، تونس، 2017.**
- **سامي كليب، البرغماتية (القولفعلية) في تحليل أفعال الخطاب السياسي- خطاب ترامب والملك سلمان نموذجا، منشورات الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٧.**
- **علي ملحم، المناحي الفلسفيّة عند الجاحظ، منشورات دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 1980.**
- **مشيل مافيزولي، الصورة والأسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ٢٠٠٥.**
- **فريد الزاهي، من الصورة إلى البصري «وقائع وتحولات»، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.**
- **ميشيل فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سبيلا، منشورات التنوير، بيروت، ٢٠١٢.**
- **ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، آب/ أغسطس ١٩٨٨، المادة ١و٢.**
- **سعيد بنكراد، النص والمعرفة النقدية، مجلة علامات، الموقع الإلكتروني.**
- **ديفيد لوبيرتون، الأبعاد الثقافية للألوان (مقاربة أنثربولوجية)، ترجمة فريد الزاهي، ٢٠١٩.**
- **شمس الدين الكيلاني، رمزية القدس الروحية (قداسة المكان)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.**
- **جلبير دوران، الانتروبيولوجيا رموزها أساطيرها أنساقها، ترجمة مصباح الصمد، مجد، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦.**
- **هديل جيجلي، وحيدة خرخاش، صورة السيف ورمزيته في الشعر العربي القديم، قراءة في دواوين الحماسة، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحيى جيجل.**
- **ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، ترجمة فريد الزاهي، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.**

الكتب باللغة الفرنسية:

- Dominique Wolton; La communication politique: construction d'un modèle, Hermès n 4, 1989.

محتويات العدد الخامس (04) نيسان /إبريل

التسامح الديني ركيزة أساسية للأمن القومي

Religious tolerance is an essential pillar of palestine national security

راسم بشارات
رام الله - فلسطين

تاريخ الإستلام 10-11-2022 تاريخ القبول 1-1-2022 تاريخ النشر 10-11-2023

الملخص:

في ظل تنامي الارهاب والتطرف في منطقة الشرق الاوسط خلال العقدين الاخيرين، وما رافقه من اضطرابات طائفية وعرقية ودينية، تمثلت باعتداءات الدولة الإسلامية على المذاهب الدينية الاخرى، مثل الايزدية في سنجار في شمال العراق، والمسيحيين في الموصل، واعتداءات الإرهابيين على الكنائس في مصر، تأتي الحالة الفلسطينية، كحالة فريدة من نوعها في الشرق الأوسط لتسلط الضوء على حقيقة أنها مركز الديانات السماوية، وأنها أرض السلام والتعايش، والنموذج الحقيقي الذي تطمح الإنسانية للوصول اليه، كما وأنها تشكل عامل رئيسي في استقرار الجبهة الداخلية وتنعكس بالإيجاب على الأمن القومي الفلسطيني.

تستخدم الدراسة المنهج التاريخي التحليلي من خلال تحليل الجذور التاريخية للشعب الفلسطيني بمختلف مكوناته، ودراسة العوامل والظروف التي توحده في مواجهة التحديات المشتركة، والدور التشاركي في بناء حاضر ومستقبل هذا الشعب.

وتناقش هذه الورقة موضوع التسامح الديني في فلسطين بين مكونات المجتمع الفلسطيني، المسلمين والمسيحيين، من حيث البحث في العوامل التي ساهمت ــ عبر التاريخ ــ في نشر مفهوم التسامح والتعاون والعيش المشترك، والبحث في القواسم المشتركة بين الجميع، سواء ثقافية أو تاريخية أو اجتماعية مشتركة، وما رافقه من تقاسم للهموم والامال، وبناء أرضية صلبة لتبادل الاحترام وتفهم الاخر. وهو ما قاد إلى بيئة صالحة رسخت مفاهيم التسامح، وسادت فلسطين منذ مئات السنين، وسبقت القوانين والمواثيق التي وضعتها المنظمات الدولية مثل الامم المتحدة واليونيسكو، وأصبحت نموذجا يرسم الامل في بناء مستقبل افضل للانسانية جمعاء.

ABSTRACT

The Middle East witnessed abnormal growth of terrorism and extremism last two decades, which was accompanied by sectarian, ethnic and religious unrest, represented by the attacks of the Islamic State against other religious sects, such as Yazidism in Sinjar in northern Iraq, Christians in Mosul, and Churches in Egypt. A Palestine unique case in the Middle East comes to highlight the fact that it is the center of heavenly religions, the land of peace and coexistence; and it is the true model that humanity aspires to reach. It is also a major factor in stabilizing the home front and reflecting positively on Palestinian national security.

The study uses the analytical historical approach by analyzing the historical roots of the Palestinian people with its various components, and studying the factors and conditions that unite it in facing common challenges, and the participatory role in building the present and future of this people.

This paper discusses the subject of religious tolerance in Palestine between the components of society, Muslims and Christians, by discussing the factors that contribute in the dissemination of the concept of tolerance, cooperation and coexistence, through the common denominators among all, whether they were cultural, historical or social. This was accompanied of sharing of concerns and hopes, leaded to build a solid ground for mutual respect and understanding that prevailed in Palestine for hundreds of years ago. This situation has been preceded before the laws and charters which developed by international organizations, such as the United Nations and UNESCO, where it has become a model to draw the hope for building a better future for all humanity.

Key words: Palestine, Israel, Muslims, Christians, tolerance.

المقدمة:

ظاهرة «الربيع العربي» اجتاحت المنطقة العربية مع نهاية العقد الأول من الالفية الثالثة، وخلفت تغييرات عميقة طالت الجوانب السياسية والدينية والاجتماعية في المنطقة، كان من أبرزها صعود الإسلام السياسي وتوليه السلطة في اكثر من قطر عربي، كانت مصر من أهمها، وجاءت حركة الاخوان المسلمين في مقدمة الحركات الإسلامية التي تصدرت الواجهة السياسية، وكانت التوقعات السياسية للباحثين الاكاديميين والسياسيين في المنطقة تشير إلى سهولة وصول هذه الحركة إلى السلطة في أي بلد عربي تشارك في الانتخابات فيه. وتم تعليل الأسباب في فوزها السهل إلى أن هذه الحركة كانت عابرة للحدود ولا يوجد حركة وطنية أو قومية تستطيع منافستها والتغلب عليها في حال جرت إنتخابات ديمقراطية ونزيهة.

وإلى جانب حركة الاخوان المسلمين، شهدت المنطقة نموا سريعا للحركات الراديكالية السلفية والوهابية، وأنتشرت لها فروع وخلايا عدة في المنطقة، وزاد انتشار القاعدة في المنطقة وخاصة في العراق وسوريا، وظهر تنظيم الدولة الاسلامية في العراق بقيادة أبو مصعب الزرقاوي، وجبهة النصره وأحرار الشام وجيش الشام في سوريا. وبعد مقتل الزرقاوي تولى قيادة تنظيم الدولة أبو بكر البغدادي، وكان هذا التنظيم قد بايع أيمن الظواهري ثم انفصل عنه، وأعلن تشكيل الدولة الاسلامية في العراق والشام. وفيما بعد سيطر على شمال العراق والموصل بالاضافة إلى شمال سوريا، وأعلن عن مدينة الموصل عاصمة للتنظيم في العراق، وعن مدينة الرقة عاصمة للتنظيم في سوريا، وانضم له عشرات الالاف من المقاتلين الذين قدموا من مختلف دول العالم، كان أكثر من ٧٠٪ منهم من خارج المنطقة.

نشوء الجماعات الارهابية المتطرفة رافقه انتشار مفاهيم وأفكار غريبة عن المنطقة لا علاقة لها بثقافة المنطقة وتاريخها، فانتشرت ثقافة التكفير ونفي الاخر المختلف، الذي رافقه تصاعد الاعتداءات على الاقليات الدينية والاثنية والعرقية التي تعيش في المنطقة منذ الاف السنين، في تعايش وتسامح جنبا إلى جنب مع المسلمين من السنة والشيعة، مما أدى إلى هجرة كثير من العائلات حفاظا على أرواحهم، تاركين خلفهم أملاكهم وبيوتهم لتستولي عليها تلك التنظيمات.

تنظيم الدولة الإسلامية (تنظيم داعش)، بعد سيطرتها على الموصل وشمال العراق، سعت إلى ممارسة تطهير عرقي وديني في المناطق التي خضعت لسيطرتها، مما أدى إلى نزوح قرى كاملة من الايزدية والاف المسيحيين من شمال العراق. فرع الدولة الاسلامية في سيناء نفذ سلسلة من التفجيرات في مصر، إستهدفت كنائس وأديرة ومدارس مسيحية قبطية، إضافة إلى فنادق ومراكز للمسلمين ومؤسسات حكومية واستهدفت الجيش المصري. ولم يقتصر الاستهداف على الطوائف غير الإسلامية، وانتشر القتل على الهوية بين السنة والشيعة في العراق.

ثقافة الإقصاء ونفي الاخر أدى إلى ضرب مفهوم النسيج الاجتماعي والوطني والتعايش الاهلي في المناطق التي سيطرت عليها التنظيمات الارهابية، وأدت إلى تأجيج الصراع بين الطوائف والجماعات في المنطقة، مما ساهم في تفريغ مناطق كاملة من سكانها، وأدى إلى خسائر مادية وبشرية وتدهور الاقتصاد في تلك الدول، وهجرة الملايين من مسلمين ومسيحيين وايزديين واكراد.

فلسطين كانت بمنأى عن هذه التطورات، وحافظت على جبهتها الداخلية بالحفاظ على نسيجها الاجتماعي والوطني الموروث منذ مئات السنين، ورفضت الأفكار الطارئة وفي مقدمتها ثقافة الاقصاء ونفي الآخر، وهو ما أدى إلى حالة فريدة ـــ على العالم أن يتعلم منها ـــ فيما يتعلق بالتسامح والاخوة الدينية بين المسلمين والمسيحيين في الارض المقدسة.

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى إثبات أن حالة التسامح الديني في فلسطين هي حالة فريدة من نوعها على مستوى الاقليم والعالم، ولها تداعيات ايجابية في تعزيز الوحدة والتلاحم بين مكونات الشعب الفلسطيني، كما وأنها تشكل عامل رئيسي في استقرار الجبهة الداخلية وتنعكس بالإيجاب على الأمن القومي الفلسطيني.

أهمية الدراسة

استمرار حالة التآخي والتسامح الديني في فلسطين تحافظ على استقرار السلم المجتمعي وترابط النسيج الاجتماعي، وتعزز حالة الوعي الوطني في التوحد في معركته الأساسية وهي التخلص من الاحتلال، لذا تأتي هذه الدراسة لتأكيد الأهمية القصوى في استمرار هذه الحالة وترسخها في المجتمع الفلسطيني.

أسئلة الدراسة

تسعى الدراسة إلى الاجابة على الأسئلة التالية:

كيف تبلورت الهوية الوطنية الفلسطينية والارث الثقافي الفلسطيني.

ما هي العوامل التي ساهمت في تعزيز حالة التسامح الديني في فلسطين.

ما هي الاصول العرقية والتاريخية للشعب الفلسطيني التي حمت نسيجه الاجتماعي.

ما دور الاحتلال الإسلائيلي في العمل على تمزيق النسيج الاجتماعي.

فرضيات البحث

الارث الثقافي والهوية الوطنية للشعب الفلسطيني، الذي تجسد بصيغته الحالية، جاء نتيجة تاريخ مشترك طويل عمره أربعة الاف عام، وأدى إلى تبلور هوية وطنية فريدة من نوعها، كان له التأثير الكبير في سلوكيات وتفكير المجتمع الفلسطيني والأثر الايجابي على الأمن القومي الفلسطيني.

الخلفيات الثقافية والهوية الوطنية كانت وما زالت الحاجز المنيع الذي يحمي حالة التسامح الديني بين مختلف الطوائف الدينية والاثنية (العرقية) للشعب الفلسطيني.

تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية لها جذور تاريخية وعرقية واحدة، تجسدت على الارض الفلسطينية وتفاعلت مع تاريخها، واكتسبت ميزات فريدة جعلتها مميزة بين شعوب المنطقة. وساهم الخطر الصهيوني منذ أكثر من مائة عام وحتى اليوم في ترسيخ مفهوم المصير المشترك في مواجهة الخطر المشترك.

منهجية البحث

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي والمنهج الوصفي من خلال تحليل الجذور التاريخية للشعب الفلسطيني بمختلف مكوناته، ووصف ودراسة العوامل والظروف التي توحده في مواجهة التحديات المشتركة، والدور التشاركي في بناء حاضر ومستقبل هذا الشعب، وانتشار ثقافة الراي والرأي الاخر.

وتحاول الدراسة الاسترشاد بالفيلسوف امارتيا سن (عالم وفيلسوف هندي صاحب نظرية الرفاه الاجتماعي وحاصل على جائزة نوبل في اقتصاد الرفاه) في التحذير من السياسة الاستعمارية الاسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فيما يتعلق بدب الفرقة وزرع النعرات الطائفية، ضمن سياسة فرق تسد. تلك السياسة التي نشطت فيها بريطانيا إبان نشاطها الاستعماري، وبشكل خاص في الهند، ووقف لها المهاتما غاندي بالمرصاد، حيث يتم تحديد هوية الناس بناء على الاثنية الدينية واعطاء أولوية مسبقة لجماعة معينة على حساب الهويات الاخرى، مما يؤدي إلى نشوء حواجز بين الاثنيات المختلفة ويقود إلى خلل في النسيج الاجتماعي والتعايش بين تلك الاثنيات، ويؤدي إلى تسلط تلك الجماعة على الجماعات الاخرى، مما يولد مزيدا من الفرقة تكون سببا في سعي الجماعات الاخرى للانفصال، وتسبب إراقة الدماء، كما حصل في شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ عند

استقلال الهند عن بريطانيا وما نتج عنه من حرب أهلية طاحنة قسمت شبه القارة الى دولة هندوسية (الهند) ودولة اسلامية (باكستان الشرقية وباكستان الغربية التي اصبحت فيما بعد باكستان وبنغلاديش).

الجذور التاريخية للشعب الفلسطيني

تؤكد الوقائع التاريخية أن معظم الشعوب القاطنة في الوقت الحاضر في منطقة الهلال الخصيب (العراق، سوريا، لبنان، الاردن وفلسطين) هي شعوب سامية، كان موطنها الاصلي في الجزيرة العربية. وأكد الباحث الالماني أدولف شبرنغر في أواسط القرن التاسع عشر على أن الساميون هم عرب، منهم الاكاديون الذين استوطنوا العراق في الألف الرابع قبل الميلاد، والكنعانيون الذين استوطنوا في سوريا ولبنان وفلسطين. ومنهم أيضا الاراميون الذين استوطنوا في سوريا، والغساسنة الذين استوطنوا في مناطق من سوريا ولبنان وفلسطين والاردن، وكانت آخر الموجات السامية التي خرجت من الجزيرة العربية هم العرب المسلمون (رباط، ٩٠٠٢).

الغساسنة هي عبارة عن تحالف عدة قبائل عربية مسيحية، أشهرها الازد، تؤمن بعقيدة الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام « المونوفيزيت» قدموا إلى المنطقة في نهاية القرن الثالث الميلادي، وهو ما اوقعهم في خلاف مع الامبراطورية البيزنطية التي تؤمن بالطبيعتين للمسيح، وظل الخلاف قائما، وأثر سلبيا على العلاقات بين الطرفين، وكان من أهم نتائجه إنضمام جيش الغساسنة المسيحيين إلى الجيش العربي الإسلامي في معركة اليرموك عام ٦٣٦ م. نتائج المعركة جاءت بانتصار العرب وطرد البيزنطيين من المنطقة كاملة (مدابيل، ٩٠٠٢،٥٢).

وعند قدوم العرب المسلمين إلى المنطقة وطرد البيزنطيين منها، كانت غالبية سكان البلاد يدينون بالمسيحية، وكانت اللغة السائدة في المنطقة لغتان: اللغة الارامية (لغة المسيح عليه السلام) واللغة العربية (لغة القران الكريم)، وقد تقبلهم السكان وأعتبروهم محررين وليسوا غزاة. وأدت سياسة التسامح لدى المسلمين إلى اعتناق قسم كبير من السكان للدين الاسلامي خلال القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي (رباط، ٩٠٠٢).

ومن العائلات العربية في فلسطين، التي تعود اصولها الى الغساسنة هي عائلة الخازن، حيث انتشرت في عدة مناطق جغرافية، منها عين عريك وبير زيت وجزء من سكان الطيبة (مدابيل، ٩٠٠٢، ٩٢). ويؤكد الباحث مفلح العدوان على أن سلالة الخازن تنتشر في الطيبة، بير زيت، جفنا، عين عريك، والزبابدة، حيث اورد في كتابه «عشائر الدبابنة .. احفاد الغساسنة»، أنه في أواسط القرن الرابع عشر هاجر الاخوة فرح وخليل وصالح ونمير أبناء سليمان بن نمر الخازن الغساني من لبنان إلى شرق الاردن، ومن الاردن انتقل الاخوان فرح ونمير إلى فلسطين واستقرا في الطيبة، ومن سلالتهم جاء الفلسطينيون مسيحيو تلك البلدات (العدوان، ٤١٠٢).

كما أن تاريخ سكان بيت ساحور على موقع كنيسة الاباء والاجداد للروم الارثوذكس يشير إلى أن مدينة بيت ساحور كانت شبه خالية من السكان في القرن الثالث عشر. وفي ذلك القرن بدأت تفد اليها أسر مسيحية تباعا هربا من الظلم والاضطهاد الديني في المناطق التي كانت تعيش فيها خارج فلسطين، منها عائلة داود جد حمولة القزحة التي تنسب لدولة الغساسنة المسيحية، وذلك في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي، في عام ٠٣٦١ (كنيسة الآباء، ٢١٠٢).

ومن المؤكد أيضا أن عائلات الفراحية في مدينة بيت لحم ينتهي نسبها بالغساسنة، إذ أن جدهم فرح جاء من وادي موسى عام ٠٠٦ م، تلك المنطقة التي كانت جزءا من دولة الغساسنة. وتتكون حمولة الفراحنة من العائلات التالية: ناصر، جعار، تويمة، جاسر، أبو عياش، الجمل، يونس، الصقعان، دويرى، صليبي، سلامة، الأعمى، الزغبي، قطان، حنانيا، قراعة، سالم، أبو حمود، أبو سعادة، قزاقيا، مرة، ميلاده، زبلح، ماريا، بلوط، عصفورة، فقوسة، سلمان، أبو الدنين، حرب، مسلم، الأعرج، بابون، شحادة، سايح، حيحي، الجدي، السعدي.

أما بخصوص تعداد الشعب الفلسطيني، فإن التقديرات تشير إلى أن العدد الاجمالي يصل إلى ٤١ مليون، منهم ٢ مليون فلسطيني مسيحي. غالبية الشعب الفلسطيني يقيمون في فلسطين التاريخية والدول العربية المحيطة بفلسطين، والبقية خارج الوطن العربي. القوانين الفلسطينية تضمن كافة حقوقهم التاريخية وتؤكد على ارتباطهم بوطنهم مهما طال الزمن، إذ أن القانون الفلسطيني يعرف الفلسطيني بأنه أي شخص ولد لأب فلسطيني. والفلسطيني المقيم في فلسطين أو خارجها بغض النظر عن ظروف مغادرته البلاد فهو مواطن فلسطيني، وهذا ينطبق على الفلسطينيين المسيحيين كما ينطبق على الفلسطينيين المسلمين (اللحام، ٢١٠٢).

وعلى الرغم من عدم توفر إحصائيات رسمية حول عدد الفلسطينيين خارج المنطقة، فإن ما ذكر أعلاه يأتي حسب التقديرات. فعلى سبيل المثال يوجد في تشيلي جالية فلسطينية يصل عددها إلى ٠٠٤ الف، ٥٩٪ منها من مسيحيي بيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا. وفي البرازيل فإن العدد يتجاوز ٠٦ الف، منهم عائلة فلسطينية واحدة، هي عائلة عصفورة، كان عدد أعضائها خمسة الاف في عام ٢٠٠٢ (Asfora, 2002). وتناول الباحث حسام حزين، برازيلي من اصل فلسطيني من مدينة بيت لحم، تاريخ هجرة عائلته، في أوائل القرن الماضي، موضحا أسباب الهجرة الفلسطينية في ذلك الوقت بالقول أنها بدأت بعد زيارة الامبراطور بيدرو الثاني للارض المقدسة وتشجيعه للعرب بالهجرة الى البرازيل. وبعد اجتماع الامبراطور مع رجال الدين المسيحي في بيت لحم، فكر رجال الدين بارسال مبعوثين لجمع التبرعات لصالح الكنائس في فلسطين التي كانت تعيش ظروفا اقتصادية صعبة. وهي نفسها التي دفعت الفلسطينيين للهجرة إبان فترة الحرب العالمية الاولى، ووقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني الذي أخذ يضيق على الشعب الفلسطيني من أجل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين. ويضيف الباحث بأن الوضع السائد في فلسطين إنعكس على المهاجرين الفلسطينيين في تلك الفترة وجعلتهم لا ينظرون إلى الخلف، في إشارة لعدم توفر الرغبة بالعودة إلى فلسطين (Hazin).

تأثير الإحتلال الإسرائيلي على الفلسطينيين

إنشاء دولة «إسرائيل» عام ٨٤٩١ أدت إلى تشريد حوالي ٠٠٧ ألف فلسطيني من مدنهم وقراهم وتحويلهم إلى لاجئين، حيث كان عدد سكان فلسطين قبل الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى وقيام دولة «إسرائيل»، مليون وتسعمائة وثمانون الف، منهم ٥٤١ ألف مسيحي، أي ٦,٧٪ من مجموع السكان. وبعد الحرب لم يتبقى داخل الأراضي التي أقيمت عليها «إسرائيل» سوى ٤٣ ألف مسيحي، وأصبح ٠٦ ألفاً، أي ٣,١٤٪ من المسيحيين الفلسطينيين لاجئين خارج فلسطين، فيما لم يتاثر ١٥ ألف فلسطيني مسيحي من سكان المناطق الفلسطينية التي كانت خارج الأراضي التي اقيمت عليها «إسرائيل»، وهم سكان الضفة الغربية وقطاع غزة. وهذا يشير إلى أن إنشاء دولة «إسرائيل» كان العامل الأساسي الذي أدى إلى انخفاض نسبة المسيحيين الفلسطينيين ووصلت إلى ٤,٢٪ . وتعزى النسبة المرتفعة بين اللاجئين المسيحيين إلى حقيقة أن الأحياء الغربية من القدس التي كانت تسكنها غالبية من الفلسطينيين المسيحيين إحتلها الإسرائيليون في الحرب بين عامي ٧٤٩١ و ٩٤٩١، كما أن ٤٣٪ من الأراضي التي احتلوها في القدس الغربية كانت تمتلكها الكنائس المسيحية (مزاحم، ٢١٠٢).

وبعد احتلال «إسرائيل» للأراضي الفلسطينية والعربية عام ٧٦٩١، ساهمت السياسات الإسرائيلية في تقليل عدد الفلسطينيين بشكل عام والفلسطينيين المسيحيين بشكل خاص في الاراضي الفلسطينية، بهدف دفعهم للهجرة خارج البلاد، سواء من «إسرائيل» أو من القدس وبقية مناطق الضفة الغربية، من أجل السيطرة على أراضيهم وأملاكهم، ووضعها ضمن سيطرة دائرة حكومية تسمى «دائرة أملاك الغائبين»، وتقوم هذه الدائرة بتأجيرها لمدة مائة عام لمستأجرين يهود. ويعود إستهداف الفلسطينيين المسيحيين لسببين:

الأول: سياسي: ويتمثل بمحاولات «إسرائيل» تمرير مشروع يهودية الدولة، من خلال القول بأن فلسطين إسلامية ولا يوجد فيها سوى المسلمين، ويحق «لإسرائيل» أن تطالب بأن تكون يهودية، والهدف حرمان من هو غير يهودي من حقوقه في «إسرائيل» والاستيلاء على أملاكه وتقوم بطرده من البلاد لأنه غير يهودي.

الثاني: أراضي فلسطين التاريخية كانت معظمها مسجلة باسم الاوقاف الاسلامية أو الوقف الكنسي الذي تشرف عليه الكنيسة. سياسة «إسرائيل» تقوم على مصادرة الأراضي الفلسطينية لبناء المستوطنات الإسرائيلية عليها، لهذا من السهل السيطرة على الممتلكات المسيحية في حال انتهى الوجود المسيحي من البلاد. وقد سيطرت «إسرائيل» على أراضي كثيرة تملكها الكنيسة الفلسطينية، منها على سبيل المثال الأرض التي يقام عليها البرلمان الإسرائيلي «الكنيست». وكانت البلدة القديمة في القدس من أكثر المناطق التي تعرضت للمضايقات الإسرائيلية بهدف تفريغها من سكانها، ففي عام ٧٦٩١، العام الذي احتلت فيه «إسرائيل» الضفة الغربية وقطاع غزة، كان عدد سكان البلدة القديمة في مدينة القدس ٠٧ الف، كانت نسبة الفلسطينيين المسيحيين ٠٤٪، وبعد احتلال المدينة بدأت أعدادهم بالتناقص لتصل اليوم إلى ٥،١٪ (جويحان، ٧١٠٢).

الصحافي الفلسطيني صقر أبو فخر، في دراسة بعنوان «مسيحيّو الأرض المقدسة: كائنات متخفية أم شهود؟» نشرت في ملحق لصحيفة «السفير اللبنانية» في أكتوبر ١١٠٢، نبه للخطر المحدق بالفلسطينيين المسيحيين نتيجة الهجرة، وحذر من أن الاراضي المقدسة ستصبح خلال عقود بلا مسيحيين. وقال في دراسته أن «ثمة كارثة إنسانية وحضارية وسياسية مقبلة، بلا ريب، على فلسطين. وتتمثل هذه الكارثة في أن بلد المسيح وأرض المسيحية الأولى، قبل أنطاكيا، ستصبح خلال أربعة عقود مقبلة على وجه التقريب بلا مسيحيين إلا من بقايا النُسّاك في قلاّياتهم والكُهان في أديرتهم والقسيسين في كنائسهم، وعلى الأرجح لن يبقى في بيت لحم، وهي مدينة ميلاد المسيح، خلال العشرين سنة المقبلة، أي مسيحي في ما لو استمرت معدلات الهجرة على حالها الآن» (مزاحم، ٢١٠٢).

هذا الخطر تنبهت له القيادة الفلسطينية وبدأت منذ عدة سنوات بالعمل على الحد من الهجرة، سواء للمسلمين او للمسيحيين، وعلى وجه الخصوص الهجرة المسيحية، إذ رأت القيادة الفلسطينية بأن تزايد الهجرة يؤدي إلى فقدان فلسطين لهويتها الفريدة والمميزة التي عاشتها منذ الاف السنين، والذي تمثل بوجود نسيج اجتماعي ديني وثقافي متعدد. لهذا تداركت القيادة الفلسطينية هذا الخطر، وأعلن رئيس دولة فلسطين محمود عباس عن تشكيل اللجنة الرئاسية العليا لمتابعة شؤون الكنائس، تتبع منظمة التحرير الفلسطينية، التي تعتبر أعلى سلطة سياسية فلسطينية.

الهوية والمصير والمصلحة الوطنية الواحدة

تنبه الفلسطينيون، مسلمون ومسيحيون، للخطر الذي يحيط بفلسطين نتيجة وقوعها تحت الانتداب البريطاني عام ٨١٩١، التي اصدرت وعد بلفور عام ٧١٩١ بخصوص إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وجعلت أحد أهداف الانتداب العمل على تنفيذ ذلك الوعد بتهيئة فلسطين لاستقبال اليهود واقامة دولة لهم فيها على حساب سكانها الفلسطينيين. فكان بداية النضال الفلسطيني أن توحد المسلمون والمسيحيون وشكلوا الجمعية الاسلامية المسيحية عام ٨١٩١، وأفتتحت لها فروعا في كل مدن ومناطق فلسطين لمقاومة الخطر الصهيوني والاحتلال البريطاني، وللمطالبة باستقلال فلسطين. وقد ساهمت الجمعيات في توحيد الصف الوطني، وتوجيه العمل الوطني العام في السعي للاستقلال والتصدي للصهيونية، وعملت على إفشال المؤتمرات التي تعقد خارج الاجماع الوطني مثل المؤتمر التبشيري الثاني، الذي عقد عام ٨٢٩١ في القدس، وتم مقاطعته من الفلسطينيين المسيحيين وافشاله.

ولم يقتصر النضال على الجانب السياسي فقط، بل تعداه إلى الجانب العسكري، وبرز انطون جميل داود، الذي ولد لعائلة فلسطينية من بيت لحم في بوغوتا عاصمة كولمبيا، وعاد إلى فلسطين عام ٦٣٩١ وأنضم للثورة الفلسطينية، وقام عام ٧٤٩١ بنسف الوكالة اليهودية في القدس الغربية. وظل انطون مقاتلا إلى جانب عبد القادر الحسيني حتى نهاية الحرب، فغادر فلسطين وعاد الى أمريكا اللاتينية وأنضم إلى فيدل كاسترو وتشي غيفارا، وكان مسؤولا عن التدريب على حرب العصابات، ثم التحق بجيفارا في بوليفيا، وبعدها زار الصين وفيتنام، وعاد إلى فلسطين والتحق بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حتى توفي في الكويت عام ٩٦٩١.

كما ان المرأة الفلسطينية لم تنأى بنفسها عن النضال من أجل استقلال فلسطين، فكان النضال المشترك للمرأة الفلسطينية المسيحية والمسلمة جنبا إلى جنب في كافة مراحل النضال والمقاومة، وقامت الحركة الوطنية النسوية بتنظيم صفوفها عبر تشكيل جمعيات نسوية، كان اشهرها جمعية النهضة النسائية في القدس، التي تأسست عام ٩٢٩١، وشارك في تأسيسها مسلمات ومسيحيات، منهن متيل مغنم، ٠٠٩١ – ٧٨٩١، وهي ناشطة سياسية ومؤلفة كتاب The Arab Women and the Palestine Problem، وهي زوجة الياس مغنم سكرتير المؤتمر الفلسطيني الوطني السابع الذي انعقد سنة ٨٢٩١. روعة النضال النسوي الفلسطيني والتسامح الديني في فلسطين تجلى في المظاهرة النسوية التي قادتها متيل مغنم وطرب عبد الهادي، يوم ٥١ نيسان ٣٣٩١، الذي صادف يوم الجمعة. المسيرة كانت ضد السياسة الاستعمارية البريطانية وسارت داخل البلدة القديمة في القدس متوجهة إلى المسجد الاقصى، فقامت متيل مغنم، مسيحية الديانة بالقاء خطبة على منبر مسجد عمر. ثم توجهت المسيرة إلى كنيسة القيامة وقامت طرب عبد الهادي، مسلمة الديانة، بالقاء خطبة أمام جموع المؤمنين المسيحيين أمام القبر المقدس (ياسين، ب. ت، ٧٣١).

خلال مسيرة الثورة الفلسطينية المعاصرة برزت شخصيات قيادية ساهمت بشكل فاعل في العمل على تحرير فلسطين، في مقدمتهم جورج حبش ووديع حداد، واستشهد عدد كبير منهم الدكتور نعيم خضر. وخلال الانتفاضة الفلسطينية الاولى، التي انطلقت في أواخر عام ٧٨٩١، وكانت انتفاضة شعبية شارك فيها الشعب الفلسطيني بمختلف أطيافه السياسية والدينية والاجتماعية، وشهدت سنوات الانتفاضة سلسلة من بيانات رؤساء الطوائف المسيحية في القدس بين كانون الثاني ٨٨٩١ وكانون الأول ٢٩٩١ المشاركة في الإضرابات، والمقاطعات، وإغلاق الكنائس والمزارات، وقرع الأجراس في مناسبات معينة، وقادت مدينة بيت ساحور أول عصيان مدني ضد الاحتلال الإسرائيلي.

ومما لا شك فيه من أن ما يطرحه اماراتيا سن Amaratya Sen (٥٠٠٢، ٦١)، الفيلسوف الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد، ينطبق على واقع الشعب الفلسطيني، إذ أن سن يؤكد على أن الشعور بالهوية الواحدة لأي مجموعة من البشر يمكن أن يقدم مساهمة مهمة لجعل العلاقة مع الاخرين قوية ودافئة، تبدأ بالجيران وأعضاء الجماعة أو المواطنين أنفسهم من أبناء الوطن. فضلا عن أن الهوية المشتركة هي التي تجعل حياة المجتمع تسير بشكل أفضل. وهذا يتقاطع مع ما يعتقده د. حنا عيسى أمين عام الهيئة الإسلامية المسيحية لنصرة القدس والمقدسات الذي يؤكد على سلسلة من الحقائق التي تميز بها اللقاء الإسلامي المسيحي في الشرق بشكل عام، وفي فلسطين بشكل خاص. إذ يشير إلى أن وجود الأماكن المقدسة المسيحية واعتراف الإسلام بها من خلال العهدة العمرية التي أعطاها الخليفة عمر بن الخطاب للبطريرك صفرونيوس عند فتح القدس في عام ٨٣٦ ميلادية، هي تأكيد على حقوق المسيحيين وأماكن عبادتهم، وهي أوضح مثال لاعتراف الإسلام بالأماكن المسيحية المقدسة. كما أن وجود المسيحيين في أماكن سكن مشتركة في المدن والقرى مع غيرهم من المواطنين يشاركونهم العيش الواحد بآلامه وآماله، في تاريخ ومصير مشترك، بالاضافة إلى مساهمات المؤسسات الفلسطينية المسيحية، في مجالات التعليم والصحة والخدمات المختلفة بغض النظر عن الخلفية الدينية للذين طالتهم هذه المساهمات، وإعتزاز الفلسطينيين المسيحيين بجذورهم القومية والدينية (عيسى، ٤١٠٢). وهو ما ساهم في خلق هوية وطنية واحدة لكل أبناء الشعب الفلسطيني، انعكست ايجابيا على حياة طويلة زاخرة بالتفاهم والتسامح والاخوة، وهي ما تجعل الفلسطينيين، من مسلمين ومسيحيين يرفضون اعتبار المسيحيين أقلية، بل يؤكدون على أنهم جزء أصيل من هذا الشعب.

الفلسطينيون المسيحيون مثل اخوانهم الفلسطينيون المسلمون، رحبوا باتفاقيات اوسلو، التي وقعت بين «إسرائيل» و منظمة التحرير الفلسطينية في أيلول ٣٩٩١، وخلال زيارة الرئيس الراحل ياسر عرفات إلى مدينة بيت لحم حظي باستقبال شعبي حاشد. وقد شبّه المطران سمير قفعيتي وصول الرئيس عرفات للمدينة بوصول الخليفة عمر بن الخطاب، الذي وصفه بأعدل الخلفاء الراشدين وأبعدهم نظراً، والذي احترم وضع المسيحيين في القدس (دمبر، ١٠٠٢، ٠١).

بالعودة الى سن، فانه يرى بأن تحديد هوية الناس بناء على الاثنية الدينية واعطاء أولوية لجماعة فوق كل الهويات الاخرى هو بمثابة كارثة تؤدي إلى عواقب كارثية (سن، ٠٧١). «إسرائيل»، كدولة محتلة للأراضي الفلسطينية وتسيطر على حياة الفلسطينيين، حاولت اللعب على هذا الخيار، من خلال محاولة فسخ النسيج الاجتماعي الفلسطيني ودب النعرات الطائفية والدينية بين المسلمين والمسيحيين في فلسطين عموما، وفي القدس بشكل خاص، منذ اللحظة الاولى لإحتلالها الضفة الغربية وقطاع غزة عام ٧٦٩١، متتبعة خطى بريطانيا إبان استعمارها الهند في سياستها «فرق تسد»، ونتج عنها تقسيم شبه القارة الهندية إلى ثلاث دول عام ٨٤٩١ بعد حرب أهلية أدت إلى مقتل عشرات الالاف وتدمير الاف المنازل وتشتيت الملايين من المسلمين والهندوس.

منذ عام ٧٦٩١ بدأت اسرائيل سياسة خاصة تجاه المسيحيين الفلسطينيين، تحمل في طياتها هدفان رئيسيان، الاول دب التفرقة ما بين الفلسطينيين المسيحيين والمسلمين من أجل قطع الطريق على أي إمكانية لقيام تحالف ديني مسلم - مسيحي من شأنه أن يعزز القيادة الوطنية الفلسطينية، وخاصة في مدينة القدس المستهدفة من قبل الاحتلال. والعمل على إحباط أية محاولة لإقامة جبهة مسيحية موحدة ضد السياسات الإسرائيلية في القدس، تكون محصلتها اضعاف قطاع مهم من الشعب الفلسطيني الذي من شأنه اضعاف المقاومة الفلسطينية للسياسات الاسرائيلية. أما الهدف الثاني فيتمثل في إنجاح مساعي الحكومة الإسرائيلية في امتلاك، أو استئجار، كل ما يمكن الحصول عليه من أراضي الكنائس، ودب الخلاف بين الطائفة المسيحية وقياداتها الدينية التي كانت في مجملها غير فلسطينية (دمبر، ١٠٠٢، ٤-٥).

وعندما فشلت المساعي الإسرائيلية بسبب وعي الشعب الفلسطيني من المسلمين والمسيحيين لخطورة المخططات الإسرائيلية على الارض والانسان، لجأت إلى اساليب اخرى للتحريض على الشعب الفلسطيني. فقامت صحيفة «إسرائيل اليوم» المقربة من اليمين الإسرائيلي بالتحريض على الفلسطينيين، وتوجيه خطابها الاعلامي لقداسة البابا وللغرب، والترويج بأن اعتراف الفاتيكان والغرب بالدولة الفلسطينية سيؤدي إلى قيام الفلسطينيين باغتصاب وقتل المسيحيين. وفي رسالة نشرها الصحفي الإسرائيلي دارور ادار في الصحيفة، موجهة إلى قداسة البابا فرانسيس، يدعوه فيها إلى عدم الاعتراف بدولة فلسطين، بالقول بأن هذه الدولة ستقاتل الشعب المسيحي في المنطقة (Edar, 2015).

الشراكة في بناء الوطن:

يرفض المسيحيون كما يرفض المسلمون في فلسطين بأن يكون لأي منهما ثقافة تختلف عن الاخر، فالجميع تبنى هوية واحدة بوصلتها فلسطين وثقافتها قومية عربية، يكون العامل الديني فيها عامل إسناد وموحد وليس عامل تفريق وفرقة. ولم يفكر أي طرف بالانجرار وراء الداء الثقافي الذي يقدم العقيدة أو الطائفة أو المذهب على حساب الوطن والبلد والدولة، ولا يخرج عن اطار المؤسسة والقانون، إذ أن الداء الثقافي، كما يقول الباحث علي حرب، هو الذي يؤدي إلى تأجيج النزاعات بين الطوائف والجماعات (حرب، ٠١٠٢، ٤٢). لهذا لم يسجل التاريخ أي خلاف أو قلاقل ناجمة عن إختلاف الدين، بل كانت فلسطين على مر القرون ملجأ لاي إنسان مضطهد بسبب دينه أو اثنيته، حيث احتضنت فلسطين قاووق وقفجاق وارمن وشركس، فضلا عن كثير من الاسر المسيحية التي قدمت إلى فلسطين قبل قرون هربا من الاضطهاد الديني في مناطقها كالأرمن.

المسيحيون هم جزء لا يتجزأ من المجتمع العربي الفلسطيني وهو عنصر مهم في تاريخه، ساهم في صنع أحداثه، وشكل عنصر هام في نضاله وتراثه. واعتبرت الكنائس نفسها جزءا أصيلا من المحيط العربي الفلسطيني، فجاءت اسهاماتها التعليمية والصحية والاجتماعية والاقتصادية لخدمة المجتمع الفلسطيني بلا تمييز بين مسلميه ومسيحييه. ويعود لها الفضل في تطوير المجالات الصحية والتعليمية في الاراضي الفلسطينية منذ منتصف القرن التاسع عشر، عندما بدأت ببناء المستشفيات والمدارس الحديثة والتي لم تكن تفرق بين الفلسطينيين في تقديم خدماتها.

الاب عطالله حنا، رئيس اساقفة سبسطية للروم الارثوذكس، يؤكد في أكثر من مناسبة بأن المسيحيين الفلسطينيين عانوا كما عانى كل الشعب الفلسطيني، وتألموا كما تألم كل الشعب الفلسطيني، منوها إلى أن المسيحيين الفلسطينيين لهم حضورهم في الحياة الثقافية والفكرية والانسانية والاجتماعية والوطنية ولم ولن يتخلوا عن رسالتهم وحضورهم وواجبهم تجاه وطنهم وتجاه قضية

شعبهم العادلة (حنا، ٧١٠٢).

وأستذكر في هذا المقام أن مناهج تدريس اللغة العربية في منتصف القرن الماضي في مدارس فلسطين والاردن كانت من إعداد الاستاذ خليل السكاكيني ومن أفكاره، وكانت تمتاز بالسلاسة والسهولة وتحتوي عنصر التشويق والاهتمام، لهذا كان كل أبناء جيل القرن الماضي في فلسطين ملمين باللغة العربية ولا يخطئون في قواعد الصرف والنحو والإملاء، بفضل أسلوب الأستاذ السكاكيني الذي لم اكن أعرف بأنه مسيحي إلا هذه الايام عندما بدأت بكتابة هذا البحث، وكل ما كنت اعرفه أن الاستاذ خليل السكاكيني هو فلسطيني من مدينة القدس.

الباحثة ديمه عياد تفيد بإن ٥٤٪ من العمل المؤسساتي في فلسطين هو عمل يعود لمؤسسات مسيحية، قدمت هذه المؤسسات فرص عمل لنحو ما يقارب ٢٢ الف عائلة فلسطينية، منها ٥١ الف عائلة مسلمة وسبعة الاف عائلة مسيحية. إضافة إلى الخدمات الاغاثية والخيرية التي تقوم بها الكنيسة باستمرار للمجتمع الفلسطيني، وهو ما يدل على دور الفلسطينيين المسيحيين في محاربة الفقر وتشجيع المساواة بين أبناء الشعب الواحد (عياد، ٦١٠٢).

لمطران سهيل دواني رئيس أساقفة الكنيسة الأنجليكانية في القدس والشرق الأوسط يؤكد على أن الكنيسة الفلسطينية تقدم الخدمات التعليمية والصحية لـ ٠٣ مؤسسة دون تفرقة بالدين أو الجنس، ويرى أن على الفلسطينيين العمل جاهدين لتعزيز العيش المشترك الإسلامي المسيحي وتعزيز حوار الاديان ليكون هذا البلد نموذجا يحتذى به في أرجاء المعمورة (جويحان، ٧١٠٢).

مسألة الشراكة لم تقف عند الشراكة الاقتصادية والاجتماعية، بل تجاوزتها إلى المشاركة السياسية والنضال السلمي من اجل تحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلي. وكانت وثيقة كايروس فلسطين التي اطلقها ٥١ من رجال الطوائف الكنسية الفلسطينية المختلفة في ١١ ديسمبر ٩٠٠٢، مبادرة فلسطينية بامتياز، وجهت إلى العالم الغربي بشكل عام وللكنائس الغربية بشكل خاص. وحملت اسم « لحظة الحقيقية: كلمة الايمان، الامل والحب من قلب المعاناة الفلسطينية».

الوثيقة أكدت على أن وجود المسيحيين والمسلمين الفلسطينيين على أرض فلسطين لم يكن طارئا، لكنه يضرب عميقا في جذور تاريخ وجغرافية هذه الارض، مثل ارتباط أي شعب بأرضه التي يعيش عليها. وأن هناك ظلما قد وقع عندما هجر الشعب الفلسطيني من أرضه، عندما أراد الغرب التعويض على اليهود بسبب ما اقترفته بلدان اوروبا ضدهم، فجاء التعويض على حساب الشعب الفلسطيني ومن ارضه. حاول الغرب تصحيح ظلم فنتج عنه ظلم جديد على الشعب الفلسطيني (Bryant, 2013).

والوثيقة تمثل إعلان للعالم بأن الاحتلال الإسرائيلي هو خطيئة ضد الله وضد الإنسان لأنه يحرم الإنسان الفلسطيني حقوقه الإنسانية الأساسية التي منحه إياها الله.. وتعارض أي لاهوت يدعي الاستناد إلى الكتاب المقدس أو العقيدة أو التاريخ ليبرر الاحتلال وتعتبره خارج عن تعاليم الكنيسة، لأنه يدعو إلى العنف والحرب المقدسة باسم الله، ويُخضع الدين لمصالح بشرية آنية، ويشوّه صورته في الإنسان الواقع في الوقت نفسه تحت ظلم سياسي وظلم لاهوتي. وبالتالي فهي توجه رسالة للعالم بانهاء هذا الاحتلال وتدعوه لمقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض الحصار الاقتصادي عليها حتى تنهي احتلالها لفلسطين (World Council, 2011)

دور القانون الفلسطيني في حماية النسيج الاجتماعي والديني في فلسطين:

الميثاق الوطني الفلسطيني، الذي أقره المجلس الوطني الفلسطيني في الدورة التي عقدت في الفترة ٠١ – ٧١ تموز ٨٦٩١، اعتبر الشعب الفلسطيني جسما واحدا لا فرق فيه بين مسلم ومسيحي، ووصف الشعب الفلسطيني في مواد الميثاق بـ «الشعب العربي الفلسطيني». ودعت المادة العاشرة من الميثاق إلى توحيد طاقات الشعب وتعبئة قواه من أجل معركة التحرير « العمل الفدائي يتطلب تعبئة كافة الطاقات الجماهيرية والعملية الفلسطينية وتنظيمها وإشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب الفلسطيني ... ضمانًا لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها» (الميثاق الوطني الفلسطيني، ٨٦٩١).

القائد الفلسطيني، الذي كان الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية، صلاح خلف «أبو اياد»، أكد بأن الشعب الفلسطيني يعيش حركة وطنية لا تفرق بين الاديان ولا تفرق بين أبناء الشعب الفلسطيني، فالكل يعبد الله ويؤمن به. لذلك أكدت وثيقة الاستقلال التي اعتمدها المجلس الوطني الفلسطيني في دورة الجزائر، في ٥١ نوفمبر ٨٨٩١، على أن « دولة فلسطين هي للفلسطينيين أينما كانوا. فيها يطورون هويتهم الوطنية والثقافية، ويتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق، تصان فيها معتقداتهم الدينية والسياسية وكرامتهم الإنسانية، في ظل نظام ديمقراطي برلماني يقوم على أساس حرية الرأي وحرية تكوين الأحزاب ورعاية الأغلبية حقوق الأقلية واحترام الأقلية قرارات الأغلبية، وعلى العدل الإجتماعي والمساواة وعدم التمييز في الحقوق العامة على أساس العرق أو الدين أو اللون أو بين المرأة والرجل، في ظل دستور يؤمن سيادة القانون والقضاء المستقل وعلى أساس الوفاء الكامل لتراث فلسطين الروحي والحضاري في التسامح والتعايش السمح بين الاديان عبر القرون (المجلس الوطني الفلسطيني، ٢٠١٥).

وعند قيام أول سلطة وطنية للشعب الفلسطيني، تم اصدار التشريعات والقوانين التي كفلت للجميع حقوقها وضمنت الحرية الدينية وحرية العقيدة لكل أبناء الشعب الفلسطيني، حيث تم اقرار القانون الاساسي، في رام الله في ٩٢ مايو ٢٠٠٢، وأكد الباب الثاني من القانون الاساسي الخاص بالحقوق والحريات على أن الفلسطينيون متساوون أمام القانون والقضاء ولا تمييز بينهم بسبب العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو الراي السياسي أو الاعاقة (المادة التاسعة). أما المادة الثامنة عشرة فقد ضمنت حرية العقيدة والعبادة وممارسة الشعائر الدينية بكفالة القانون شريطة عدم الاخلال بالنظام العام أو الاداب العامة (جريدة الوقائع الفلسطينية، ٢٠٠٢).

تأسيس اللجنة الرئاسية العليا للشؤون الكنسية في فلسطين، التي جاءت بقرار رئاسي صادر عن رئيس دولة فلسطين في ٣٢ مايو ٢١٠٢، عبرت عن بعد نظر القيادة الفلسطينية في أهمية استمرار حالة الاستقرار المجتمعي والحفاظ على وحدة الصف الوطني، كما وعبرت عن أهمية الحفاظ على شريحة اصيلة من مكونات الشعب الفلسطيني بهدف حماية النسيج الوطني من الغرق في حالة التطرف الذي يعصف بالمنطقة والاقليم، وقد عبرت ديباجة التأسيس عن ذلك بالقول:

« في دولة فلسطين، نحن الذين نسعى إلى إنهاء فوري للإحتلال الإسرائيلي، نفخر بنسيجنا الاجتماعي الغني القائم على المساواة في المواطنة والحقوق، وعدم التمييز على أسس دينية أو أي نوع أو شكل من أشكال السياسات التمييزية. ونؤكد على أن الحفاظ على الوجود المسيحي وتطويره كعنصر اجتماعي وشعبي حقيقي في مجتمعنا هو عامل أساسي لإنجاز حقوقنا الوطنية المشروعة الكاملة على النحو المبين في القرارات التي أيدها المجتمع الدولي. إن الحفاظ على الوجود المسيحي الفلسطيني في فلسطين وتعزيزه هو جزء من دورنا الذي تضطلع به اللجنة العليا لشؤون الكنائس الرئاسية في فلسطين، والتي تم تشكيلها بقرار من الرئيس محمود عباس بتاريخ ٢١٠٢/٥/٣٢. وهذا ما جسدناه وسنجسده في مسيرتنا من أجل تحقيق اهداف شعبنا» (عميرة، ب. ت).

الخاتمة

القوانين المكتوبة لم تكن حبرا على ورق، بل تجسدت في الواقع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، بما يشمل حالة التلاحم الكبير بين مختلف طوائفه واطيافه، والمساعي الحثيثة للقيادة الفلسطينية في الحفاظ على الوحدة والتلاحم بين فئات الشعب الفلسطيني والحفاظ على جبهة وطنية موحدة أمام التحديات الخارجية، والتي يقف الاحتلال في مقدمتها. وقد تعددت وتنوعت أشكال ذلك التلاحم والتعاون والتعايش بين الفلسطينيين، مسلمين ومسيحيين، فكان مثال تأسيس اللجنة الرئاسية العليا للشؤون الكنسية في فلسطين هي الأقرب ترجمة لحقيقة المشاعر والتلاحم الفلسطيني الداخلي وبعد النظر لدى قيادة هذا الشعب.

ولعل الاحداث الاخيرة التي شهدتها مدينة القدس، ومحيط المسجد الاقصى في البلدة القديمة في السنوات القليلة الماضية كانت أصدق مثال على الأخوة الفلسطينية المسيحية الإسلامية، وعلى مدى الترابط بين مختلف أطيافه، حيث عبر الفلسطينيون المسيحيون عن وقوفهم إلى جانب اخوانهم المسلمين في مواجهة الاجراءات الإسرائيلية التي كانت تستهدف المسجد الاقصى، مؤكدين على أن المسجد الاقصى هو فلسطيني قبل أن يكون إسلاميا وأن الكنائس هي فلسطينية قبل أن تكون مسيحية. فشارك المسيحيين الفلسطينيين في الاعتصامات المنددة بالاجراءات الإسرائيلية في مختلف المناطق الفلسطينية، ووقفوا إلى جانب اخوانهم المسلمين أمام بوابات المسجد الاقصى.

النتائج

سعت «إسرائيل»، الدولة التي تحتل الاراضي الفلسطينية، إلى سلخ الفلسطينيين المسيحيين عن عروبتهم بالادعاء بأن أصول المسيحيين في فلسطين ليس لها علاقة بالعرب، وأنهم يعودون لاصول آرامية. وقد أثبت هذا البحث عدم صحة الادعاء الإسرائيلي، وأن الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين يتشاركون نفس الجذور التاريخية والعرقية، وانهم من نفس الاصول الاثنية، وهي العنصر السامي العربي. إذ أكدت الوقائع التاريخية أن معظم الشعوب القاطنة في الوقت الحاضر في منطقة الهلال الخصيب (العراق، سوريا، لبنان، الاردن وفلسطين)، بما فيها الاراميون، هي شعوب سامية، كان موطنها الاصلي الجزيرة العربية، وأنهم من الساميون العرب.

وخلصت الورقة إلى نتيجة أخرى مفادها أن فلسطين تعيش حالة غير مسبوقة من التسامح والتآخي شكلتها عوامل عدة، كان من اهمها اختلاط الدم وصلات القربى بين أبناء الشعب الفلسطيني، التاريخ المشترك لقرون طويلة، والشراكة في بناء الوطن جنبا إلى جنب مسلمين ومسيحيين. وهذه العوامل عززت من مفاهيم التسامح والتآخي، وحمت النسيج الاجتماعي على مر التاريخ، خاصة في ظل ظهور ثقافة غريبة اخذت تجتاح منطقة الشرق الاوسط منذ عقد من الزمن، التي يمثلها التطرف ومحاولات اقصاء الاخر.

وساهمت القوانين ووعي القيادة السياسية الفلسطينية، فضلا عن الدور الواعي للمؤسسات الوطنية والدينية الفلسطينية، في تشكيل حاجزا منيعا للمستقبل يحمي حالة التسامح الديني بين مختلف الطوائف الدينية والاثنية للشعب الفلسطيني ويحول دون الانجرار وراء التطرف الذي يعصف بالمنطقة. كما ان تشكل الهوية الوطنية الفلسطينية في مواجهة الخطر الصهيوني منذ أكثر من مائة عام وحتى اليوم عملت على ترسيخ مفهوم المصير المشترك في مواجهة الخطر المشترك الذي يستهدف الكل الفلسطيني ولا يفرق بين مسيحييه ومسلميه.

التوصيات

العمل على استمرار حالة التسامح الديني في فلسطين كإستراتيجية وطنية يشارك فيها المستوى السياسي والشعبي، وذلك وفق التالي:

عدم التهاون في تطبيق القوانين والتشريعات التي تدعو الى المساواة والتآخي وتنبذ التطرف بكافة اشكاله، واطلاق يد القضاء في فرض الاحكام العالية بحق كل من يعبث بالنسيج المجتمعي الفلسطيني ويحرض على العنف الطائفي باعتبارها جريمة ترقى حد الخيانة.

التركيز على التنشئة الاجتماعية للأجيال الصاعدة من خلال تضمين المناهج التعليمية في المدارس، وخاصة مناهج التربية الوطنية والاجتماعية دروسا حول التآخي واحترام الأديان وتوضيح مخاطر التطرف التدميرية للمجتمع.

إصدار قانون أو مرسوم رئاسي لإلغاء أي إشارة للديانة في سجل الأحوال المدنية الفلسطيني بإسقاط خانة الديانة من بطاقات الهوية الفلسطينية التي تصدرها وزارة الداخلية الفلسطينية.

قائمة المصادر والمراجع:

اولا: العربية والمترجمة:

جويحان، ديالا (٧١٠٢، حزيران ٨). افطار رمضاني في الكنيسة الاسقفية في القدس المحتلة. الحياة الجديدة. http://www.alhaya.ps/ar_page.php?id=2c5b1ddy46510557Y2c5b1dd

حرب، علي (٠١٠٢). المصالح والمصائر صناعة الحياة المشتركة. بيروت. الدار العربية للعلوم ناشرون.

حنا، عطالله (٧١٠٢، تموز ٦). المسيحيون في فلسطين ليسوا اقليات في أوطانهم. دنيا الوطن. http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2017/06/07/1057697.html#ixzz4phwIvHAI

دمبر، مايكل (صيف ١٠٠٢). موقف الكنائس المسيحية في القدس في مواجهة الاحتلال. بيروت، مجلة الدراسات الفلسطينية، ٧٤/٢١.

رباط، ادمون (٩٠٠٢، شباط). المسيحيون في الشرق قبل الاسلام. معبار، عدد خاص. http://www.maaber.org/issue_february09/spotlights2.htm

سن، اماراتيا (٥٠٠٢). الهوية والعنف، وهم المصير الحتمي. ترجمة سحر توفيق، الكويت: عالم المعرفة.

السلطة الوطنية الفلسطينية (٢٠٠٢،يوليو ٧). لقانون الاساسي. جريدة الوقائع الفلسطينية، عدد ممتاز، غزة: دار الفتوى والتشريع بوزارة العدل

العدوان، مفلح (٦١٠٢، حزيران ٧١). احفاد الغساسنة. جريدة الرأي الاردنية. http://alrai.com/article/653753.html

عياد، ديمة رشماوي (٦١٠٢، ديسمبر ١). دراسة: المقاومة والعيش.. دور الفلسطيني المسيحي في النضال والتنمية البشرية. http://www.islamist-movements.com/38204

عميرة، حنا. اللجنة الرئاسية العليا لشؤون الكنائس http://www.hcc-plo.ps/?q=en/content/op-ed

عيسى، حنا (٢١٠٢، ديسمبر ٦٢). الحضور المسيحي الفلسطيني تاريخ وجغرافيا. وكالة فلسطين ٤٢. http://www.pal24.net/ar/news/29280.html

كنيسة الاباء الاجداد للروم الارثوذكس (٢١٠٢). تاريخ سكان بيت ساحور. بيت ساحور. http://www.beitsahourchurch.ps/aboutbeitsahourandchurch/beit-sahour/beitsahourresidents

اللحام، ناصر (٢١٠٢، ديسمبر ٦٢). عدد المسيحيين الفلسطينيين ٢ مليون وليس ٠٠٢ الف. بيت لحم، وكالة معا الاخبارية. http://maannews.net/Content.aspx?id=550556

المجلس الوطني الفلسطيني (٥١٠٢، آب ٤). وثيقة الاستقلال، الجزائر ٥١ نوفمبر ٨٨٩١. الجزائر، الباب. كوم. http://al-bab.com/albab-orig/albab/arab/docs/pal/pal3.htm

مدابيل، بطرس (٩٠٠٢). بير زيت تاريخ الموقع ورعيته اللاتينية. ترجمة الاب عزيز حلاوة، مراجعة د. بيتر مدروس، الاستاذ موسى علوش، د. هالة كيلة ، بير زيت

مزاحم، هيثم (٢١٠٢،كانون الثاني ٣٢). المسيحيون في فلسطين بين الهجرة والتهجير. مدونة د. هيثم مزاحم. http://dr-haythammouzahem.blogspot.in/2012/12/blog-post_23.html

الميثاق الوطني الفلسطيني (٨٦٩١). http://www.palestineinarabic.com/Docs/other_doc/Palestinian_National_Charter_1968_A.pdf

وقفة تضامنية مع الاقصى في بيت لحم. راديو بيت لحم ٠٠٠٢، ٣٢ تموز ٧١٠٢. http://www.rb2000.ps/

ياسين، عبد القادر (ب. ت). الحركة النسائية الفلسطينية. القاهرة: مكتبة جزيرة الورد.

ثانيا: الاجنبية:

Asfora, João Sales (2002). Palestinos: a saga de seus descendentes. Recife: Indústria Gráfica e Editora

Primeira Edição.
Bryant, Barry E (2013). Wesleyan Communities and the World Beyond Christianity “Kairos Palestine: A Moment of Truth for Methodists?” , Wordpress, IL USA: United Methodist and Wesleyan Studies. https://oimts.files.wordpress.com/2013/09/2013-3-bryant.pdf
Edar, Darour (2015, Sep. 1). Israel Today” Newspaper Says: Palestinians Will Rape and Kill Christians in case Palestinian Statehood is Established. Israel Hayom (Israel Today). http://digital-edition.israelhayom.co.il/Olive/ODE/Israel/Default.aspx?href=ITD%2F2015%2F05%2F17

Hazin, Hissa (No date). A Família Palestina Que Imigrou Para o Recife Brasil, SCRIBD. https://www.scribd.com/document/322228354/A-Familia-Palestina-Que-Imigrou-Para-o-Recife
World Council of Churchs (2011, March 22). Ecumenical Chronicle. The Ecumenical Review. 63\1, 120 – 121. http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1111/j.1758-6623.2010.00100.x/pdf

قراءة تحليلة في دراسة الولايات المتحدة الأمريكية ومآلات الصراع في الشرق الأوسط

Analytical reading in the study of the United States and the fate of conflict on the Middle East

دكتور عزيز محمود العصا
جامعة القدس المفتوحة - فلسطين

تاريخ الإستلام 4-9-2022 تاريخ القبول 1-1-2023 تاريخ النشر 30-4-2023

الملخص

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة وتحليل الدراسة الاستشرافية التي أجراها الباحث رياض العيسمي، بعنوان: الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط، التي تدور حول التنافس الجيواستراتيجي والنظام العالمي الجديد. وتعدّ هذه الدراسة من الدراسات المستقبلية المهمة بعد مشروع استشراف **مستقبل الوطن العربي**، الذي عمل عليه مجموعة من العلماء والمختصين على مدى ثماني سنوات في ثمانينيات القرن العشرين.

تناولت الورقة نظرة الكاتب الفلسفية وفكرية التي تجمع مراحل الزمن الثلاث، وتتتبع الدور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط عبر ثمانية عقود، من حيث: حربها على الإرهاب، ومشروع أوباما الذي سعى لاستعادة مكانتها وهيبتها، والتقليل من خسائرها، وفشل مشروع أوباما في تحقيق أهدافه. ويتوقف الكاتب عند سؤال الدراسة: الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين، إلى أين؟ وقد جاءت الإجابة، وفق دراسة علميّة رصينة بأن القرن الحادي والعشرين ليس قرنًا أمريكيًّا. وتناقش الورقة مشروع داعش الذي أقامه الآخرون على أرض العرب، وكيفية استفادة إسرائيل وإيران من تدمير المنطقة وتفكيكها. وتطرقت الورقة إلى موقف إسرائيل بين استبدال الولايات المتحدة بالصين وبين المستقبل المجهول. وتنتهي الورقة بالخاتمة والتعليق.

الكلمات المفتاحية: دراسات المستقبلات، الدور الأمريكي في الشرق الأوسط، الحرب على الإرهاب، داعش.

ABSTRACT

This paper aims to discuss and analyze a forecasting study conducted by Riyad El-Aissami, entitled" The United States and outcomes of the conflict in the Middle East" which highlights the geostrategic competition and the new world order. It is considered one of the important future studies after a project of anticipating the future of the Arab world carried out by a group of scholars over a period of eight years in the eighties of the twentieth century.

The paper deals with the writer's philosophical and intellectual view that combines three eras, and traces the American role in the Middle East region over eight decades, namely, its war on terrorism, the Obama project that sought to restore America's status while reducing its losses, and the failure of the Obama project to achieve its goals. The study's main question is: The United States in the twenty-first century, where is it heading? According to this solid scientific study, the twenty-first century is not an American one. The paper discusses the ISIS project that other parties have established on Arab land, and how Israel and Iran benefit from destroying and disintegrating the region. The paper points out to Israel's awkward position in that she is between the hammer of replacing the United States with China and the anvil of going to the unknown future. The paper ends with a conclusion and comments.

Keywords: Future studies, the American role in the Middle East, the war on terrorism, ISIS.

مقدمة:

لم يتبلور التفكير العلمي في المستقبل على نحو واضح إلا منذ عقد الستينيات من القرن الماضي صعودا. حيث صدر مؤلفات أصيلة في موضوع المستقبلات، ومنها مثلا: مؤلف المستقبلي الفرنسي برتراند دي جوفينيل (٣٠٩١-٧٨٩١)، بعنوان فن الرجم بالغيب عام ٣٦٩١، والذي تؤكد عدة آراء على أنه يعد أهم المؤلفات الأولى التي تناولت وبعمق دراسات المستقبلات ومنهجيتها. وكذلك شهد بداية تأسس جمعيات علمية ترعى هذا التفكير، ومنها جمعية مستقبل العالم الأمريكية، التي تأسست في عام ٦٦٩١، هذا فضلا عن تسارع صدور مجلات علمية متخصصة في دراسات المستقبلات، ومنها، مثلا، مجلة "المستقبلي» الأمريكية[١].

وكان قسطنطين زريق أول من كتب في هذا الشأن، وصدر كتابه «نحن والمستقبل» بطبعته الأولى سنة ٧٧٩١م وطبعته الثانية عام ٠٨٩١م[٢]. وتبعه مباشرة، في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، الذي تناول الماضي والحاضر، والآفاق العالمية والإقليمية، وطرح مشاهد المستقبل العربي وما يلزم لكل منها من سياسات وآليات للتغيير وانتهى بجسور مع المستقبل[٣].

وأما الدول العربية، فقد أدركت في السنوات الأخيرة أهمية استشراف المستقبل كضرورة للنجاح والاستدامة، حتى لا تتعامل مع المتغيرات المفاجئة دون تخطيط، فالحكومات والمؤسسات التي لا تمتلك خارطة طريق واضحة من خلال استشرافها للمستقبل ستواجه مجموعة من الأخطار، حيث سيصعب عليها اتخاذ القرارات السليمة، وقد تتخذ عدداً من القرارات التي تحد من قدرتها على مواجهة المتغيرات والاستمرارية بنجاح[٤].

وفي واقعنا الحالي، أصبح التفكير العلمي في المستقبل من القضايا المهمة؛ إذ تتنافس الدول والمؤسسات المختلفة على إنجاز دراسات المستقبلات، التي تعني استشراف المستقبل وفق عدد من السناريوهات، بما يجعل تلك الدراسات عنصرًا مهما من العناصر التي تقوم عليها عمليات التخطيط للمستقبل بمدياته المختلفة؛ البعيدة والمتوسطة والقريبة.

بعد انتهاء عقدين من القرن الحادي والعشرين، تأتي دراسة الباحث رياض العيسمي، بعنوان: الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط، التي تدور حول التنافس الجيواستراتيجي والنظام العالمي الجديد. ويرى العيسمي بأن مبدأ الدراسات المستقبلية يعتمد على تناول السردية التاريخية للأحداث بالتفسير والتحليل[٥]، وهذا ما قام به بالفعل، عندما مهّد لدراسته المستقبلية حول مستقبل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ومستقبل إسرائيل، بسرد تاريخي يشكل جزءًا أساسيًّا من أي تفكير بمستقبل المنطقة.

وللحاجة الماسّة إلى التخطيط السليم لتمكين أجيال أمتنا من العيش الكريم على أرض الآباء والأجداد واستثمار ثروات الأمة لصالح أبنائها، تأتي أهمية هذه الدراسة التي تتناولها ورقتنا هذه بالقراءة والتحليل.

مشكلة الدراسة :

اهتم كاتب هذه السطور بدراسات المستقبلات، وبعد أن سبر غور **التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، بعنوان مستقبل الأمة العربية: التحديات.. والخيارات**، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية عام ٨٨٩١، توجه للدراسة قيد النقاش، باعتبارها استكمالًا لهذا المشروع العربي الصرف، وكأنها تأتي في نهاية جسور المستقبل التي رسمها المشروع.

أسئلة الدراسة:

تَسْعى هذه الورقة إلى الإجابة على السؤال الرئيس: هل القرن الحادي والعشرون قرن أمريكي، والأسئلة الفرعية الآتيةِ:

1 (هل تغادر الولايات المتحدة الشرق الأوسط فجأة؟

2 (هل تحتل الصين مكان الولايات المتحدة عند مغادرتها المنطقة؟

3 (هل أن مصير إسرائيل مرتبط جدليًّا بوجود الولايات المتحدة في المنطقة.

4 (هل تتلاشى إسرائيل تدريجيًّا أم مرّة واحدة؟

5 (ما مدى التحالف (المخفي) بين إسرائيل وإيران؟

فرضيات الدراسة:

تبنّت هذه الورقة مجموعة الفرضيات كما ظهرت في دراسة العيسمي قيد النقاش، وهي:

١ (بناء على التجارب الأمريكية في العراق وأفغانستان والصومال، فإنه من الممكن مغادرتها الشرق الأوسط بكل مفاجئ.
٢ (سوف تحل الصين، كقوة عظمى تبحث عن مصالحها، في أي فراغ تتركه الولايات المتحدة في الشرق الأوسط.
٣ (هناك حالة ربط جدلي بين مصير إسرائيل ووجود الولايات المتحدة في الشرق الأوسط
٤ (في حال مغادرة الولايات المتحدة للمنطقة، ستواجه إسرائيل موجة من الهجرة المعاكسة.
٥ (هناك عدد من الفوائد التي تجنيها إسرائيل وإيران معًا، جرّاء الصراع في الشرق الأوسط.

أهداف الدراسة:

تَسْعى الدِّراسةُ إلى تَحْقيقِ الأهدافِ التّاليةِ:

1 .التعريف بالمنهجية العلمية التي اتبعها البحث العيسمي في دراسة مستقبلية مهمة..

2 .التعرف إلى دراسة مستقبلية مهمة ورئيسة، على المستويين الإقليمي والدولي، في مجال دراسات المستقبلات.

3 .التعرف إلى مستقبل المنطقة –والعالم إلى حد ما- بعد الإجابة على السؤال الرئيس للدراسة: هل القرن الحادي والعشرين قرن أمريكي.

أهمية الدراسة:

وللحاجة الماسّة إلى التخطيط السليم لتمكين أجيال أمتنا من العيش الكريم على أرض الآباء والأجداد واستثمار ثروات الأمة لصالح أبنائها، تأتي أهمية هذه الدراسة التي تتناولها ورقتنا هذه بالقراءة والتحليل.

محددات الدراسة:

اقْتَصَرَتْ هذِه الدِّراسةُ على فترة نحو ثماني عقود؛ وهي الفترة المتبقية من القرن الحادي والعشرين، التي سيتحدد فيها مستقبل الولايات المتحدة في المنطقة.

إجراءات الدراسة:

قامَ الباحث بدراسة وصفية، اعتمدت على تحليل النصوص ومناقشتها، كما وردت في الكتاب قيد النقاش والتحليل.

الكتاب قيد الدراسة، في هذه الورقة، فهو آخر ما صدر للباحث «**العيسمي**»، وقد جاء بعنوان: الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط -التنافس الجيواستراتيجي والنظام العالمي الجديد- ويقع هذا الكتاب في جزأين ينحصران في مجلد واحد من (٤٩٣) صفحة من القطع الكبير:

الجزء الأول: يقع في (٨٧١) صفحة، يتوزع عليها خمسة فصول، ناقشت الصراع على الشرق الأوسط، وسلطت الضوء على الدور الأمريكي؛ من تقسيم فلسطين إلى احتلال العراق بقيادة الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، ثم خصص الكاتب الفصول الثلاثة الأخيرة من هذا الجزء لما طرحه الرئيس الأمريكي أوباما بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٦، باعتباره يشكل مدرسة فكرية مختلفة عن الاستراتيجية الأمريكية في العالم بشكل عام والشرق الأوسط على وجه الخصوص.

الجزء الثاني: يغطي المساحة المتبقية من الكتاب، يتوزع عليها ستة فصول تتضمن خلاصات واستنتاجات، وقد ناقش هذا الجزء الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط، من **خلال خمس فرضيات** تتعلق بـ: الصراع العربي-الإسرائيلي، والنفوذ الإيراني، والتحدي الروسي، والتنافس مع الصين، مآلات الحرب في سوريا وحوض البحر الأبيض المتوسط. ويختم «**العيسمي**» بمناقشة السؤال الاستراتيجي والمثير للسياسيين والمخططين الاستراتيجيين، وهو: **هل سيكون القرن الحادي والعشرون أمريكيًّا؟**[1]

بقراءة متمعنة لهذا الكتاب بجزأيه، وجدتُني أمام مؤلَّف يقوم على رؤيا ناضجة يجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل حول الدور الأمريكي في المنطقة في قراءة شمولية، منذ نشأة هذا الدور، البديل للقوى الأوروبية التي خرجت منهكة من الحرب العالمية الثانية حتى تاريخه، كالآتي:

أولًا: نظرة فلسفية وفكرية تجمع مراحل الزمن الثلاث:

يرى «**العيسمي**» بضرورة استرجاع **الماضي** -والتاريخ أحد أشكاله-، ووضع أحداثه المهمة والموثقة في سياق التحليل المنهجي؛ بغية استيعاب **الحاضر** وفهمه **لاستشراف المستقبل**. وبشأن **الحاضر**، فإن الكاتب «**العيسمي**» -ونحن من مجايليه- عايش معظم الأحداث التي تضمنها هذا الكتاب، وكان قد راقبها في بداية حياته عن قرب. وأما الدراسات **المستقبلية**، كما يراها «**العيسمي**» تعتمد على تناول السردية التاريخية للأحداث بالتفسير والتحليل، وأن التحضير للمستقبل لا يمكن أن يكون ذا معنى إن لم يكن مبنيا على قراءات مستقبلية منهجية ورؤية واضحة تقوم على أساس خطط استراتيجية مدروسة.

ثانيًا: نموّ الدور الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط عبر ثمانية عقود:

جاء اكتشاف الولايات المتحدة، من قبل كريستوفر كولومبوس عام ١٤٩٢م، من أجل بحث الأوروبيين عن طريق من أوروبا إلى الشرق الأقصى نحو الصين والهند من الجهة الأخرى للكرة الأرضية لا يمر" بأرض المحمديين"، والمقصود بها الإمبراطورية العثمانية التي كانت تسيطر على المنطقة الممتدة من حدود الصين والقوقاز شرقًا إلى البلقان غربًا.

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م-١٩٤٥م)، دخلتها الولايات المتحدة متأخرة، فانتصرت، وشرعت في استلام زمام الأمور في الشرق الأوسط، لمواجهة الأحداث الكبرى وتوظيفها لصالح المشروع الاستعماري الغربي في المنطقة، بدءًا بنكبة الشعب

الفلسطيني، وإنشاء دولة إسرائيل، ثم حرب السويس عام ٦٥٩١م، التي أنهت النفوذ البريطاني والفرنسي، وأنهت حقبة النظام "الكولينيالي» القديم، وكانت الولايات المتحدة دخلت منذ عام ٧٤٩١م، كقوة دولية عظمى، في حرب باردة مع قوة دولية عظمى منافسة لها هي الاتحاد السوفياتي، خلال تلك الفترة، حتى تفككه عام ١٩٩١م[١].

وقسم «**العيسمي**» الدور الأمريكي في المنطقة إلى قسمين رئيسين، هما: **الفترة الأولى** الممتدة بين بداية حكم الرئيس هاري ترومان سنة (٥٤٩١م)[١]، ونهاية حكم الرئيس بوش الابن (٩٠٠٢م). وتمحور الصراع الأمريكي في الشرق الأوسط خلال هذه الفترة حول قضيتين أساسيتين، هما: النفط وإسرائيل. وكان احتلال كل من: أفغانستان والعراق تتويجًا لها. و**الفترة الثانية** الممتدة بين صعود باراك أوباما إلى سدة الرئاسة عام (٩٠٠٢) حتى تاريخه، حيث بدأت أهمية النفط بالتراجع، مع بدء التحول التدريجي نحو استخدام الطاقة البديلة. كما رفع أوباما شعار: "لم يعد هناك مبرر لأن تسيل دماء الجنود الأمريكيين من أجل النفط في الشرق الأوسط، فشرع بالانسحاب من العراق، وانسحب خليفته ترامب من أفغانستان.

٢-١ الولايات المتحدة وتداعيات الحرب على الإرهاب!

لقد شهدت الفترة الأولى (٥٤٩١-٩٠٠٢) عديد الأحداث الكبرى، أهمها: نكبة فلسطين عام ٨٤٩١م وهزيمة الأنظمة العربية في دول المواجهة (دول الطوق). عام ٧٦٩١م. وشهدت السبعينيات حرب تشرين بين العرب وإسرائيل التي آلت إلى حرب استنزاف، انتهت بمبادرات كيسنجر عقد اتفاقيات فك اشتباك بين سوريا وإسرائيل سنة ٤٧٩١م -لا يزال ساري المفعول حتى تاريخه-[٢] وزيارة السادات لإسرائيل سنة ٧٧٩١م، ثم اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل سنة ٩٧٩١، وحروب إسرائيل على الفلسطينيين واللبنانيين في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي. كما شهدت السبعينيات سقوط الملكيتين في أفغانستان (٣٧٩١) وفي إيران (٩٧٩١)، وصعود نظاميْن مختلفيْن فيهما، تلاها احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان، ثم انطلقت الحرب العراقية الإيرانية، التي استمرت بين عاميّ (٠٨٩١-٨٨٩١)[٣].

تخلل تلك الأحداث صراع أمريكي-سوفيتي، ومع نهاية عقد الثمانينيات هزم الاتحاد السوفيتي في أفغانستان؛ بسبب الدعم الأمريكي للمجاهدين الأفغان بالسلاح النوعي، ومنه صواريخ ستينغر المضاد للطائرات، فأعلن الرئيس السوفيتي غورباتشوف الانسحاب من أفغانستان سنة ٩٨٩١م، وفي نفس العام أجبر على هدم جدار برلين بين الألمانيتين، وانتهى الأمر بانهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك جمهورياته عن بعضها البعض، عام ١٩٩١.

اعتبر «**العيسمي**» تاريخ هدم جدار برلين بقرار من غورباتشوف هو نهاية الحرب الباردة عام ٩٨٩١، وليس تفككك الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١. فقد حاول غورباتشوف الحفاظ على الاتحاد السوفياتي في حقبة ما بعد الحرب الباردة، لكنه فشل. وكان تفكك الاتحاد السوفييتي أحد أهم ملامح نهاية الحرب الباردة. وهذا ما جعل الولايات المتحدة تزهو بالانتصار وتتربع على عرش العالم كأعظم قوة. وعندها بدأت فلسفة العولمة. وهذا ما أطال عمر النظام العالمي القديم لحوالي عقدين من الزمن، وإلى وصول باراك أوباما إلى رئاسة الولايات المتحدة،ومحاولته قيادة عملية التغيير وصولا إلى نظام عالمي جديد بعد ان انتهت الحرب الباردة.

هكذا، شرعت الولايات المتحدة، بالبحث عن أعداء جدد تنتصر عليهم لكي تبقى للقوة العظمى هيبتها في العالم، وتستخدم فائض القوة الذي نجم عن انتهاء الحرب الباردة[١]. فكان صيدها الثمين في العراق الذي كان قد خرج للتو متفوقًا على إيران، وقد دخل إلى الكويت سنة ٠٩٩١م، فشنّت عليه الولايات المتحدة، في عهد **جورج بوش الأب**، على رأس تحالف دولي ثلاثيني، حربًا شرسة أنهكت قواه، وتبعها حصار شامل، علمًا بأن العراق اخترق أجواء فلسطين المحتلة بـ (٩٣) صاروخًا وضعت دولة الاحتلال الإسرائيلي في وضع حرج أمنيًّا وعسكريًّا، فالتفتت الولايات المتحدة إلى ذلك ورتّبت مؤتمرًا في مدريد أواخر سنة ١٩٩١م، تبعه إعلان المبادئ في أوسلو وواشنطن ٣٩٩١م، الذي انتهى بإقامة السلطة الوطنية الفلسطينية.

في مطلع القرن الحادي والعشرين، جاءت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م، التي دُمرت فيها ناطحتي سحاب في نيويورك، فاستغلت الولايات المتحدة بقيادة **جورج بوش الابن** هذا الحدث، بأن أطلقت شعار «**الحرب على الإرهاب**»، وأطلق أيضًا شعار «**الإرهاب الإسلامي**»[١]، وخاطب الرئيس الأمريكي العالم بالقول: "**من ليس معنا فهو مع الإرهاب ضدنا**»[٢].

ودفع ثمن تلك الشعارات كل من: أفغانستان والعراق؛ باحتلال أفغانستان عام ٢٠٠٢م. وانتهى الأمر بشأن العراق سنة (٣٠٠٢م) بأن شُنَّت عليه حرب أخرى أكثر شراسة من الأول، عبر تحالف آخر بقيادة الولايات المتحدة التي كان يرأسها جورج بوش الابن هذه المرة. وقد أودت تلك الحرب بالعراق كدولة وجعلته هشيمًا تذروه رياح التحالفات المختلفة، منها المعلن، كالتحالف الأمريكي التركي، والأمريكي الإسرائيلي، ومنها غير المعلن، كالتحالف -تقاسم النفوذ والأدوار- الأمريكي الإيراني. حتى تم إخراج العراق من المعادلة الجيوستراتيجية كدولة مستقلة ذات سيادة[٣].

بذلك، تمكنت الولايات المتحدة من السيطرة على المنطقة الجغرافية التي تفصل بين الاتحاد السوفيتي سابقاً ومنابع النفط في الخليج العرب. وتغيّرت الطبيعة الجيوسياسية التي كانت قائمة في منطقة الشرق الأوسط، وفقا لموقع كل دولة وطبيعة علاقتها بالولايات المتحدة وقدرتها على محاربة الإرهاب.

أما إسرائيل، فقد استعادت مقومات وجودها التي، كادت تفقدها بانتهاء الحرب الباردة لولا الحرب على الإرهاب. وهذا ما وضعها مجددًا في الصدارة بكونها الدولة التي ما برحت تصور نفسها للعالم بأنها أكثر الدول المتضررة من الإرهاب. وهي طالما بررت ممارسة إرهاب الدولة وخرق القوانين الدولية بحجة مكافحة الإرهاب. كما وأعادت الحرب على الإرهاب وضع الإسلام من جديد على محك الصراع مع الغرب، وبدأ على **إثره بتقسيم الإسلام إلى قسمين:** معتدل يمكن التعامل معه، وآخر متطرف إرهابي لا بد من محاربته واقتلاعه.

لقد ساد مصطلح «الإرهاب»، حتى أن العالم أصبح مشمولًا بآثار ما تطلق عليه القوى العظمى المتصارعة «محاربة الإرهاب»؛ ف في الوقت الذي كانت تسعى فيه الولايات المتحدة إلى احتواء آثار الحرب الباردة وهي تحاول كسب ما أسمته «**الحرب على الإرهاب**»، كانت روسيا بحجة درء أخطار الإرهاب تحاول استحضار الحرب الباردة.

٢-٢ أوباما سعى لاستعادة هيبة الولايات المتحدة والتقليل من خسائرها:

حكم أوباما خلال الفترة ٢٠٠٩-٢٠١٦، ويرى «**العيسمي**» أن انتخاب الرئيس أوباما كان مؤشرًا تاريخيًّا واضحًا لبدء مرحلة عالمية جديدة، ولن يستطيع أي رئيس أمريكي آخر سيأتي بعده، من العودة إلى المرحلة القديمة.

يقول الصحفي الأمريكي ديفيد ريمناك من مجلة النيويوركر الأمريكية، الذي أجرى حديثًا مطولًا مع أوباما":إذا كانت السياسة الخارجية لجورج بوش الابن رد فعل على ١١ أيلول_سبتمبر، فالسياسة الخارجية لأوباما هي رد فعل على رد الفعل".

وفي عام (٨٠٠٢)؛ قبل استلامه الحكم رسميًّا، أعلن أوباما بأنه سيسحب القوات الأمريكية من العراق وأفغانستان، وجذب الشباب الأمريكي والشباب العربي من خلال شعار التغيير الذي اعتمده لحملته الانتخابية، وأسند ذلك بمقولته الشهيرة «نعم، نستطيع أن نعمل التغيير»، وخطابه في القاهرة عام ٩٠٠٢ بعنوان «البداية الجديدة»[١]، وعايش أوباما «الربيع العربي» على مدى ست سنوات من سنوات حكمه الثمانية. وفي عام ٢٠١٠م عمم أوباما على فريقه السياسي مذكرة دعا فيها إلى "**الاصلاح السياسي في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا**".

٣-٢ فشل مشروع أوباما.. وماذا بعد!

لقد فشل مشروع أوباما في الشرق الأوسط لأنه لم يستطع مواجهة الاستحقاقات القديمة التي كانت تسود المنطقة، وما زالت، والتي أوجزها «**العيسمي**» بعدد من النقاط، منها:

١ (فشل حل الدولتين الذي قام على أساسه المفاوضات بين الفلسطينيين والإسرائيليين من أوسلو ٣٩٩١م.

٢ (إن إمكانية التعايش بين إسرائيل وإيران بدأت تقترب من نهايتها وذلك مع اقتراب إيران من إنتاج القنبلة النووية.

٣ (وصول الولايات المتحدة في حربها على العراق واحتلاله إلى طريق مسدود.

٤ (إن العملية السياسية التي كان قد أنتجها الاحتلال الأمريكي حولت العراق إلى دولة فاشلة.

٥ (وصول المحاصصة الطائفية في لبنان إلى طريق مسدود.

٦ (لم يعد ممكناً للدور التركي في المنطقة أن يبقى محدوداً ومقتصراً على دور الجار الذي لا يرغب بالتدخل في شؤون جيرانه.

٧ (ترافق الثورات العربية عامل توتر آخر إلى منطقة هي غير مستقرة بالأصل.

٨ (وصول الوضع المُتفجّر في سورية إلى حافة الهاوية، ولم يعد الانتظار معه ممكناً.

وتزايدت قضايا المنطقة ومشكلاتها وتعمقت بظهور التكفيريين من المسلمين السنة، كتنظيم الدولة الإسلامية في العراق وسورية (داعش) عام ٤١٠٢، المذكورة أعلاه. وبعد انتهاء ولاية أوباما وهزيمة مرشحته للرئاسة «هيلاري كلينتون»، جاء ترامب الذي يرى فيه «**العيسمي**» بأنه شخصية جدلية، ولا تتناسب مع مواصفات الرئاسة. إذ أن ترامب مهووس بالحرب وتحقيق الصفقات، منها: الحرب على داعش، على إيران، حرب على الإسلاموفوبيا، وحرب على كل من يعاديه ويعترض طريقه، وأحاط نفسه بالجنرالات لتحقيق أهدافه. ويشير «**العيسمي**» إلى أن ترامب لم يقطع وعدًا انتخابيًا إلا وعمل بجد على تحقيقه بعد وصوله إلى الرئاسة، ففعل ما لم يجرؤ أسلافه عن فعله، كإلغاء الاتفاق النووي مع إيران، وبناء الجدار العازل مع المكسيك، والضرائب والرسوم الجمركية التي فرضها على صادرات الصين إلى الولايات المتحدة، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وأعلن عن صفقة القرن التي تعني إنهاء عملية السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل، وإنهاء مبدأ حل الدولتين. كما واعترف بضم إسرائيل للجولان السوري، وقطع المساعدات عن الأردن. وبذلك يكون ترامب قد عكس مشروع أوباما للشرق الأوسط .وعكس مبدأه في الحرب والسلام[1].

ثم جاء بايدن، لتطويق أزمة كورونا وإنعاش الاقتصاد، وإعادة بناء اللحمة الوطنية التي مزق نسيجها الرئيس ترامب على مدى أربعة أعوام، فأخذ يعكس جميع القرارات «الترمبية» التي أبعدت الولايات المتحدة عن دور القيادة، والعمل على إعادة العمل بالاتفاق النووي الإيراني الذي أبرمه أوباما عام ٥١٠٢م.

وبالنسبة للشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، يقول «**العيسمي**» بأن ترامب ذهب وذهبت معه صفقة القرن. كما ويرى «**العيسمي**» في «بايدن» مجرد رئيس تقليدي انتقالي، يحاول استحضار روح الماضي في محاولة منه لبثها في جسد الحاضر وأملا في أن يكون هذا صالحًا لمجابهة أخطار المستقبل. وفي تتبعه لسلوكيات بايدن وممارساته، يرى «**العيسمي**» بأن بايدن لا يزال محكومًا لعقلية الحرب الباردة كما فعل في تعامله مع مجموعة الدول السبع الصناعية التي تأسست عام ٦٧٩١م، مما أثار حفيظة الصين، ولم يلق قبولًا من الأوربيين، وكذلك في تعامله مع حلف شمال الأطلسي الذي تأسس عام ٩٤٩١م.

وبعد هذا كله، **هل بقي من التغيير الذي أحدثه أوباما أي أثر؟ أم أن أوباما نفسه تغيّر لصالح المحافظين الجدد؟** إننا نترك للأيام القادمة فرصة الإجابة على هذا السؤال! **ولعل العيسمي يمرر لنا خيطًا رفيعًا، ننجو به للوصول إلى الإجابة، بقوله:** وكأن

القادة المنتصرين، وعلى مر الزمن، يقرؤون التاريخ، لكنهم لا يتعلمون من دروسه[٢]؛ أي أن الأخطاء وسوء التقديرات سمة ملازمة للقادة السياسيين والعسكريين!

٤-٢ الولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين، إلى أين؟

لقد سعى «**العيسمي**» إلى استشراف مستقبل الولايات المتحدة في المنطقة، من خلال البحث التاريخي المعلوماتي، معتمدًا على التراكم الكمي والنوعي للمعلومات والأحداث عبر المراحل الزمنية المختلفة وطريقة تحليليها. فجاء بخمس فرضيات، أشرنا لها سابقًا، من أجل الإجابة على سؤال البحث الرئيس، وهو: **سيكون القرن الحادي والعشرون أمريكيًّا؟**

قام الباحث (**العيسمي**) باستمزاج رأي عينة صغيرة من (٦٣) شخصية من المختصين، فجاءت النتيجة الرئيسة بأن «**٨٧٪ من المُستقصى رأيهم أكدوا أن القرن الحادي والعشرين لن يكون قرنًا أمريكيًّا كما كان عليه الحال في القرن العشرين**». وورد في تفاصيل هذه النتيجة مجموعة مبررات وتفسيرات، منها:

١ (أصبحت إسرائيل قوة مُعطلة للولايات المتحدة في الفترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة، والتي كان لا بد من إيجاد استراتيجية جديدة ومختلفة للتعامل معها.

٢ (عادت الولايات المتحدة إلى مرحلة الاحتلال المباشر للمنطقة، والذي تم فرضه من قبل بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى.

٣ (الشعب الأمريكي بشكل عام بات يرفض التوجه الخطير للسياسة الخارجية الأمريكية من قبل المحافظين الجدد. وجاء انتخاب الرئيس أوباما كرد فعل معاكس على هذه السياسة، مشروع أوباما قد أخفق بشكل أساسي بسبب التعنت الإسرائيلي والمراوغة الإيرانية.

٤ (هناك إصرار من قبل المؤسسة الأمريكية الحاكمة بأن تبقى منعزلة عن الواقع، وتنظر إلى العالم، وخاصة الشرق الأوسط، بمنظار أحادي البعد، والذي لا ترى من خلاله إلا أمن إسرائيل وتفوق الولايات المتحدة.

٥ (هناك صراع أمريكي مع الصين، ومحاولات روسية لهدم أسس الديمقراطية التي قام عليها النظام الأمريكي الحديث.

٦ (هناك خلل داخلي حصل في السياسة والمجتمع الأمريكيين، بعد التحدي الذي فرضه انتخاب الرئيس أوباما، والذي تفاقم وأخذ منحىً خطيرًا في عهد الرئيس ترامب، المتمثل بالتمييز العنصري ضد المواطنين السود في الولايات المتحدة، والذي كان الاحتجاج على أوباما ذي الأصول الأفريقية أحد أشكاله، وقتل الشرطة الأمريكيين سود من أشكاله الأخرى. واتسع الشرخ المجتمعي الأمريكي في عهد ترامب.

٧ (وهناك ظاهرة خطرة تتمثل بما أطلق عليه «**العيسمي**» «الجبهة السياسية المتقدمة لمُصنعي السلاح في الولايات المتحدة»، وهي تُغدق الأموال على المرشحين المحافظين في أوقات الانتخابات، وهي التي يكدس بفضلها أنصار العنصرية كل أنواع الأسلحة الفردية، التي يمكن أن تحصد أرواح العديد من البشر بشكل جماعي، والتي كانت قد استخدمت في الهجوم على مبنى الكونغرس الأمريكي في ٦ يناير-كانون ثاني ١٢٠٢ لمنع تنصيب الرئيس المنتخب جوزيف بايدن، ومحاولة فرض عودة ترامب إلى البيت الأبيض بعد أن خسر الانتخابات-١٢٠٢.

٨ (إن الوضع أعلاه الذي تتحكم به هذه الجبهة السياسية غير المعلنة، يبدو مرشحًا للتصعيد، كلما اقتربت الولايات المتحدة من الانتخابات الرئاسية عام ٤٢٠٢.

٩ (تواجه الولايات المتحدة اليوم عدوًا داخليا يتمثل بالانعزالية والشعبوية والانقسام الإيديولوجي الحاد.

خلاصة الوضع في الولايات المتحدة اليوم[1]:

تقف على شفا حرب أهلية بعد هجوم الغوغاء من أنصار الرئيس ترامب على مبنى الكونغرس الأمريكي، وكذلك التردي في الوضع الاقتصادي، والانقسام السياسي والمجتمعي الذي غذته ظاهرة الرئيس ترامب الفريدة من نوعها في تاريخ السياسة الامريكية. ويأتي هذا في ظل الصراع المتنامي مع الصين على قيادة العالم. وكذلك التحدي الروسي الفج لقوة الولايات المتحدة. ومحاولة الرئيس بوتين التدخل في الانتخاب ات الامريكية بغية هدم أسس القواعد الديمقراطية التي قام عليها النظام الأمريكي الحديث.

وفق المعطيات أعلاه، يناقش «**العيسمي**» واقع الحال الأمريكي في الشرق الأوسط، ونجمله بالآتي:

١ (هناك حالة من التراخي الأمريكي، وعدم وجود استراتيجية واضحة، وخاصة بعد سحب قواتها المُتسرع وغير المدروس من أفغانستان، وكذلك الانسحابات المتواترة من العراق وسورية.

٢ (التهاون الأمريكي في حماية أمن دول الخليج من الهيمنة الإيرانية والتمدد الإسرائيلي.

٣ (تحاول الصين أن تأخذ مكان الاتحاد السوفيتي .وأن تُنافس الولايات المتحدة على نفس القاعدة التي سقط عليها الاتحاد السوفيتي، الاقتصاد، ومضافا إليه التكنولوجيا. ومبادرة الحزام والطريق عام ٣١٠٢، والتي تبني الصين بموجبها مجموعة شبكات من الطرق البرية والبحرية تشمل دولاً متعددة في آسيا وافريقيا وأوروبا والولايات المتحدة الجنوبية. وهنا يلاحظ عدم استطاعة الولايات المتحدة فرض عقوبات اقتصادية على الصين، كما تفعل مع روسيا وإيران وغيرهما، وذلك لحجم التبادل التجاري الكبير بين الصين وبين الولايات المتحدة[1].

٤ (هناك تساؤلات حول جدوى وجود قواعد عسكرية أمريكية في المنطقة، وفق الرؤى والآراء الآتية:

— أصبحت وظيفة تلك القواعد تقتصر على محاربة الإرهاب أكثر مما هي لتأمين تدفق النفط الموجود في المنطقة.

— لم تعد الولايات المتحدة بحاجة إلى السيطرة على أسواق الطاقة العالمية. وذلك بحكم وجود الاحتياطي النفطي الكبير لديها، وبسبب تغيّر المصادر الأساسية للطاقة وتنوعها في المستقبل القريب.

— تحاول الولايات المتحدة إعادة تجميع قواها المتقدمة ونقلها إلى الفضائيين الأزرقين، السماء والبحار.

— إن الضرورة لوجود قواعد عسكرية أمريكية في المنطقة لحماية أمن إسرائيل لم يعد حاجة ملحة بالنسبة للولايات المتحدة. وذلك بسبب التغير الإقليمي الحاصل في المنطقة، والذي باتت إسرائيل تشكل جزءًا منه. كما وإن إسرائيل تملك كل أسلحة الردع التي يمكن أن توفرها لها الولايات المتحدة، بما فيها الأسلحة النووية.

ولعل الحقيقة تظهر، في ذروتها، فيما تقوله باحثة بارزة في السياسة الدولية: **إن إدارة الرئيس جو بايدن لم تُخف نيتها بالخروج من الشرق الأوسط**. وهذا ما كان قد عبر عنه أيضاً انتوني بلينكن، بعد اختياره لتولي حقيبة الخارجية في إدارة بايدن.

وقبل مغادرة هذا الجانب من النقاش، لا بد من النظر إلى الوجه المعاكس من الصورة؛ **إذا ما قررت الولايات المتحدة البقاء في المنطقة**، فإنه يجب عليها أن تتقبل فكرة أنها لن تكون القوة العظمى المهيمنة على الشرق الأوسط، كما كانت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى تاريخه. ويستعرض «**العيسمي**» بعضًا من متطلبات هذا البقاء، يوجزها بأنه على الولايات المتحدة أن (تفرض) ظروف استقرار في المنطقة، تؤدي إلى تحسين حياة مواطنيها، وأن تتخلى الولايات المتحدة عن مثال القوة، لتقود المنطقة بفوة المثال.

.

ثالثًا- داعش: مشروع الآخرين على أرض العرب:

يرى «**العيسمي**» أن **داعش هي مشروع الآخرين على أرض العرب، ويتساءل: هل للعرب من مشروع على أرضهم؟ وتحت هذا العنوان يعتقد أن** إيران أصبحت اليوم تحتفظ بالمنطقة كرهينة لتعزيز ما يمكن أن تحصل عليه من الغرب بخصوص برنامجها النووي. وأيضا لتقوية نفوذها الإقليمي على حساب العرب. ولهذا يأتي مشروع داعش بالدرجة الأولى لدب الفوضى في المنطقة وبث الرعب في نفوس الناس، تتحول داعش من منظمة إرهابية صغيرة إلى مشروع إقليمي كبير تتبناه كل من: الولايات المتحدة وروسيا، وتباركه إسرائيل.

تقدم «**العيسمي**» بعرض صورة جامعة لرؤية أوباما للحرب على داعش باتباع المنهج التحليلي القائم على تقديم صورة جامعة لعناصر هذا الحدث ومكوناته، بتفكيك هذه العناصر إلى أجزاء ونقاط ارتكاز تنسج خيوط الترابط في هذه الحرب. فتوصل إلى الأسباب التي دفعت أوباما لشن هذه الحرب في العام ٤١٠٢م، والمكاسب التي كان أوباما يتوقع تحقيقها.

بشأن التوقيت، كان له علاقة بالتنافس بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري، والانتخابات النصفية للكونغرس بمجلسيه الشيوخ والنواب في ذلك الوقت، واستعادة هيبة الولايات المتحدة التي هزتها احداث أوكرانيا وجزيرة القرم التي سيطرت عليها روسيا، وتداعيات الحرب الإسرائيلية على غزة في ذلك العام، ٤١٠٢. لا سيما عندما" نحرت "داعش الصحفيين الأمريكيين (**جيمس فولي وستيفن سوتلوف**) وهذا ما اعتبره الرئيس أوباما بمثابة إعلان الحرب على الولايات المتحدة، ويتطلب الرد المباشر عليه، فبدأت الحرب العالمية على داعش بقيادة الولايات المتحدة، وإن ما دار في المنطقة في حينه ارتقى إلى مستوى حرب عالمية ثالثة ساحتها بلاد الرافدين والشام.

وأما بشأن المكاسب التي حصل عليها أوباما في حينها، فإنها تكمن في التفويض بشن هذه الحرب الذي كان قد حصل عليه من الكونغرس ومن الأمم المتحدة بدعم روسيا والصين، والحصول على تسوية مع إيران بخصوص برنامجها النووي، والأهم في تلك المكاسب هو إعادة الولايات المتحدة إلى موقع القيادة، وطرح أوباما نفسه من جديد بصفته القائد الذي لا يمكن تجاهله في إدارة الأزمات. فحدد أوباما استراتيجيته بإضعاف داعش خلال ثلاث سنوات، تاركًا مهمة إنهائها لمن سيأتي بعده، كما رحّلت مهمة محاربة القاعدة إليه من سابقه.

ويصف «**العيسمي**» استراتيجية أوباما في محاربة داعش بعدم الوضوح والغموض، الذي أحاط بها، وهذا الغموض مستمدّ من غموض داعش نفسها، التي هي أشبه بالأسطورة التي ولدت من نسج الخيال، وأصبحت «ماردًا» يخيف العالم، كما أن هناك أهدافًا أمريكية غير معلنة حول «**مشروع الشرق الأوسط الكبير**» الذي بدأ مع تفكيك العراق عام ٣٠٠٢م، وهو مشروع المحافظين الجدد القائم على النفط وحماية أمن إسرائيل، في حين أن **مشروع أوباما** يُخرج النفط من المعادلة، ويؤيد «**الربيع العربي**»، ووصول الإسلام المعتدل إلى السلطة، وقيام سلام شامل بين العرب وإسرائيل.

رابعًا- إسرائيل و إيران هما المستفيدان من تدمير المنطقة وتفكيكها:

كما ذكرنا في أكثر من موضع في هذه القراءة فإن الصراع الأمريكي في الشرق الأوسط قد تمحور حول قضيتين أساسيتين هما النفط وإسرائيل. واستمرت الولايات المتحدة بشكل خاص، والغرب بشكل عام، بدعم إسرائيل واستخدامها كرأس حربة في عدائهم مع الاتحاد السوفيتي طوال فترة الحرب الباردة.

لا شك في أن إسرائيل، الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة في المنطقة، تدفع الولايات المتحدة لأفعال وممارسات في المنطقة تخدم مصالح إسرائيل أكثر مما تخدم مصالح الولايات المتحدة نفسها، كالحرب العراقية الإيرانية، واحتلال أفغانستان، واحتلال العراق، والحرب على داعش في المنطقة.

وإن الصراع العربي الإسرائيلي رافق الولايات المتحدة والعالم منذ إنشاء دولة إسرائيل عام ٨٤٩١، وقد عجزت الولايات المتحدة عن حلّ هذا الصراع، في حين أن إسرائيل، وهي الدولة النووية الوحيدة في الشرق الأوسط، تشطر الوطن العربي إلى قسمين متباعدين. وقد استغلت إسرائيل حرب أوباما على داعش بتعزيز مفهوم الدولة اليهودية، وبالمزيد من الاستيطان في الضفة الغربية[١].

واستفادت إسرائيل من التخلص من الأسلحة الكيماوية السورية التي تعدّ أسلحة استراتيجية، من خلال اتفاق سوري أمريكي إبان حكم باراك أوباما. كما وتبين بأن تضخيم برنامج إيران النووي يصب في مصلحة إسرائيل التي طالما جعلت منه الشماعة التي تعلق عليها تعدياتها بحجة حماية أمنها.

وأما بالنسبة للحلول المقترحة بين إسرائيل والفلسطينيين، وبينها وبين محيطها العربي، فإن نهج الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة يقوم على إنكار حقوق الفلسطينيين كافة، وإن كل ما تم من مفاوضات أو اتفاقيات، لا تخرج من نطاق المراوغة والتسويف واللعب بالوقت من قبل إسرائيل، وبدعم أمريكي مطلق. وليس أدل على ذلك أكثر من قول إسحق شامير رئيس وزراء إسرائيل في مدريد عام ١٩٩١م: "نحن وافقنا على التفاوض، ولكننا لم نوافق على ماهية التفاوض ولا أمده" .

وإسرائيل معروفة عبر تاريخها كيف تبرم الاتفاقيات، كيف تفرض تنفيذها، وكيف تتنصل منها إذا ما اقتضت مصالحها. وعندما سئل نتنياهو عن عودة المفاوضات مع الفلسطينيين، وضع شروطًا واسعة وشاملة لا تترك للفلسطينيين مجالًا للتنفس، تتكثف في الدولة اليهودية التي تهدف إليها إسرائيل، التي تقوم على ثلاث مرتكزات أساسية :**الحدود، السكان، والحاضنة**[٢]. **وأما المحيط العربي، فإن ما يناسب إسرائيل منه هو** أنها على الدوام تخشى من الشعوب التي تخيف أنظمتها، وليس من الأنظمة التي تخيف شعوبها.

وهكذا تكون إسرائيل هي أحد أهم العوامل التي أدت إلى إخفاق مشروع أوباما، الموصوف أعلاه؛ إذ أنها حاربته في الشرق الأوسط، وذلك لأن النظام العالمي الجديد الذي ينشده تغيير أوباما كان من شانه أن ينهي إسرائيل في النهاية. وذلك لأن وجودها في الشرق الأوسط هو أحد اهم النتائج التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية، مثلها مثل تشكيل الحلف الأطلسي.

أما المستفيد الآخر مما قامت به الولايات المتحدة في المنطقة فهو إيران التي أطلقت الولايات المتحدة يدها في وسورية ولبنان .وجعلتها تتمادى على دول الخليج وتتطاول على تركيا. وكذلك تتدخلُ في شؤون أفغانستان. حتى أن الاتفاق النووي تم بعد أن جنت إيران الكثير من المكاسب الاقتصادية والسياسية. وكان منها: رفع العقوبات الاقتصادية التي كانت مفروضة عليها واستمرار تصدير النفط الإيراني كما كان قبل الحصار، وخاصة إلى الصين. كما حصل تقارب وتعاون بينها وبين دول الخليج، وخاصة السعودية[٣].

الآن، وبعد تدمير العراق وسورية وإخراج مصر من المعادلة، انهارت منظومة الردع العربي في المنطقة وانكشف البعد الجيواستراتيجي بين إسرائيل وإيران. ولم يعد بينهما حواجز من أي نوع. ووفقاً للتحليلات السابقة، فإن الحرب على داعش تصب أيضا في صالح إيران وإسرائيل[٤]، وقد استغلت إسرائيل هذا الوضع لمحاولة تشكيل الدولة اليهودية، وإجراء ترتيبات أمنية في سيناء والجولان وجنوب لبنان.

وتحت عنوان «**تبعات الفراغ الجيوسياسي الناجم عن تهميش العراق وسورية» يناقش "العيسمي**» الدور الإيراني في هذين البلدين العربيين، الناجم عن إطلاق يد إيران فيهما، نتيجة ما وصفه «سياسة بوش الابن الخرقاء»، وذلك بحكم سيطرة إيران على معظم الكتل السياسية والميليشيات المسلحة التي كانت قد أنتجتها الحرب، والقائمة على أساس طائفي تخضع بشكل مباشر أو غير مباشر لولاية الفقيه في طهران. إضافة إلى نفوذ إيران المتنامي في سورية وسيطرتها على حزب اله في لبنان.

وعلى الأرض السورية، هناك هدف مشترك بين إسرائيل وإيران، ويتمثل بالمحافظة على النظام القائم في سوريا، الذي يخدم

مصلحتيهما. كما أن الحرب على داعش والتكفيريين من "المسلمين السنة"، تصب بشكل مباشر في مصلحة إيران وإسرائيل؛ فهما اللتان كانتا أيضًا من أكثر المستفيدين من الحرب على الإرهاب منذ أحداث سبتمبر ٢٠٠١[٥].

وعليه، فإن مشروعيّ إسرائيل وإيران هما مشروعان متناغمان في المنطقة، ويكمل أحدهما الآخر. وليس التظاهر بالخلاف والعداء بين الدولتين إلا للتسويق الإعلامي لإسرائيل والاستهلاك "الشعبوي والثورجي لإيران".

إن المتابع لتواتر الأحداث في المنطقة لا يصعب عليه الاستنتاج بأن هناك مخططاً ما يهدف" دعوشة المنطقة التي رسمت حدودها اتفاقية سايكس-بيكو. وبهذا تحولت داعش من منظمة إرهابية صغيرة إلى مشروع إقليمي كبير تتبناه كل من الولايات المتحدة وروسيا، وتباركه إسرائيل. وذلك لتحويل بلاد الرافدين والشام إلى مناطق نفوذ تتقاسمها الدول الإقليمية، إيران وتركيا وإسرائيل.

خامسًا: إسرائيل: بين استبدال الولايات المتحدة بالصين وبين المستقبل المجهول:

"تشير دراسات المؤسسة العامة للمسح الجيولوجي في الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانية اكتشاف كنز غازي ونفطي هائل في البحر الأبيض المتوسط». الأمر الذي يشير إلى أن هناك حربًا قد بدأت بالفعل، حيث تتنازع إسرائيل مع سوريا وتركيا ولبنان وقبرص ومصر وفلسطين المحتلة - متمثلة في قطاع غزة على الأحقية المشتركة في حقول الغاز المكتشفة حديثا في شرق البحر المتوسط.

وأما عن العلاقة الإسرائيلية الصينية فالحديث يطول. فلقد أصبحت الصين تمثل أكبر شريك تجاري لإسرائيل في قارة آسيا. وثالث أكبر شريك تجاري لها في العالم بعد الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

وفقا لما استنتجه الباحثون الإسرائيليون في دراساتهم المستقبلية فإن إسرائيل ستكون هي الرابح الأكبر من المبادرة الصينية بتوقيع عقود شراكة مع بنك البنية التحتية الآسيوية المدعوم من قبل الصين. وذلك لما يمكن أن توفره من موانئ حديثة وسكك حديد متطورة ومنظومة إدارية عصرية. فهي لا تحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد لكي تتكامل مع المشاريع الصينية المقترحة في المنطقة[١].

يتساءل «**العيسمي**»: هل تستطيع إسرائيل من غير الولايات المتحدة أن تكسب السلام المطلوب في القرن الحادي والعشرين، كما ربحت معظم الحروب بدعم الولايات المتحدة في القرن العشرين؟

بناء على ما سبق من استنتاجات وتوقعات بمغادرة الولايات المتحدة المنطقة، ونظرًا لأن إسرائيل تعتمد بخططها الأمنية والدفاعية على علم الدراسات المستقبلية، فإن الصين هو الطرف الذي ستراهن عليه إسرائيل في المستقبل، لعدد من الأسباب، منها[٢]:

١ (إن إسرائيل تعتمد بخططها الأمنية والدفاعية على علم الدراسات المستقبلية، فهناك خوف من خروج الولايات المتحدة من الشرق الاوسط بشكل سريع ومفاجئ كما حصل في أفغانستان. وعليه، فإنها تراهن على الصين.

٢ (الصين جزء من منطقة الشرق الأوسط . والبضائع هي بضائعها. وهي من سيبني مستقبلا شبكة الطرق في المنطقة لنقلها إلى العالم.

٣ (إن مبادرة الحزام والطريق الصينية تسير باتجاه تحزيم المنطقة الممتدة بين البحرين الأبيض المتوسط والأحمر غربا وحدود الصين شرقا بالطرق وسكك الحديد والممرات البحرية. وتعاون إسرائيل المباشر والوثيق معها في هذا الموضوع يضعها في موقع صناعة القرار. وهذا ما يعزز من موقعها في الإقليم على حساب الدول الأخرى الفاعلة في المنطقة كتركيا وإيران والدول العربية، ومنها السعودية ومصر.

وبين هذا وذاك من السيناريوهات والدراسات المستقبلية القائمة على أصول البحث العلمي، والتوقعات المختلفة، يبقى مستقبل إسرائيل كدولة على الأرض في الشرق الأوسط، بعد زوال القوة الأمريكية من المنطقة، محل تساؤلات جادة من قبل المختصين والباحثين، **فهل تتلاشى إسرائيل تدريجيًّا أم دفعة واحدة**، وهو الأمر الذي خاض فيه «**العيسمي**»، وفق الملاحظات والمؤشرات الآتية:

— **إسرائيل هي دولة حرب بالأساس**، والسلام سيقود إلى نهايتها. وهي أيضًا تحاول أن تكون دولة يهودية أحادية القومية. والدول الدينية عمرها قصير في التاريخ وتتآكل من داخلها، مثلها كمثل الإمبراطوريات التي تتفكك وتنهار عادة بسبب توسعها إلى خارج حدودها.

— ستحدّ عملية السلام من هجرة اليهود إلى إسرائيل تدريجيا، وإلى أن تتلاشى. حيث إ ن معظم اليهود في إسرائيل اليوم هم من الهجرة المتأخرة إلى فلسطين. ومعظمهم ما زالوا يحملون جوزات سفر البلدان التي قدموا منها، ويمكن لهم استخدامها في أي وقت.

— تعاني إسرائيل من هاجس الهجرة المعاكسة منها، ويشمل أيضا اليهود الأمريكيين والأوروبيين بسبب حالة عدم الاستقرار المنطقة. وهذا ما يجعل إمكانية قيام واستمرار الدولة اليهودية في إسرائيل موضع شك.

— هناك معادلة قائمة منذ الحرب العالمية الثانية، وهي: «**إن وجود إسرائيل في الشرق الأوسط مرتبط بوجود الولايات المتحدة فيها، والعكس بالعكس**».

فهل أن ما تقوم به إسرائيل من ترتيبات مع كل من إيران، وروسيا، والصين سيقلب هذه المعادلة؛ لتبقى إسرائيل بعد زوال الولايات المتحدة من المنطقة؟

الخلاصة:

منطقتنا مهمة جدا على المستويين الجيوسياسي والجيواستراتيجي. ويرى «**العيسمي**» أن المنطقة ما بين حدود إيران والبحر الأبيض المتوسط قد تحولت إلى"**ثقب أسود**" يستقطب كل أشكال العنف والفوضى كافة، والاقتتال الطائفي والتناحر الإثني[1]:

— ففلسطين المحتلة منذ قرن ونيّف تشطر الوطن العربي إلى شطرين منعزلين عن بعضهما البعض، أي أن إسرائيل تشكل خنجرًا في جسد الأمة العربية، وتتحكم في البعد الجيواستراتيجي للمنطقة بأسرها.

— والعراق المتميز على المستوى الجيواستراتيجي؛ باعتباره البوابة الشرقية للوطن العربي المختزن للثروات ومصادر الطاقة كافة. وكذلك شرق سورية وحلب، ذات الأهمية الجيوستراتيجية أيضًا؛ لموقعها الذي يمثل عقدة الوصل المركزية بين كل الدول الإقليمية في المنطقة (تركيا، أيران، المنطقة الكردية، السعودية، الأردن، إسرائيل، مصر، ولبنان)؛ وبهذا تبقى الولايات المتحدة الموجودة فيها لتكون قريبة من كل منابع النفط والغاز المهمة في المنطقة، في إيران والعراق والخليج.

— وأما لبنان فيشكل جزءًا مهمًّا من المنطقة بحكم موقعه على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط وحدوده المتداخلة مع سورية وإسرائيل. كما وأصبح يُطلُ على منطقة بحرية تختزن قدرا كبيرا من الغاز.

وفي خضم الحوار والنقاش الصاخب الذي أقامه الباحث «**العيسمي**» في هذه الدراسة، يعرّج على سؤال/ تساؤل مهم، وهو: إذا ما كان من حق إيران أن تبني دولة فارسية. وكذلك تبني تركيا دولة عثمانية، وإسرائيل دولة يهودية والأكراد دولة كردية... **فلماذا لا يسمح للعرب إذن ببناء دولتهم الاتحادية؟!**

التعليق والخاتمة:

جاءت هذه الدراسة لتشكل إضافة نوعية في مجال دراسات المستقبلات، التي توظف الاحداث والظواهر التاريخية القادمة من عمق التاريخ، بمدياته المختلفة –البعيدة والمتوسطة والقريبة- والحاضر الذي تجري أحداثه وتتراكم على مرأى ومسمع منّا، في بناء نماذج للمستقبل، والمستقبل هو الحاضر في زمان لاحق.

ويرى «**العيسمي**» أن الدراسات المستقبلية تعتمد على تناول السردية التاريخية للأحداث بالتفسير والتحليل[٢]. ما يعني أن أمتنا بحاجة ماسّة إلى جعل الأحداث التي مرّت عليها، عبر الزمن، مصدرًا مهمًّا من مصادر استشراف مستقبلات الأجيال القادمة، والتخطيط السليم لتمكينها من العيش الكريم على أرض الآباء والأجداد واستثمار ثروات الأمة لصالح أبنائها.

لقد ناقش «**العيسمي**» مآلات الصراع على الشرق الأوسط، بأوجهه المختلفة، ووفق فرضيات تم صياغتها بأسلوب علميّ ينمّ عن خبرة الباحث وقدرته على صياغة العبارات بدقة تجعل القارئ شغوفًا للتعرف على نتائج الفرضية وتفسير تلك النتائج ومبرراتها. وقد جاءت النتائج الفعلية لهذه الدراسة تحمل ملامح المستقبل وسماته التي تتجه نحو تغيرات تتراوح بين الدراماتيكية المتمثلة بمغادرة الولايات المتحدة للشرق الأوسط، والتصاق إسرائيل بالتنين الصيني، أو تلاشي إسرائيل تدريجيًّا، وبين التدرّج نحو بقاء الولايات المتحدة في المنطقة، وتحوّلها من «مثال القوة» إلى «قوة المثال»، على أن تحيا الأجيال القادمة حياة حرة كريمة على أرض الآباء والأجداد، والتمتع بخيرات بلدانهم وثرواتها التي حباها الله إياها.

وأما ذروة الأهمية في هذه الدراسة فهو تأكيدها على الأهمية الجيوسياسية والجيوستراتيجية للمنطقة العربية، الأمر الذي يضعها في بؤرة الصراع العالمي، وأن السيطرة عليها هي معيار القوة والانتصار للدول العظمى، التي تكاد تجمع على أن لكل قومية فرصة لإنشاء دولتها وكينونتها السياسية، ما عدا العرب الذين لا يُسمح لهم إنشاء دولتهم الاتحادية؛ لأن اتحاد العرب وتماسكهم يعيدهم إلى مكانهم ومكانتهم التي افتقدوها منذ مئات السنين.

بقي القول بأن الدراسة ركزت على رؤساء الولايات المتحدة، باعتبارهم هم صانعوا السياسة، مع قليل من الالتفات إلى أدوار المؤسسات، التي ترسم السياسات العليا للدولة الأمريكية كالكونغرس والبنتاغون وغيرها، وكذلك عدم التوقف بما يكفي أمام حلف الناتو الذي توظفه الولايات المتحدة في احتلال الدول واستعمارها والعبث في ثرواتها. ولعل ذلك، كما أشار العيسمي، يعود إلى أن القرارات الكبرى ما كانت لتتم لولا موافقة الكونغرس عليها، كدخول الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية كما حصل في الأولى.

كما أن الباحث «**العيسمي**» لم يتوقف بالشرح عند أي من النظريات السياسية التي توجه قادة الولايات المتحدة، كالنظرية الليبرالية، والواقعية بتفرعاتها المختلفة: الكلاسيكية، والبنيوية، والهجومية، والدفاعية، وإنما ركّز على النظريات ذات الصلة بالشرق الأوسط، كنظرية الفوضى الخلاقة لكونداليزا رايس مستشار الأمن القومي في العهد الأول لجورج بوش الابن ووزيرة خارجيته في فترة رئاسته الثانية. كما أشار «**العيسمي**» إلى نظرية فائض القوة في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة. كما وتطرق إلى «العولمة الاقتصادية» في عقد التسعينيات من القرن العشرين. وأما فكرة «**نهاية التاريخ**»؛ التي ابتدعها فرنسيس فوكو ياما بعد الانتهاء الحرب الباردة، فإن «**العيسمي**» تجنب الخوض فيها، ولعل ذلك يعود إلى أن الدراسة ركّزت على الشرق الأوسط دون غيره.

المصادروالمراجع

حسيب وآخرون (٨٨٩١). **مستقبل الامة العربية - التحديات والخيارات** - التقرير النهائي لمشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان.

الرمضاني، مازن (١٢٠٢). «**دورة التجديد العربي لدراسات المستقبلات: نظرياً وتطبيقياً**». غير منشور. المعهد العامي للتجديد العربي. وحدة دراسات المستقبلات.

زريق، قسطنطين (٠٨٩١). **نحن والمستقبل**. مركز دراسات الوحدة العربية ومؤسسة عبد الحميد شومان. ط٢. بيروت.

العيسمي، رياض (٢٢٠٢). **الولايات المتحدة ومآلات الصراع على الشرق الأوسط: التنافس الجيواستراتيجي والنظام العالمي الجديد**. حقوق النشر للمؤلف.

الهنداوي، أحمد، والحموري، صالح، والمعايطة، رولى (٧١٠٢). **استشراف المستقبل وصناعته: ما قبل التخطيط الاستراتيجي....** استعداد ذكي. قنديل للطباعة والنشر والتوزيع. دبي. الإمارات العربية المتحدة.

أثر العامل الديني على الاستيطان وسلوك المستوطن في الضفة الغربية

The impact of the religious factor on settler behavior in the West Bank

معتصم الكيلاني
رام الله - فلسطين

تاريخ الإستلام 23-5-2022 تاريخ القبول 12-12-2022 تاريخ النشر 30-4-2023

ملخص

البعد الديني للاستيطان في الضفة الغربية - الخطر القادم

في المشهد الاستيطاني المتسارع في الضفة الغربية يمكن أن نحدد مسارين للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين الأول: تقوم به دولة الاحتلال عبر الاستيلاء على أراضي الفلسطينيّين بطرق علنيّة عبر قرارات حكومية حازت على تصديق المستشارين القضائيّين والقضاة. والمسار الثاني: يقوم به المستوطنون عبر الاستيلاء على الأراضي في الضفة الغربية عن طريق العنف ضدّ الفلسطينيّين. ويمكن القول إن النتيجة واحدة لكلا المسارين حيث يتم قضم المزيد والمزيد من الأراضي الفلسطينيّة لصالح المشاريع الاستيطانية.

وتعتبر العقيدة الاستيطانية الاستعمارية مكون أساسي، وليس طارئ، من العقيدة الإسرائيلية أو من رؤية إسرائيل، لذاتها، ورؤية المجتمع الإسرائيلي لذاته، حيث أن هذه الرؤية تحمل بعدا أسطورياً ودينياً وأيديولوجياً، باعتبار فلسطين (أرض الميعاد) بالنسبة لليهود. وعند النظر إلى المبادئ الرئي**الملخص:**

أتاحت الثورة المصرية للنخب السياسية فرصة إقامة دولة مصرية ديمقراطية قادرة على استعادة هيبتها الدولية والإقليمية وإحياء الدماء بفعاليتها ووجودها العالمي ، لكن الصراع على السلطة وتعبئة المصالح الحزبية والفردية أضاع هذه الفرصة. وتحولت لعنة استغرقت مصر وقتا طويلا للخروج واستعادة مناعتها الداخلية.

لم يكن للتغيير في القيادة السياسية في مصر بعد الثورة وعلى مدى السنوات العشر الماضية أثر جوهري أو حتى تغيير ملموس في التعامل مع إسرائيل ، ولم يلقي هذا التغيير بظلاله على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وبدلاً من ذلك ، استمرت النخب الحاكمة في الحفاظ على التوازن والالتزام بالعلاقة مع إسرائيل، مع اختلاف حجم الاتصالات ، وهو القاسم المشترك بين الحكام الذين وصلوا إلى السلطة بعد الثورة.
رغم اعتبار مصر وسيطًا في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ورغم فشل الدور المصري في فرض أو اقتراح حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، إلا أنها سعت فقط إلى الحفاظ على الهدوء والاستقرار دون خطة سياسية أو مفاوضات من أجل. للوصول إلى حل نهائي. نصت اتفاقيات أوسلو على الوصول إلى إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل وفق حل الدولتين ، وهو ما رفضته إسرائيل علنًا بعد الثورات العربية ، وتجرأت على التحدث عنه علنًا في منتدياتها ومؤتمراتها الصحفية.
نجحت الثورة المصرية ، وسقط نظام مبارك ، وشهدت الساحة المصرية أحداث وتحولات بعد الثورة كان لها أثر كبير في تحديد شكل النظام المقبل والتوجه السياسي المطلوب تنفيذه. خاضت الأحزاب السياسية صراعا طويلا لتحديد شكل الحكومة وطبيعة الدولة الجديدة ، وكان لهذا النضال العديد من النتائج، اتسم معظمها بالصراع والتنافس السياسي.

Abstract

أتاحت الثورة المصرية للنخب السياسية فرصة إقامة دولة مصرية ديمقراطية قادرة على استعادة هيبتها الدولية والإقليمية وإحياء الدماء بفعاليتها ووجودها العالمي ، لكن الصراع على السلطة وتعبئة المصالح الحزبية والفردية أضاع هذه الفرصة وتحولت لعنة استغرقت مصر

The Religious Dimension of Settlement in the West Bank - The Upcoming Risk

In the accelerating settlement scene in the West Bank, we can indentify two tracks for taking over Palestinian lands. The first: done by the state of occupation through taking over Palestinian lands using public means and through governmental decisions approved by the judicial consultants and judges. The second track is done by settlers through taking over Palestinians lands using violent means against Palestinians. We can say that the result is the same for both tracks, whereas more and more Palestinian lands are stolen in favor of settlement projects.

The settlement colonial creed is a basic component, not temporary, of the Israeli creed or Israeli vision, and the vision of the Israeli society itself. Such visions hold an ideological, legendary and religious dimension considering Palestine as (the Promised Land) for Jews. Looking at the main principles for those Zionist settlement groups, we not that they agree upon a basic principle, which is: “The whole Israeli land” which constitutes a motivation to establish settlements on Palestinian lands, deeming this as a religious duty before anything else.

It can be said that the occupation strategy regarding the situation in the West Bank depends on enhancing

the status quo, represented in supporting settlements. A reader can know that these is a racial ideology based on deep hatred toward Palestinians, including calling for displacing or even killing them.

It is expected that religious-motivated violence by settlers will eventually lead to a severe confrontation believed by rabbis and settlers who grew up in religious institutions, based on two basic principles (that this lands as a whole belongs to them) and that (displacing Palestinians must take place even by force or murder". Therefore, Some Israelis talk about the state of settlers or what is so-called "Judea State

مقدمة

تتصدر قضية الاستيطان في الضفة الغربية مشهد الصراع على الأرض في الضفة الغربية حيث أن التمدد الاستيطاني وتضاعف إعداد المستوطنين يشكل واقعا يؤثر على التركيبة الديموغرافية. حيث استولت إسرائيل أكثر من مليوني دونم من أراضي الضفة الغربيّة منذ أن احتلّتها في العام ٧٦٩١. وتسخّر هذه الاراضي لبناء المستوطنات وتوسيع مسطّحات نفوذها، وتقول صحيفة (إسرائيل هيوم) أن عدد المستوطنين في الضفة الغربية المحتلة بحلول نهاية عام ٢٢٠٢ ، قد يتجاوز نصف مليون مستوطن.

لقد باتت المستوطنات تسيطر على مئات الآلاف من الدّونمات في الضفة الغربية استولت عليها إسرائيل عبر أوامر عسكريّة أو عبر إعلانها «أراضي دولة» أو «مناطق إطلاق نار» أو «محميّات طبيعيّة» أو عبر مصادرتها؛ وبعضها الآخر استولى عليه المستوطنون بالقوّة وبواسطة الُعنف ضدّ الفلسطينيّين.

بمتابعة المشهد الاستيطاني المتسارع في الضفة الغربية يمكن أن نحدد مسارين للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين: الأول: تقوم به إسرائيل عبر قرارات حكومية حازت على تصديق المستشارين القضائيّين والقضاة. الثاني: يقوم به المستوطنون عن طريق العنف. ويمكن القول إن النتيجة واحدة لكلا المسارين حيث يتم قضم المزيد من الأراضي الفلسطينيّة لصالح المشاريع الاستيطانية.

وتعتبر العقيدة الاستيطانية الاستعمارية مكون أساسي وليس طارئاً، من العقيدة الإسرائيلية، التي تحمل بعدا أسطورياً ودينياً وأيديولوجياً، باعتبار فلسطين (أرض الميعاد) لليهود.

في واقع الامر فان المعطيات تشير الى ان القرار الإسرائيلي بخصوص الوضع في الضفة الغربية يعتمد على ترسيخ الأمر الواقع، المتمثل في تعزيز الاستيطان، ودعم السلوك الاستيطاني العنيف للمستوطنين الدفوع توراتيا الذي ينتهج العنف سبيلا لتفريغ الارض الفلسطينية من سكانها والاستيلاء عليها.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في مسالة الاستيطان والحالة العدوانية المتصاعدة التي يشكلها المستوطنون في محافظات الضفة الغربية المحتلة، بشكل شبه يومي ضد الفلسطينيين سواء على الشوارع الرئيسية أو على القرى والبلدات المجاورة للمستوطنات.

أسئلة الدراسة:

من الأهمية بمكان دراسة الأسباب التي تقف خلف السلوك العنيف الذي يمارسه المستوطنون الإسرائيليون في الضفة الغربية المحتلة والنتائج المتوقعة مستقبلا لهذا السلوك. لذا جاءت هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

- هل ستشهد الضفة الغربية حربا دينية يقودها المستوطنين ضد الفلسطينيين مستقبلا؟

وقد انبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يقف الدافع الديني والتعبئة التي يتلقاها المستوطنون في المؤسسات الدينية الإسرائيلية خلف سلوك المستوطنين العنيف؟
- ما هي الجماعات الصهيونية التي تحمل الطابع الديني والتي تتصرف بعدوانية تجاه الفلسطينيين في الضفة الغربية؟
- هل تقف دولة الاحتلال رسميا خلف دعم المؤسسات الدينية في المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية؟

فرضيات الدراسة:

انطلق الباحث في دراسته من خلال نفي أو إثبات فرضية الدراسة التي تقول:

أن العامل الديني والتربية الدينية داخل المراكز الدينية في المستوطنات هي الدافع الأساسي للسلوك العدواني للمستوطنين وتؤسس لحرب دينية قادمة.

منهجية الدراسة:

إن الإجابة على التساؤلات السابقة تتطلب جمع كثير من البيانات وتحليلها، ولهذا فإن الباحث استخدم المنهج الوصفي - أسلوب (تحليل المضمون) في هذه الدراسة، من اجل الوصول إلى البعد الديني للاستيطان ومستقبل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في الضفة الغربية.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة كونها تناقش حالة متوترة تتصاعد يوميا على الأرض في الضفة الغربية وتولد ضحايا وأعمال تؤثر على استمرار حياة الفلسطينيين بشكل طبيعي وتدفع باتجاه مواجهة قد تصل إلى حدود لا يمكن احتواؤها تتمثل في سلوك عدواني تمارسه مجموعات المستعمرين المسلحة والتي تحظى بحماية جيش الاحتلال الإسرائيلي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف ما إذا كانت دولة الاحتلال تقف رسميا خلف دعم المؤسسات الدينية في المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية؟
- التعرف على أبرز الجماعات الصهيونية ذات الطابع الديني والتي تمارس العنف والارهاب تجاه الفلسطينيين في الضفة الغربية؟
- استنتاج ما إذا كانت الضفة الغربية المحتلة ستشهد حربا دينية بين المستوطنين والفلسطينيين؟

الأدوات المستخدمة:

استعان الباحث بالكتب والدراسات السابقة والإحصائيات التي بحثت في الاستيطان ومستقبل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، كذلك تم الرجوع إلى الشبكة العنكبوتية من أجل تحصيل الكم الأكبر من البيانات والإحصائيات.

حدود الدراسة:

الحد الزماني: تم إجراء هذه الدراسة في الفترة الواقعة ما بين ١/١ لغاية ٧/١ – ٢٢٠٢

الحد الموضوعي: ركزت الدراسة في جانبها الموضوعي على البعد الديني للاستيطان ومستقبل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

إجراءات الدراسة:

تقع الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول:

الفصل الأول: الاستيطان في الضفة الغربية نبذة تاريخية.

الفصل الثاني: العقيدة الاستيطانية المتطرفة.

الفصل الثالث: الخاتمة والنتائج.

مصطلحات الدراسة:

❖ **المستوطنة:**

هي مستوطنة معترف بها من قبل الاحتلال الإسرائيلي، بحيث تنطبق عليها شروط «التجمع»، ويعرف مكتب الإحصاء المركزي الإسرائيلي المستوطنة بأنها:

مكان مأهول بشكل دائم، ضمن المعايير الآتية:

- غالبا ما يسكنه ٠٢ شخص أو أكثر.
- له إدارة ذاتية.
- ليس مشمولا مع الحدود الرسمية لتجمع آخر.
- تم إقرار تأسيسه رسمياً.

❖ **البؤرة الاستيطانية:**

هي بناء مدني أو شبه عسكري، لم يتم إقرار إنشائه من قبل السلطات الإسرائيلية، وغالبا ما يتم الإقرار فيما بعد، وذلك باختيار توقيت سياسي مناسب. ومن هذا التعريف يتضح أن البؤرة الاستعمارية قد تتحول إلى مستعمرة أو معسكر.

❖ **الموقع الاستيطاني:**

هو موقع يشمل المستعمرات والبؤر الاستعمارية والمستعمرات العسكرية وشبه العسكرية والمستعمرات الزراعية والمناطق الصناعية ومعسكرات الجيش الإسرائيلي.

❖ **مجلس يشع:**

هو مجلس يمثل المستعمرين في الضفة الغربية باستثناء ذلك الجزء من محافظة القدس والذي ضمه الاحتلال الإسرائيلي إليه عنوة بعيد احتلاله للضفة الغربية عام ٧٦٩١. ويتبع مجلس يشع عدة سلطات تسمى مجالس إقليمية.

❖ **المجلس الإقليمي:** هو سلطة إدارية تشمل عدة مستعمرات.

الفصل الأول

الاستيطان في الضفة الغربية نظرة تاريخية

يتمثل الغرض الأساسي للحركة الصهيونية بجمع أكبر عدد ممكن من يهود العالم وتركيزهم في فلسطين من خلال عملية انقلاب ديموغرافي يستبدل بها اليهود بمواطني البلاد العرب. و يعد الاستيطان إستراتيجية أساسية في الفكر الصهيوني ويقول موشيه سنيه رئيس القيادة القطرية لمنظمة الهغاناه في العام ٣٤٩١: «الاستيطان ليس هدفاً في حد ذاته فحسب، بل أيضاً وسيلة الاستيلاء السياسي على فلسطين». وقد شكل الاستيطان وسيلة وغاية المشروع الصهيوني في نفس الوقت.

وعليه فإن بناء شبكة من المستوطنات، أمر له أهميته في الصراع لأنها تتيح للإسرائيليين السيطرة على الأرض وتثبيت النظام السياسي وتثبيت حدوده بالإضافة إلى جمع اليهود. كما أنها تعتبر ورقة لها وزنها في حالة التسوية، بحيث يكون لكل مستوطنة معنى عندما يحين الوقت.[١]

ويمكن تقسيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين إلى أربعة مراحل، امتدت من العهد العثماني، مرورا الى عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، ومراحل ما بعد تأسيس (إسرائيل) في ٨٤٩١/٥/٥١م، وما تزال مستمرة حتى الآن، ومرحلة التسوية السياسية وتوقيع اتفاق أوسلو عام ٣٩٩١م.

• المرحلة الأولى: مرحلة الدولة العثمانية

منذ انعقاد مؤتمر لندن عام ٠٤٨١م، بعد هزيمة محمد علي، واستمرت حتى عام ٢٨٨١م. إلا أن مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود عن الهجرة إلى فلسطين، ومن أبرز نشطاء هذه المرحلة اللورد شافتسبوري، واللورد بالمرستون، ومونتفيوري واستمرت حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام ٠٢٩١م.

• المرحلة الثانية: مرحلة الانتداب البريطاني

في هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين، حيث تم تكثيف عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وتدفق الهجرة اليهودية، حيث شهدت هذه المرحلة الموجات الثالثة والرابعة والخامسة من الهجرات اليهودية.

• المرحلة الثالثة: منذ إعلان قيام إسرائيل وحتى عام ٧٦٩١م

تمكنت إسرائيل خلالها من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، والاستمرار في مصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات لاستقبال المهاجرين الجدد.

• المرحلة الرابعة: مرحلة التسوية السياسية وتوقيع اتفاق أوسلو عام ٣٩٩١م

تسارعت حركة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، واستمرت أعمال توسيع المستوطنات وتمت إقامة جدار الفصل العنصري، الذي سيطرت من خلاله إسرائيل على أكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية.[٢]

لقد وضعت السلطات الإسرائيلية العديد من القوانين التي تشكل إحدى الدعامات التي مهدت للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين ، ومنها قانون «حارس أملاك الغائبين» حيث حاولت من خلال هذا القانون إقناع الرأي العام العالمي أن الهدف هو الحفاظ على أملاك الغائبين، وصدر الأمر العسكري رقم ٨٥ لسنة ٧٦٩١م، الذي ينظم عمل قانون «حارس أملاك الغائبين» والمناط به حق التصرف في أملاك الغائبين، وأن يتخذ الإجراءات الضرورية لذلك، ولحارس أملاك الغائبين الحق بالموافقة أو عدم الموافقة على بيع وشراء وتأجير أي صفقة ينطبق عليها قانون أملاك الغائبين، ثم عملت دولة الاحتلال على مصادرة أراضي الفلسطينيين لأغراض عسكرية وكان الصندوق القومي اليهودي ومؤسسة هيمنوتا التابعة للصندوق يقومان قبل عام ٩٧٩١م بالشراء، ثم أصدرت السلطات العسكرية أمراً عسكرياً بمنع المحاكم من النظر في مسألة بيع الأراضي وتحويل تسجيلها

إلى لجنة خاصـــة، وبعد عام ٩٧٩١م سمحت السلطات الإسرائيلية بالشراء للأفراد، وكانت أغلب الصفقات عبارة عن بيوع مزيفة، كما أعلنت العديد من الأراضي أراضي حكومية لا يجوز التصرف بها إلا من قِبَل الدولة.[٣]

نمو الاستيطان في الضفة الغربية

في نهاية عام ١٢٠٢ قال جاد اسحق المدير العام لمعهد الأبحاث التطبيقية- القدس «أريج»، إن عدد المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية (٩٩١) تضاف لها ٠٢٢ بؤرة استيطانية، يقطنها ٣١٩ ألف مستوطن منهم (٠٠٠٥٣ مستوطن في القدس الشرقية المحتلة). وكشف أن الاحتلال ومنذ احتلال الضفة الغربية أصدر ٣١١ أمرا عسكريا خاصا لإنشاء ٣٢ مستوطنة صناعية على ما مساحته ١٣٨٩١ دونما، إضافة إلى أن الاحتلال كشف عن مخططات لإنشاء ٥٣ مستوطنة صناعية أخرى في الضفة الغربية على ما مساحته ٣٧٠٥٢ دونما من الأراضي الفلسطينية. وبين أن مساحة المستوطنات تبلغ (٢٤٥ كم مربعا)، وطول الطرق الالتفافية (٦٤٩ كم).[٤]

وأوردت مؤسسة بيتسيلم الحقوقية في تقرير لها نشر في تشرين ثاني ١٢٠٢ أن إسرائيل أقامت في أنحاء الضفة الغربيّة أكثر من ٠٨٢ مستوطنة يقيم فيها أكثر من ٠٤٤ ألف مستوطن: تعترف إسرائيل رسميّاً بـ ٨٣١ مستوطنة. ما يقارب ثُلث البؤر الاستيطانيّة أقيم خلال العقد الأخير ويسمّى معظمها «مزارع «.

تسيطر المستوطنات في الضفة الغربية على مئات الآلاف من الدّونمات وهي أراضٍ يُمنع أو يُقيّد دخول الفلسطينيّين إليها. وبعض هذه الأراضي استولت عليها إسرائيل عبر أوامر عسكريّة أو عبر إعلانها «أراضي دولة» أو «مناطق إطلاق نار» أو «محميّات طبيعيّة» أو عبر مصادرتها؛ وبعضها الآخر استولى عليه مستوطنون بالقوّة المجرّدة بواسطة عُنف يوميّ يمارسونه ضدّ السكّان الفلسطينيّين وممتلكاتهم.

و فيما يتعلق بموقف المنظمات الدولية من الاستيطان فقد نص قرار مجلس الأمن ٤٣٣٢ (٦١٠٢) على أنه يجب على جميع الأنشطة الاستيطانية في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية، «أن تتوقف على الفور وبشكل كامل.» كما يدعو القرار الدول إلى التمييز بين أراضي دولة إسرائيل والأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ عام ٧٦٩١.[٥]

إعداد المستوطنين في الضفة الغربية

قال المقرر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية والخبير الحقوقي مايكل لينك إن المستوطنات الإسرائيلية تنتهك الحظر المطلق المفروض على إمكانية أن تنقل سلطة احتلال بعضا من سكانها المدنيين إلى أرض محتلة، مؤكدا أن «المجتمع الدولي اعتبر هذه الممارسة جريمة حرب عندما اعتمد نظام روما الأساسي في عام ٨٩٩١. وأوضح لينك أمام مجلس حقوق الإنسان في جنيف: «بالنسبة لإسرائيل، تخدم المستوطنات غرضين مترابطين: الأول هو ضمان بقاء الأرض المحتلة تحت السيطرة الإسرائيلية إلى الأبد. الهدف الثاني هو ضمان ألا يكون هناك دولة فلسطينية حقيقية أبدا». وقال إن المستوطنات الإسرائيلية هي «محرك الاحتلال الإسرائيلي المستمر منذ ٤٥ عاما، الأطول في العالم الحديث». ويضيف (لينك) يوجد الآن ما يقرب من ٠٠٣ مستوطنة في القدس الشرقية المحتلة والضفة الغربية، تضم أكثر من ٠٨٦ ألف مستوطن إسرائيلي.[١]

ويشير تقرير لمنظمة بتسيلم في العام ١٢٠٢ إلى تزايُد سكّان المستوطنات بنسبة ٢٤٪ مقارنة مع بداية العقد ونسبة ٢٢٢٪ مقارنة مع العام ٠٠٠٢. وانه في سّنة ٠٢٠٢ وحدها بلغت نسبة تزايُد المستوطنين السنويّة ٢,٣٪ وكانت نسبة تزايد المواطنين والمقيمين في إسرائيل في السّنة ٠٢٠٢ ٩,١٪ فقط، أي أنّ الزيادة السكّانيّة في المستوطنات كانت أعلى بـ ٨٦٪. و يقول التقرير إلى أن التزايُد السكّانيّ كان سريعاً على الأخصّ في كتلتي المستوطنات الأكبرين - مدينتا المستوطنين الأرثوذكس (الحريديم) «موديعين عيليت» و-»بيتار عيليت»: في نهاية العام ٠٢٠٢ بلغ عدد سكّان المدينتين ٣٥٠,٠٤١ نسمة أي ما يُقارب ثُلث عدد المستوطنين في الضفة الغربيّة. ويشكل ذلك زيادة بنسبة ٢٦٪ مقارنة مع العام ٠١٠٢ حيث بلغ عدد السكّان آنذاك ٠٠٢,٨٢

نسمة أمّا مقارنة مع العام ٢٠٠٠ فتبلغ الزيادة ٥٣٤٪ حيث كان عدد سكّان المدينتين آنذاك ٠٠٢,٢٣ نسمة.[٢]

في نهاية عام ١٢٠٢ بلغ عدد سكان "إسرائيل" حوالي ٩٤٤,٩ مليون نسمة، منهم ٢,٥٪ يعيشون في المستوطنات في مختلف مناطق الضفة ووادي الأردن. وتعتبر مستوطنات (موديعين، عيليت، بيتار عيليت، معاليه أدوميم، أريئيل)، من كبرى المستوطنات في الضفة الغربية ويعيش فيها أكثر من ١٥٧,١١٢ ألف مستوطن، ويشكلون ٣٤٪ من سكان المستوطنات.[٣]

ووفقا لتقرير نشرته صحيفة (إسرائيل هيوم) فقد ارتفع عدد المستوطنين في الضفة الغربية منذ عام ١١٠٢ بـ٥٨٩,٨٤١ مستوطنا، بزيادة ٣٤٪.[٤]

ومن جانب آخر فقد أظهرت معطيات « مجلس يشع الاستيطاني « أن عدد المستوطنين في مناطق الضفة الغربية بما يشمل وادي الأردن سوف يرتفع لوصل إلى نصف مليون مستوطن بحلول نهاية عام ٢٢٠٢. وبحسب تلك المعطيات فإن هناك قفزة في النمو السكاني في صفوف المستوطنين،حيث سكن ٠٩٨,٥١ مستوطنًا جديدًا في تلك المستوطنات خلال عام ١٢٠٢، مقارنةً مع ٣٢١,٢١ في عام ٠٢٠٢. وكان إجمالي عدد المستوطنين في الضفة الغربية ووادي الأردن قد بلغ حتى يناير/ كانون الثاني ١٢٠٢ ، ٣٢٩١٩٤ نسمة ، في ٠٥١ مستوطنة وعدد كبير من البؤرة الاستيطانية. وبلغ معدل النمو السنوي السكاني في ١٢٠٢، ما نسبته ٣,٣٪، في حين كان في عام ٠٢٠٢ نحو ٦,٢٪.

تسود في صفوف المستوطنين ثقافة إنجابية مختلفة عن غيرهم حيث أن المستوطِنة الإسرائيلية تلد في المتوسط أكثر من سبعة أطفال في الوقت الراهن. فيما تلد النساء الإسرائيليات بالمعدل ١,٣ أطفال، في حين أن دول الإتحاد الأوروبي، لا يتجاوز معدل الإنجاب ٨٥,١. فعلى سبيل المثال مستوطنة (موديعين إليت) تتمتع بمعدل ولادات أعلى من كل بلدات ومدن إسرائيل وحتى الفلسطينية حيث تبلغ النسبة (٩٥,٧ طفلا لكل امرأة). في حين أن المعدل بالنسبة للفلسطينيين في الضفة الغربية، انخفض إلى حد كبير، فلا يتجاوز اليوم ٢,٣ ولادة لكل امرأة. وهذا التأثير الديمغرافي لصالح المستوطنين سيكون ملموسا بشكل أكبر في الأجيال المقبلة.[٥]

أنواع المستوطنات في الضفة الغربية

هناك مسميين الآن لحركة الاستيطان التوسعية في الضفة الغربية المحتلة يتم التعامل معهما إعلاميا بشكل منفصل ولكن في واقع الأمر هما ضمن نفس المشروع والخطة الاستيطانية هما :

١. المستوطنات: هي كل تجمع بنائي يقام على الأراضي المسلوبة من الفلسطينيين بالقوة.
٢. البؤر الاستيطانية: أي بناء استيطاني جديد محدود المساحة وينفصل عن مسطح بناء المستوطنة، تم بناءه بهدف توسع مستقبلي لمستوطنة قائمة.

بعد احتلال الضفة الغربية تنافست التيارات المختلفة داخل الحركة الصهيونية فيما بينها من أجل تحقيق رؤيتها الاستعمارية ، فالعلمانيون تطلعوا إلى إقامة دولة إسرائيل كدولة ذات أغلبية يهودية، وأنصار التيارات الدينية تطلعوا الى احتلال الضفة الغربية كفرصة لجمع اليهود وإعادة بناء الهيكل الثالث مكان الحرم القدسي الشريف. رواد جودة الحياة اليهود الباحثين عن مناطق هادئة وجميلة بدلا من مراكز المدن فوجدوا في الاستيطان في الضفة الغربية ضالتهم ونتيجة ذلك انتشرت أنواع مختلفة من المستوطنات هي:

- **مستوطنات المتدينين المتشددين**: وهي مستوطنات منتشرة في أنحاء الضفة الغربية مثل (بيتار عيليت ومورديعين عيليت وعمنوئيل وتل تسيون وحي كوخاف يعقوب) . ويشكل أنصار التيار الديني المتشدد ٢٣٪ من مجموع سكان المستوطنات.
- **المستوطنات الأيديولوجية أو الجماعية**: التي ينتمي إليها أنصار التيار الديني الوطني، وتشترط على كل مستوطن جديد أن يكون ملائما لنسيج الحياة في تلك المستوطنة من ناحية أيديولوجية، ويقدر عدد المستوطنات من هذا النوع ٥٤ مستوطنة مثل (عوفرا وبيت إيل وايتمار وكريات أربع وغوش عتصيون) وغيرها. وتتمتع هذه المستوطنات بمستوى حياة مرتفع جدا مقارنة مع بقية اليهود في دولة إسرائيل. وسبق أن رفضت بعض هذه المستوطنات استيعاب بعض يهود الفلاشا والاتحاد السوفييتي لأسباب أيديولوجية. وينتشر معظم هذا النوع من المستوطنات في قلب الضفة الغربية، ويشكل سكانها ٤٣٪ من مجموع سكان المستوطنات، وينتمي معظمهم لأحزاب اليمين المتطرف، ومن هذه الفئة خرجت التنظيمات السرية الإرهابية والعصابات التي تستهدف الفلسطينيين
- **المستوطنات المدنية**: أُنشئت هذه المستوطنات بأمر من موشيه ديان، الذي شغل منصب وزير الجيش حتى عام ٤٧٩١، فيما سمي بمشروع "الاندماج الاقتصادي" بهدف تقسيم الضفة الغربية ودمجها كليا بالاقتصاد الإسرائيلي، مفترضا أن الضفة الغربية ستظل في نهاية المطاف جزءا لا يتجزأ من دولة إسرائيل، دون منح الفلسطينيين الجنسية الإسرائيلية. ومن هذه المستوطنات (معاليه أدوميم وبعض مستوطنات تجمع موديعين)، وينتمي معظم سكان هذه المستوطنات لحزب الليكود، وأقلية منهم لحزب العمل. وتشكل نسبتهم من المستوطنين ٤٣٪ .[١]

والأمر المهم في هذه الفئة أن ثلث أعضاء حزب الليكود مشكلون منهم، ما يجعلهم أقوى تيار في الحزب ويستطيعون رسم سياسات وبرامج الحزب، ولذلك لا غرابة أن المسيرة السلمية عالقة في دواليب المستوطنين.[٢]

المجالس الإقليمية للمستوطنات

تمثل المجالس الإقليمية سلطة إدارية تشمل عدة مستعمرات، وتتبع هذه المجالس لـ «يشع» وهو مجلس أعلى يمثل المستعمرين في الضفة الغربية.

هناك ٦ مجالس إقليمية في الضفة الغربية:

توزعت المستعمرات وسكانها في نهاية العام ٩١٠٢ على المجالس الإقليمية وفقاً للآتي:

١. مجلس إقليمي شمرون: بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٥٣ مستعمرة يسكنها ٩٢١,٨٠١مستعمراً.
٢. مجلس إقليمي آرفوت هياردين (وادي الأردن): بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٩١ مستعمرة يسكنها ٣٧١,٦مستعمراً.
٣. مجلس إقليمي ماتي بنيامين: بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٢٣ مستعمرة يسكنها ٦٠٣,٠١٢مستعمرين.
٤. مجلس إقليمي ميجليوت: بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٥ مستعمرات يسكنها ٠٩٥,١ مستعمراً.
٥. مجلس إقليمي غوش عتصيون: بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٦١ مستعمرة يسكنها ٤٧٤,٤٩ مستعمراً.
٦. مجلس إقليمي هار هيفرون (جبل الخليل): بلغ عدد المستعمرات التي تتبع هذا المجلس ٥١ مستعمرة يسكنها ١٦٥,٦١مستعمراًوتقع جميع هذه المستعمرات في محافظة الخليل.[١]

السلوك الإرهابي للمستوطنين

تعيدنا جرائم عصابات المستوطنين الإرهابية، في هذه المرحلة بالدور الذي كانت تقوم به العصابات الصهيونية «البالماخ» و«الإرغون» و«الهاغاناه» و«شتيرن» وغيرها- المتمثل في قتل وتهجير الشعب الفلسطيني إبان النكبة (١٩٤٨)، وتعكس الفكر الإرهابي المتأصل في مشروع الحركة الصهيونية للاستيطان في فلسطين.

نشر موقع «واللاه»، تقريراً أعده الناشط الحقوقي الإسرائيلي، (سالي ريشف) كشف فيه أن المستوطنين كثفوا وتيرة العمليات الإرهابية ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية، مشيراً إلى أنهم نفذوا منذ بداية عام٢٠٢٢ حوالي ٤٠٠ اعتداء ضد الفلسطينيين، في حين أن إجمالي الاعتداءات التي نفذوها في العام ٢٠٢١ بلغت ٥٦٠ اعتداء. وحذر التقرير من ظاهرة مقلقة تتمثل في أن إرهاب المستوطنين لم يعد مقتصراً على استهداف الفلسطينيين في الأراضي الزراعية أو على أطراف القرى الفلسطينية، بل بات يطاول مراكز تلك القرى.

وحسب تقرير ريشف، فإن قادة جيش الاحتلال يشجعون على ممارسة العنف ضد الفلسطينيين، مشيراً إلى أن جنود الاحتلال يطلقون النار على الفلسطينيين في حال حاولوا الدفاع عن أنفسهم في مواجهة اعتداءات المستوطنين. ولفت التقرير إلى أن قائد جيش الاحتلال في شمال الضفة الغربية العقيد (روي زويغ) صرّح بأنّ «الجيش والاستيطان يمثلان جهة واحدة». وأشار إلى أن بعض جنود الاحتلال يساعد المستوطنين على تنفيذ الاعتداءات، مشيراً إلى أنّ جندياً سلم سلاحه لمستوطن لكي يطلق النار على فلسطينيين في تخوم قرية التواني جنوبي الخليل.[١]

بحسب تقرير مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا)، الذي غطى الأشهر العشرة الأولى من العام ٢٠٢١، أنها سجلت ٤١٠ اعتداءات من قبل المستوطنين ضد الفلسطينيين (٢٠٣ ضد الممتلكات و٨٠١ ضد الأفراد)، بازدياد عن العام ٢٠٢٠ حيث سجل فيه ٥٨٣ اعتداء، وعن العام ٢٠١٩ الذي سُجل فيه ٥٣٣ اعتداء.
من جهتها سجلت «يش دين» فقد سجلت خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة ٥٤٠ اعتداء من المستوطنين على أهالي الضفة الغربية.[٢]
أما جيش الاحتلال الذي لا يوثق كافة الانتهاكات، فقد سجل في العام ٢٠٢٠ حوالي ٧٠٥ اعتداءات من المستوطنين وقعت على الفلسطينيين، فيما سجل خلال الستة أشهر الأولى من العام ٢٠٢١ . ٦١٤ اعتداء بما معدله ٥,٢ حادثة في كل يوم.[٣]

يشير الباحث الى ان تزايد اعتداءات المستوطنين العنيفة على الفلسطينيين وانتقال هذه الاعتداءات من الحقول الزراعية التي تقع على أطراف القرى الى تنفيذ هجمات داخل القرى الفلسطينية و تعاون الجيش الاسرائيلي في تنفيذ تلك الاعتداءات وتوفير الحماية للمستوطنين اثناء تنفيذ تلك هجماتهم على الفلسطينيين. من شانه ان يرفع مستوى الجرأة لدى المستوطنين ويشجعهم على تنفيذ اعتداءات أكثر عنفا مستقبلا.

وبحسب أرقام منظمتي «السلام الآن» و«يش دين» فإن حوالي ٣٦٪ من اعتداءات المستوطنين حصلت حول البؤر الاستيطانية، وتساهم اعتداءات المستوطنين في المزيد من الاستيلاء على الأراضي وإبعاد ملاكها من الفلسطينيين، وهنا يتكامل عنف المستوطنين مع عنف الجيش الذي يساهم في منع الفلسطينيين من الوصول إلى اراضيهم ومصادر المياه. وقال ليور أميحاي، مدير مؤسسة «ييش دين»: «شاهدنا، مرة بعد الأخرى، كيف وقف الجيش إلى جانب المستوطنين، ووفر لهم الحماية، وهذا يعطي المستوطنين الثقة لمواصلة الهجمات، ويؤكد اعتقاد الفلسطينيين بأنهم لا يستطيعون طلب المساعدة من أحد».[٤]

وقال (ليئور أميهاي) ، المدير التنفيذي لمنظمة (ييش دين) : «لا تزال حياة الفلسطينيين وممتلكاتهم تُعامل على أنها منطقة إفلات من العقاب حيث لا يزال المستوطنون لا يعانون من أي عواقب لأعمالهم العنيفة». وأضاف أن المستوطنين يريدون زرع الإرهاب وطرد الفلسطينيين من أرضهم.[١]

وقد نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» تقريرا أعده مراسلها باتريك كينغزلي حول مدى خطورة عنف وإرهاب المستوطنين، جاء فيه إن العنف المتزايد في الضفة الغربية وصل إلى مستويات عالية، وبخاصة هجمات المستوطنين. وعلى خلاف الفلسطينيين فإن المستوطنين لا يعاقبون، فالمستوطنين يستفيدون من نظام قانوني يعمل على مستويين، حيث يرتكب فيه المستوطن العنف دون أن يعاقب، أما الفلسطينيون المشتبه بهم، فهم عرضة للاعتقال والمحاكمة أمام المحاكم العسكرية. ويورد التقرير انه في ١٢٠٢، وصلت الهجمات التي قام بها المستوطنون على الفلسطينيين إلى أعلى مستوى، منذ خمس سنوات على الأقل. وتسبب المستوطنون بجرح ٠٧١ فلسطينيا على الأقل، وقتل خمسة، بحسب تقارير الأمم المتحدة.[٢]

يشير الباحث انه ظاهريّاً يبدو وكأنّ هناك مساران منفصلان في سياسة الاستيطان في الضفة الغربية: الاول: مسار تقوده دّولة الاحتلال التي تستولي على أراضي الفلسطينيّين بطرق علنيّة ورسميّة يصادق عليه المستشارين القضائيّين والمحاكم. اما المسار الثاني: يقوده المستوطنون الذين يستولون على أراضي الفلسطينيين لأجل تحقيق أهدافهم عبر استخدام العُنف والارهاب اليومي المنظم.

و في واقع الأمر فان مسار الاستيطان هو مسار واحد: حيث يمارس المستوطنون عُنفهم بدعم تامّ من دّولة الاحتلال، وذلك كجزء من إستراتيجية نظام الأبارتهايد الإسرائيليّ السّاعي إلى قضم المزيد من الأراضي الفلسطينيّة. وبالتالي فان عُنف المستوطنين هو جزءٌ من سياسة حكوميّة: تسمح به وتُتيح تنفيذه وتشارك فيه.

وفي تأكيد كان الأكثر وضوحا على أن المسار بين المستوطنين وحكومة الاحتلال هو مسار واحد، ما حصل في ما يسمى (مسيرة الأعلام مايو ٢٢٠٢). حيث سمحت حكومة الاحتلال الإسرائيلي بزعامة (نفتالي بينيت) بتاريخ ٩٢-٥-٢٢٠٢ للمستوطنين المتطرفين بإقامة ما تسمى "مسيرة الإعلام" ومرورها عبر منطقة باب العامود في مدينة القدس المحتلة. في الوقت الذي كانت الجماعات الاستيطانية المتطرفة قد وزعت منشورات ودعوات على وسائل التواصل الاجتماعي عليها صورة جرافة تهدم قبة الصخرة المشرفة بتاريخ ٨٢-٥-٢٢٠٢ واعتباره «يوم البدء بهدم قبة الصخرة»

الفصل الثاني

الجماعات اليهودية المتطرفة

يتصدر المشهد الاستيطاني منظومة من الجماعات اليهودية التي تتخذ من الفكر المتطرف مكونا اساسيا من مكونات ابجدياتها وفهمها السياسي، وتتعدد الجماعات اليهودية المتطرفة بتعدد أعضائها، وتنوع أهدافها ونذكر هنا ٤٢ جماعة من تلك استيطانية:

- **جماعة إحياء الهيكل**

هي جماعة يهودية من أكثر الجماعات تطرفًا، وتسعى لضم الجماعات اليهودية التي تدعو إلى هدم المسجد الأقصى في جماعة واحدة، وتمثل الإطار العام لمعظم المنظمات المعنية بما يسمى "جبل الهيكل"، ويتزعمها الحاخام **(هليل وايز)**

- **جماعة حراس الهيكل:**

وتضم هذه الجماعة عدة منظمات داخلها وهي:

✓ **معهد الهيكل:** تأسس عام ٣٨٩١ على يد كل من الحاخام "يسرائيل أرييل"، و"موشي نيمان"، و"مايكل بن حورين" في الحي اليهودي بالقدس، ويؤمن قادتها بأن بناء "الهيكل" لن يتم عن طريق المعجزات بل من خلال

مبادرات عملية فعالة.وتتلقى هذه المنظمة دعمًا من الحكومة الإسرائيلية وبعض المنظمات الصهيونية القومية، إضافة إلى بعض الجماعات المسيحية الأصولية، وبالتالي اشتهر أرئيل بفتاويه التي تبرر **تدمير ممتلكات العرب وإبادتهم وتصفية وجودهم** في فلسطين المحتلة في الثمانينيات.

✓ **إلى جبل حامور:** جماعة أكاديمية تهتم بالعمل النظري، وأعضاؤها الأساسيين من مستوطنة يتسهار، مثل الحاخام يتسحاق شابيرا، ودودي دودا كيفيتش، وشاي داوييم، ويوسي بلاي، وتعمل على تنظيم حملات متكررة لتوجه اليهود إلى الحرم القدسي، كما تعقد دورات لطلاب المدارس الدينية لهذا الغرض.

✓ **الحركة من أجل إنشاء الهيكل:** يرأسها الحاخام (يوسف البويم)، وتنشر وسط أتباعها أن الهدف الحقيقي من وراء إنشائها هو تهويد الحرم القدسي الشريف وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه. وتصدر هذه الجماعة منشورات تحريضية في أوقات الأعياد اليهودية ولا سيما المرتبطة منها بـ"الهيكل"، مثل ذكرى "خراب الهيكل" المزعوم يوم ٩ أغسطس، كما تنظم دوريًّا مسيرات وزيارات لأتباعها إلى الحرم القدسي.

✓ **جماعة أمناء جبل الهيكل:** هي واحدة من المنظمات المتطرفة التي دأبت على ترويع الفلسطينيين وممارسة العديد من أشكال الإرهاب والاعتداء بهدف إكراههم على الهجرة وترك أراضيهم بحجة أنها جزء من (أرض إسرائيل الكاملة) التوراتية. وشاركت مع غيرها من الحركات والمنظمات المتطرفة الصهيونية، في تنظيم العديد من المظاهرات الصاخبة وعمليات الهجوم على الفلسطينيين، وأملاكهم في الخليل وباقي مدن الضفة الغربية والقدس. ويرأس هذه الجماعة (جيرشون سالمون) الذي كان عضوًا نشطًا في رابطة (الدفاع اليهودية الأمريكية)، ويعمل مديرًا تنفيذيًّا لمدرسة (جبل المعبد)، **وقد اكتشف لديه مخزون هائل من الأسلحة والمتفجرات والخرائط التي عكست تدبيرًا إجراميًّا لنسف المنطقة**.

- **جماعة (شوفوبانيم)**

جماعة استيطانية تدعوا إلى الاستيلاء على أراضي الفلسطينيين، وكان لهذه الجماعة دور بارز في إلحاق الأذى بأملاك الفلسطينيين، ومن أبرز أنشطة أعضاء الجماعة الاعتداء المتكرر على الفلسطينيين المقيمين جوار الحرم القدسي الشريف، والاعتداء عليهم أثناء أدائهم لفريضة الصلاة.

- **جماعة مواطنون من أجل (يهودا والسامرة) وغزة (ييشع)**

أسسها عام٥٨٩١ "الياكيم يعتسيني" وهو محامٍ من غلاة القوميين الطليعيين من مستوطني (كريات أربع) ويعد من أشد المستوطنين المتطرفين، ويكمن نشاطها في تعبئة المعارضة السياسية لاستباق أية تسوية سلمية مع الفلسطينيين والعرب.

- **جماعة التنظيم اليهودي المقاتل (آيال)**

شكلها عدد من طلبة جامعة بار آيلان عام ٢٩٩١، ويمكن إدراك حدود هذه الجماعة ومنظور تطوراتها من تقويمها لأداء جماعتين مصنفتين باعتبارهما من أشد الجماعات الإرهابية اليهودية تطرفًا وأكثرها عنفًا وعدوانية وهما: جماعة (كاخ)، وحركة (كاهانا حي) وتؤمن هذه الجماعة كغيرها من جماعات الإرهاب الأصولي اليهودي بقدسية (أرض إسرائيل الكاملة)، وتكفر من يجرؤ على التنازل عما تعتبره حقًّا توارتيًّا لا رجعة فيه، وتعتبره مرتدًا وجب قتله.

- **إسرائيل الفتاة:** جماعة يتزعمها الحاخام "لخمان كاهانا"، والتي تم تغيير اسمها لتعرف باسم جماعة "كهانا حي" نسبة لزعيمها، ويتركز نفوذها في حي "طريق باب الواد"، عند مكان يعرف بـ (كوليل جورجيا) في البلدة القديمة في القدس المحتلة. وأثارت هذه الجماعة صدامًا دمويًّا مع المقدسيين في عام ٣٨٩١، عندما نظمت مسيرة لإدخال التوراة إلى (كنيس كوليل جورجيا) في احتفال ديني يمرون خلاله بجوار حائط البراق.
- **حركة كاخ:** من أشهر الجماعات الداعية إلى هدم المسجد الأقصى، وقد تأسست عام ٢٧٩١ على يد الحاخام اليهودي الأمريكي "مائير كاهانا"، ومن أتباعها الجندي الإسرائيلي-الأمريكي ألان جودمان الذي قام بهجوم على قبة الصخرة يوم

١١ أبريل ٢٨٩١.

- **جماعة إعادة التاج:** ويتزعمها الحاخام "يسرائيل فويختونفر" الذي يحرك مجموعة عنيفة من الشباب المتعصبين، ينشطون في محاولات الاستيلاء على منازل الفلسطينيين في القدس المحتلة.

- **جماعة»الاستيلاء على الأقصى»:** يدعوا أعضاؤها إلى هدم المسجد الأقصى، وطرد جميع المسلمين مما يسمونه «أرض إسرائيل»، ومن أهداف هذه الحركة أيضًا تهويد مدينة الخليل، والاستيلاء على المسجد الإبراهيمي الذي أطلقوا عليه اسم «كنيس ماكفير»، ومن أبرز رموزها: يسرائيل أرييل، والحاخام كورن الذي يعد المرشد الروحي لعدد من اليهود الذين قاموا بالاعتداء على المسجد الأقصى عام ٦٨٩١.

- **جماعة «جوش أمونيم»:** تعني «كتلة الإيمان»، وتطلق على نفسها أيضًا «حركة التجديد الصهيوني». أسسها الحاخام المتطرف موشي ليفنجر في أيار عام ٤٧٩١ كحركة تنادي بفرض السيادة الإسرائيلية على جميع الأراضي الفلسطينية، وأهمها القدس؛ ويعد **هدم المسجد الأقصى** أحد أهدافها الرئيسية، تستمد تعاليمها من المفكر الصهيوني (راف كوك)، وهو لاهوتي اشكنازي الأصل، أسس حركة «مركا زهراف» عام ٤٢٩١، ومعظم أعضائها من **شبيبة المدارس الدينية**. وتضم عدداً من أشهر حاخامات إسرائيل، وتتميز هذه الجماعة عن سواها من المنظمات المتطرفة في إسرائيل بأنها تمزج الإيمان بالأعمال ذات الطابع السياسي. وترفع «غوش إيمونيم» شعار «يهودية الدولة والاستيطان في كل أرجاء إسرائيل»، وتدعو إلى طرد العرب من فلسطين بالقوة. وأبرز قياداتها: موشيه ليفنجر، وإليعازر فالدمان، ويهودا حزاني، وحنان بورات، وحاييم دور كمان، ويوئيل بن نون.
- **حركة عطيرت كوهانيم «تاج الكهنة»:** تأسست عام «٨٧٩١»؛ إثر سلسلة من المناقشات والدراسات حول ما يسمى «هيكل سليمان»، نظمت من قبل أحد المتعصبين اليهود من مستوطني الجولان، ويدعى «ماتتياهو هاكوهين»، بالإضافة إلى حاخام مستوطنة بيت أيل «الحاخام شلومو أفنير». وأدى تجاوب المستوطنين في هذه النقاشات إلى إنشاء حركة «عطيرت كوهانيم»، وأعضاؤها من المعسكر القومي الديني، ويعتبرون نخبة مجموعات غوش إيمونيم. تستمد هذه الحركة مبادئها وتعاليمها من الدراسات التلمودية، وتعاليم الحاخام «حافتس شائيم»، وتقوم إستراتيجية الحركة على بناء ثقافة أيديولوجية قائمة على التضييق على السكان المقدسيين المحيطين بالحرم القدسي؛ من أجل ترك منازلهم أو بيعها للسيطرة على محيط الحرم القدسي وتهويده، من خلال برنامج تربوي من شانه أن يجعل إقامة الهيكل الثالث في مكان المسجد الأقصى إقامة شرعية.
- **حركة نساء من أجل الهيكل:** منظمة نسائية تأسست عام ١٠٠٢ برئاسة «ميخائيل أفيعيزر»، وعملت عند انطلاقها على جمع الحلي الذهبية والمجوهرات استعدادا لبناء «الهيكل المزعوم»؛ وتحفظ هذه المجوهرات في «معهد الهيكل». ومنذ العام ٠١٠٢ نشطت المنظمة في اقتحامات منظمة للمسجد الأقصى وتعمل الحركة النسائية على رفع مستوى الاهتمام النسوي في «جبل الهيكل» وتشجيع الاقتحامات، من خلال برنامج اقتحام شهري محدد؛ كما تنظم المحاضرات والحلقات النسوية البيتية وتنشر الفتاوى النسائية المتعلقة باقتحام الأقصى.ومن بين المستوطنات البارزات في اقتحام الأقصى في السنوات الأخيرة «رفقا شمعون»، التي شاركت في أكثر من اجتماع في الكنيست الإسرائيلي، أو المحاضرات والمؤتمرات الدراسية وما شابه.
- **حركة «هذه الأرض لنا»:** إحدى الحركات اليمينية، أعلن عن تأسيسها في ديسمبر ٣٩٩١م. وقد اعترف موشي فيجلن بانتماء حركته إلى معسكر اليمين المتطرف نافياً أن يكون أعضاؤها من أتباع حركة الحاخام مائير كاهانا، قائلاً: « لسنا سياسيين في الحركة، ولا ننتمي إلى الحركات السياسية، ولا علاقة لنا بكاهانا أو غيره، ولكن إن شئتم: نحن كل هؤلاء في ذات الوقت». وقد عمد أعضاء الحركة إلى السيطرة على مواقع خالية لبناء مستوطنات جديدة فيها، وهو ما دعمه الحاخام بني ألون (أحد منظري الحركة)، والذي يدير حلقة دينية في مستوطنة «بيت إيل». ويعتبر الحاخامات الثلاثة (فيجلين، وألون، وهمويل ساكت) الأعضاء القياديين للحركة.
- **فتيان التلال «شباب التلال»:** مجموعة استيطانية إسرائيلية، يعيش معظم اعضائها في بؤر استيطانية في الضفة الغربية المحتلة في مبانٍ منفردة ضمن مناطق مفتوحة، هؤلاء غالبًا ما يكونوا من الشبّان الذين لم ينجحوا في أيّ إطار تربوي، وطُردوا من كلّ مكان، أحيانًا حتّى من بيوتهم. وهم يؤمنون بـ»أرض إسرائيل الكبرى» ويرفضون أي إخلاء

للمستوطنات في الضفة الغربية، وينفذون هجمات ضد فلسطينيين ومنهم انطلقت نواة جماعة «تدفيع الثمن».

- **جماعة «جباية الثمن» أو «تدفيع الثمن» (تاغ محير):** جماعة سرّية شبابية يمينية متطرفة، ظهرت في يوليو ٢٠٠٨ على يد غرشون ميسيكا (رئيس المجلس الإقليمي لمستوطنات شمال الضفة الغربية)، تضم مجموعات من المستوطنين اليهود «المتشددين» غالبيتهم من صغار السن من تلامذة الحاخامين يتسحاق غينزبورغ، ودافيد دودكيفيتش، ويتسحاق شابيرا، الذين يقفون على رأس المدرسة الدينية «يشيفات» في مستعمرة «يتسهار» جنوب نابلس، والتي تعتبر أحد أبرز معاقل المتطرفين اليهود. يعتنق ناشطوا تنظيم «جباية الثمن» وأنصاره فكر عنصريّ قائم على الكراهية الشّديدة للفلسطينيّين، ويدعو إلى قتلهم أو طردهم من المناطق الفلسطينية المحتلّة من ناحية، وإلى تعزيز الاستيطان في الضفّة المحتلّة والإسراع في تهويدها وضمّها إلى إسرائيل من ناحيةٍ أخرى. وينفذون اعتداءات على ممتلكات الفلسطينيين وعرب ٨٤، وتتعمد ترك توقيع وشعارات عنصرية في الأماكن التي تتبنى فيها عملياتها. وتحظى هذه المجموعات بدعم واسع من المستوطنين اليهود، بالإضافة إلى تأييد كبير من بعض الأحزاب الإسرائيلية والحاخامات.
- **«لاهافا» أي «الشعلة»:** اسمها اختصار لعبارة «**منع الاندماج في الأراضي المقدسة**»، والمقصود هنا الاندماج العرقيّ. يتزعم المنظمة المتطرّف بنيتسي غوفشتاين، الذي كان في السابق عضواً في منظمة «كاخ» المتطرّفة، التي أسّسها الحاخام الصهيوني مئير كاهانا.وبرز نشاط منظمة «لاهافا» التي تتبنى خطاب العنصرية والكراهية، شعارا وعملا، ضد العرب والفلسطينيين وتنفيذ الاعتداءات الجسدية والتحريض الدموي عليهم . كما أنها المحرك الأساس لدعوة المستوطنين ونشطاء اليمين الإسرائيلي المتطرف لاقتحام جماعي للأقصى على تنظيم مسيرات استفزازية في البلدات الفلسطينية.
- **منظمة «إم ترتسو» الشبابية المتطرفة: تأسست** عام ٢٠٠٦ في الجامعات العبرية. مؤسسها وزعيمها (رونين شوفال)، وتنشط بين الأوساط الشبابية، اتسمت هذه المنظمة بالتطرف الشديد والعنصرية ضد الفلسطينيين وحتى ضد بعض اليهود اليساريين، فكثيرا ما تدعو هذه المنظمة إلى قتل الطلاب العرب وطردهم من الجامعات العبرية، وطرد المدرسين العرب وحتى اليهود اليساريين، هذا التشدد كله بدأ ينعكس بشكل كبير على المسجد الأقصى بشكل خاص، وذلك بعد ظهور وانتشار مجموعة «**طلاب لأجل الهيكل**» والتي هي جزء من المنظمة. وقد بات ظهور مجموعة طلاب لأجل الهيكل في الأقصى هو الأبرز، والأكثر كثافة بين الجماعات اليهودية المتطرفة، حتى أصبحت هذه المجموعة تتواجد في الأقصى بشكل شبه يومي، وبأساليب وبرامج تهويدية متنوعة، ومنها برنامج تحت عنوان «**سننهي الفصل الدراسي في جبل الهيكل**».
- **تنظيم تمرد:** تنظيم يهودي إرهابي انبثق من حركة «شبيبة التلال» اليمينية بنسخة أكثر تنظيمًا وتشددًا. يضم شبانًا صغارًا في سن ٦١ إلى ٥٢ عامًا، يتم اختيارهم بعناية فائقة.يعمل تنظيم تمرد في مناطق الضفة الغربية، يتجمع أفراده في البؤر الاستيطانية، ويعقدون اجتماعاتهم بسرية تامة. يتزعم هذا التنظيم (**مئير إتينغر**)، حفيد الحاخام المتطرف مئير كهانا. ومن ضمن جرائم هذا التنظيم: إحراق عائلة دوابشة في قرية دوما، وإحراق كنيسة الخبز والسمك على ضفاف بحيرة طبرية.
- «**عوستما يهوديت – قوة يهودية**»:حزب سياسي يميني متطرف يتزعمه «ميخال بن آري» ويقوده كبار قادة المستوطنين بالضفة بينهم (باروخ مرزيل) و(إيتمار بن جفير).

المدارس الدينية في المستوطنات ودورها في صناعة التطرف

المتتبع للنشاط المتطرف للمستوطنين يجد أن معظم قادة الجماعات الدينية الصهيونية تخرجت من مدرسة الحاخام «آبراهام بن سحاق كوك» المعروفة بمدرسة «**مركاز هراف**»، التي أسست في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وهي أول مدرسة صهيونية كانت قد مهدت لقيام الدولة الصهيونية على الأراضي العربية.

الحاخام (كوك) ولد في ليتوانيا وارتحل إلى فلسطين حيث عين حاخاما أكبر في عهد الانتداب البريطاني، وتوفي عام ١٩٣٥، ويعتبر الأب الروحي للحركة الصهيونية الدينية المعاصرة. وقد أسس (كوك) مركاز هراف (Merkaz Harav) ويسمى أيضا (يشيفات مركاز هراف) (Yeshivat Mercaz Harav) وهو واحد من أكبر مراكز التوراة في إسرائيل. ومقرها في القدس الغربية يدرس بها الطلبة اليهود الأورثودوكس المؤمنون بالصهيونية كأيديولوجية دينية. ودرس في (مركاز هراف) ابنه الحاخام (**تسفي يهودا كوك**). ثم تولى إدراتها بعد وفاة أبيه عام ١٩٣٥، حيث لعب دورا بارزا في تكوين حركة (**الاستيطان الديني**) في الضفة الغربية

بعد العام ٧٦٩١. ثم أدارها بعده لمدة قصيرة الحاخام (يعقوب موشيه، ثم الحاخام أهارون برونستاين، تلاه الحاخام أفراييم شابيرا إلى وفاته عام ٧٠٠٢) . ومن هذه المؤسسة تفرعت أغلب المدارس الدينية الصهيونية إذ إن مؤسسيها تعلموا في (مركاز هراف). يبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس الحاخامية فيها أكثر من عشرين من كبار الحاخامات، وجميعهم طلاب سابقون في (اليشيفا). وتقول المصادر الإسرائيلية إن جميع قادة حركة (غوش ايمونيم) الاستيطانية الصهيونية من خريجي هذه المدرسة التي تعتبر القلب المحرك لحركة المستوطنين.

وقد خرجت هذه المدرسة أبرز رموز التطرف الديني والاستيطاني الذين يؤمنون بفكرة أرض إسرائيل الكاملة ووجوب تحويل إسرائيل إلى دولة دينية، ونجح خريجو هذه المدرسة في إقامة الكثير من المدارس الأشد تطرفا في عنصريتها في المستوطنات كالحاخام (حاييم دروكمان ودوف ليئور وزلمان ميلاميد). وتخرج منها كبار قادة المستوطنين في المستوطنات. حيث تخرج منها عضوا الكنيست السابقان العنصريان (حنان بورات، وحاييم دروكمان)، والأخير يترأس المدرسة الدينية «أور عتسيون» قرب الخليل. كما تخرج منها (إلياكيم ليفانون)، الحاخام الأكبر لمستوطنة «ألون مويه» قرب نابلس. و الحاخام (دوف ليئور)، من مستوطنة «كريات أربع» في الخليل.

تعزز المؤسسة عند خريجيها الإيمان بفكرة أرض إسرائيل الممتدة من الفرات إلى النيل، وضرورة جعل دولتهم دينية. ويدرس في هذه المؤسسة طلاب تتراوح أعمارهم بين ٨١ و٠٣ عاما.وفي إطار هذه المؤسسة تأسست جماعة «**غوش إمونيم**»، التي تعني (**جبهة العقيدة**)، بعيد حرب يونيو/ حزيران ٧٦٩١ والتي كانت رأس حربة المستوطنات في الضفة الغربية.

ويقوم النظام التربوي في (مركاز هارف) على التأطير الأيديولوجي الصهيوني مع التركيز على قضايا العقيدة والتاريخ التوراتي. وأنشأت هذه المؤسسة برنامج عرف بـ»يشيفوت هسدر». ويعني لفظ هسدر «Hesder" التسوية لأنه منهج دراسي يجمع بين الدراسات التلمودية والخدمة العسكرية. فالمؤسسة مدرسة دينية تؤهل الشباب المتدين للخدمة في الجيش الإسرائيلي. حيث يُجنَّد الملتحقون بها لمدة ٨١ شهراً، ويصل عدد هذه المدارس إلى ٢٤ مدرسة منها ٣١ مدرسة تقع في مستوطنات الضفة المحتلة. .[١]

وعند النظر إلى المبادئ الرئيسية لتلك الجماعات الصهيونية، سنلاحظ أنها تتفق على مبدأ أساسي هو: «أرض إسرائيل كاملة»، الذي يُشكل دافعاً لها لإقامة المستوطنات على الأراضي الفلسطينية، على اعتبار أن ذلك يمثل واجب ديني قبل أي شيء آخر.

لفت تقرير الاستيطان الأسبوعي الذي يعدّه المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان في آذار ٢٢٠٢ إلى أنّه جرى الكشف عن ظواهر خطيرة تبعث على المزيد من القلق بفعل تحوّل مئات المتطوعين في جهاز الشرطة الإسرائيلية فيما يسمى «سرية بارئيل» إلى ميليشيا مسلحة تعمل ضد الفلسطينيين في النقب. ووفقًا للتقرير يقابل «سرية بارئيل» في النقب، كتيبة «نيتساح يهودا» في الضفة المحتلة التي يخدم فيها يهود متعصبون دينيًا ويسكن قسم منهم في البؤر الاستيطانية العشوائية بالضفة المحتلة، وهي ميليشيا تطورت كوحدة من الجيش الاسرائيلي ، ينفذ جنودها الذين ينتمون لعائلات مستوطنين في المنطقة اعتداءات ضد الفلسطينيين.[٢]هذا الانطلاق من معتقدات دينية لهذه الجماعات التي لا تجد أي حرج في انتهاج القتل، وكافة أعمال العُنف ضد العرب ، و ترفض أي فكرة لتحقيق السلام و ترى في ذلك تفريطاً في حقها التاريخي على (أرض الميعاد) من وجهة نظرها.ومن هذه المنطلقات يتم إصدار الفتاوى من قبل الحاخامات، من قبيل حظر إخلاء المستوطنات وإنكار أي حق للفلسطينيين في أرضهم، وتمتد إلى طرد الفلسطينيين من أرضهم .ويرى عدد من المؤرخين أن جميع المنظمات الدينية والصهيونية التي تشارك في عمليات اقتحام الأقصى ينطلقون من فكرة أساسية ومحورية وهي الإيمان بأساطير تلمودية وادعاءات صهيونية لبناء ما يسمى بالهيكل الثالث.

عقيدة المتطرفة للمستوطنين (يمين اليمين)

سجّل مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية في الأراضي المحتلة، التابع للأمم المتحدة (اوتشا)، وقوع ٧٢٤ حادث اعتداء للمستوطنين في الضفة الغربية بما فيها القدس الشرقية، منذ يناير/كانون الثاني وحتى نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٢١.

«الانتقام»، «الموت للعرب»، «سيرحل العرب قريبا». عبارات بتوقيع «**جماعات تدفيع الثمن**»، يخطها المستوطنون في مسرح الاعتداء الذي ينفذونه ضد القرى والمناطق الفلسطينية المحاذية للمستوطنات. وتعتقد هذه الجماعات أن الفلسطينيون يجب أن يرحلوا من هذه الأرض، وأن المأساة التاريخية حلّت باليهود، على يد العرب والفلسطينيين، ومن العالم ككل، لذلك يجب الانتقام من كل العالم، لكن الانتقام يبدأ من العرب الفلسطينيين.

وهذه الجماعات المتطرفة رأت مع مرور الوقت أن الحلم الديني لليهود لم يطبّق، فأخذت على عاتقها حمل لواء تطبيق الشريعة اليهودية والطموح اليهودي في أرض فلسطين، وبدؤوا بتأسيس جماعات دينية تربطهم علاقة برجال الهيكل ونساء الهيكل، وهدفهم النهائي هو **هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل**.

وتحظى الجماعات الاستيطانية الدينية المتطرفة بدعم من المستوى السياسي في إسرائيل ويشكل ابرز الداعمين لها حزب (**البيت اليهودي**)، الذي ينتمي غالبية أنصاره للتيار المتديّن المتشدد ومن المستوطنين. والذي تأسس عشية انتخابات الكنيست الـ٧١ عام ٢٠٠٦، على يد **نفتالي بينت**؛ وينادي بما يسمى «**أرض إسرائيل الكاملة**». ويدعو إلى توسيع الاستيطان، ويرفض المفاوضات وحل الدولتين، ويدعو إلى إعطاء الفلسطينيين حكمًا ذاتيًا في كنتونات منفصلة عن بعضها.

وبعد أن انشق نفتالي بينيت وإيليت شاكيد عن «البيت اليهودي» في ٠٣ كانون الأول ٢٠١٨ وقام بتأسيس حزب «**اليمين الجديد**»، أصبح رئيس (حزب البيت اليهودي) الحاخام (رافي بيرتس) الذي سبق أن شغل منصب الحاخام الرئيسي السابق للجيش الإسرائيلي.

ولعل اوضح ربط بين المستويين السياسي والفكر المتطرف الذي تقوم عليه عصابات المستوطنين هو المتطرف (**ايتمار بن غفير**) زعيم حزب «**العظمة اليهودية**»، الذي وفور انتخابه في مارس/آذار ٢٠٢١، عضوا في الكنيست، بدعم من رئيس الوزراء الأسبق بنيامين نتنياهو، لم يتردد في إماطة اللثام عن برنامجه وصرح بالقول «**يجب إزالة أعداء إسرائيل من أرضنا**»، في إشارة للفلسطينيين عامة.[١]

وقد لعبت المدارس الدينية دورا مهما في تشكيل عقيدة (بن غفير) المتطرفة فهو وفور الانتهاء من الثانوية انخرط في مدرسة «الفكر اليهودية» الدينية التي أسسها الحاخام المتطرف (مائير كهانا)، الذي كان يدعو لقتل الفلسطينيين وتهجيرهم بقوة السلاح، وانضم بعمر الـ ٦١ لحركة «كاخ» العنصرية ثم انخرط في جيش الاحتلال الإسرائيلي. في انتخابات الكنيست الـ١٢، ترشّح على رأس قائمة «العظمة اليهودية» ورغم انه لم يتجاوز نسبة الحسم إلا انه حصل على حوالي ٣٨ ألف صوت. بمعني انه وعلى الأقل يوجد هناك ٣٨ ألف إسرائيلي مقتنع بفكر هذا المتطرف الذي يدعو إلى تهجير الفلسطينيين بالقوة.

وكتب تسفي برئيل أحد أبرز الصحافيين الإسرائيليين أن "المستوطنين أوجدوا الدولة وداخلها نشأ الشعب (شعب الاستيطان)، الذي لديه ثقافة ولغة خاصة به، مبادئ وأخلاق خاصة، وجماعة تجتمع حول مفكرين وحاخامات يقتلون ويحرقون"، وأضاف أنه "ليس إحراق عائلة دوابشة هو الذي يثير القلق الآن بل الثقافة التي أوجدت هذا الفعل"[٢]

وفي سياق خطر الفكر الديني المتطرف الذي يتواجد في المستوطنات كتب ألون بن دافيد : بات من الممكن قراءة عناوين بارزة بشأن الوجود الفعلي لما تسمى بدولة يهودا وبداية افتراقها عن الدولة الأم وهي دولة إسرائيل.[٣]

من جهته أعرب رئيس الشاباك الأسبق (يوفال ديسكين)، عن قلقه الشديد حيال تشكيل دولة دينية تحكم بالشريعة اليهودية وتحمل اسم [يهودا] كما يطمح إلى ذلك المتطرفون اليمينيون، وأوضح أن "المتطرفين يحاولون تطبيق فكرة [دولتين لشعبين] على طريقتهم، وذلك من خلال إقامة دولة يهودا بحكم الواقع إلى جانب دولة إسرائيل"[١]

ويؤكد ثلاثة رؤساء سابقين في "الشاباك" وهم: (آفي ديختر ويعقوب بيري وعامي أيالون)، شعورهم بالقلق من تهديد الجماعات الإرهابية اليهودية. وقال الجنرال (احتياط) عامي أيالون بأن تلك المجموعات الإرهابية "تحظى بدعم سياسي وبقيادة أيديولوجية وتدعم استخدام السلاح"[٢]

وفي مقال مطول لمؤسس حركة «السلام الآن» أوري أفنيري يرى أن "إسرائيل اختفت وتسيطر مكانها الدولة اليهودية. وقال:" نحن نشهد الآن تحولا نحو اليهودية، اليهودية الجديدة، المتعصبة، العنيفة، والآن القاتلة. يمكن لهذه اليهودية دفن الدولة، كما دفنت الهيكل الثاني". ويؤكد ثلاثة رؤساء سابقين في "الشاباك" وهم: (آفي ديختر ويعقوب بيري وعامي أيالون)، شعورهم بالقلق من تهديد الجماعات الإرهابية اليهودية. وقال الجنرال (احتياط) عامي أيالون بأن تلك المجموعات الإرهابية "تحظى بدعم سياسي وبقيادة أيديولوجية وتدعم استخدام السلاح".[٣]

كشف تقرير مفصل للقناة الإسرائيلية العاشرة عن حجم الأموال التي قامت حكومة الاحتلال في عهد نتنياهو بتسريبها للمتطرفين اليهود والمنظمات الإرهابية التي خرج منها القتلة ومنفذي عمليات الحرق، ومنظمة تدفيع الثمن، وكيف تقوم حكومة الاحتلال بنقل هذه الأموال خلسة ومن الباب الخلفي لدعم هذه المنظمات، حيث حولت في العام ٣١٠٢ مبلغاً وقدره ٢٠,٢ مليون شيكل للمستوطنات العشوائية. وفي تفسير الأرقام أن حكومة نتنياهو كانت توفر مخصصات مالية لعائلات الإرهابيين اليهود، وتقوم بتعيين محامين حكوميين عنهم أو تدفع أجور المحامين، وتصرف مخصصات لهم ولعائلاتهم حيث وصل المبلغ إلى ٩٧٤ ألف شيكل، عبر شبكة الرعاية والمساندة والحماية والتمويل الحكومي التي تحظى بها منظمات الإرهاب الاستيطاني.[٤]

قالت صحيفة (يدعوت احرنوت) الإسرائيلية أن وزير الشؤون الدينية (ماتان كاهانا) من حزب «يمينا» الذي يترأسه (نفتالي بينيت) صاغ معايير جديدة، حول الدعم الحكومي لإنشاء المعابد اليهودية في مستوطنات الضفة.و تنص تلك المعايير على توزيع ٠٢ مليون شيكل (٥٢,٦ ملايين دولار) على ٠٣ سلطة محلية تضم مستوطنات تشهد نقصا في عدد المباني الدينية . وتشير التقديرات إلى أن كل مستوطنة إسرائيلية بالضفة الغربية المحتلة، ستحصل على ٠٠٥ ألف شيكل (٦٥١ ألف دولار) لبناء معبد.[٥]

في ظل تصاعد التحريض الديني الحاخامي، وهذه البيئة التي وفرتها حكومة الاحتلال وغُلاة الحاخامات المتطرفين، ظهرت وترعرعت ظاهرة التنظيمات الإرهابية في أوساط المستوطنين، التي توجه كل عملياتها الإرهابية ضد الفلسطينيين.[٦]

وقد جاءت بعض الأفكار الإرهابية في وثيقة عنوانها "**مملكة الشر**"، وضعها المستوطن المتطرف **(موشيه اورباخ)**، وهو شاب حريدي من حي بني براك الذي تسكنه أغلبية من المتدينين الأرثوذكس قرب تل أبيب، وينتسب لعائلة هاجرت من الولايات المتحدة. والوثيقة تضم الأسس الفكرية لتصعيد الهجوم ضد العرب الفلسطينيين، وتشمل على تعليمات عن كيفية إحراق المساجد والمنازل، ومن أمثلة ما جاء في الوثيقة: «أحيانا نمل من التسبب بالضرر للممتلكات، نحن نريد توجيه ضربة تثبت أننا نقدر... نحن نريد إحراق البيت نفسه بمن فيه»، وجاء فيها أيضا:» يجب التسلح بزجاجة حارقة ويفضل أن تكون بحجم لتر ونصف مع قداحة وقفازات وقناع وهراوة ومطرقة وحقيبة. عندما يتم الوصول إلى القرية البحث عن منزل بابه مفتوح أو نافذته مفتوحة وبدون حماية. إذا لم تجدوا؟ إذاً، ابحثوا عن بيت ضعيف يمكن اختراقه بسهولة. «[٧]

وكذلك فقد صدر كتاب "**عقيدة الملك**" في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ٩٠٠٢، من تأليف الحاخامين (يتسحاق شابيرا) و(يوسيف

اليتسور) من مستوطنة (يتسهار) جنوب نابلس. وأكّد المؤلّفان في الكتاب أنه: «في الحرب على مصير أرض إسرائيل ينبغي قتْل الأغيار. فالأغيار الذين يطالبون بهذه البلاد لأنفسهم، يسلبونها منّا، في حين هي إرث لنا من آبائنا». وفي تأكيد على ثقافة العنف والقتل التي يعتمدها حاخامات المستوطنين يقول المؤلّفان: «قرّر حكماؤنا العظماء أنّ أفضل الأغيار (غير اليهود من العرب) في فترة الحرب "هو الميّت"». ويذهب كتاب عقيدة الملك بعيدا في الدعوة إلى القتل حيث يجيز قتل الأطفال معتبرا أنهم خطر مستقبلي ويقول الكتاب:»أمّا في شأن الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين يوم واحد وسنّ الرّشد، فبالإمكان قتلهم بسبب الخطر المستقبليّ الذي يشكّلونه إذا سمح لهم بالعيش ليكبروا فيصبحوا أشراراً مثل أهلهم». وفي شهر حزيران (يونيو) ١١٠٢ جدد الحاخام المتطرف "إسحاق شابيرا" فتاواه الداعية إلى قتل غير اليهود، وذلك من خلال الجزء

الثاني من كتاب "عقيدة الملك" والذي يتضمن فتاوى تبيح قتل أي شخص غير يهودي بما في ذلك الأطفال الرضع من العرب.[١]

الفصل الثالث

الخاتمة والنتائج

تشكل التوراة بأسفارها الخمسة مجمل الادعاءات التي تستند إليها الصهيونية لتبرير الاستيلاء على ارض فلسطين، وتبدأ عند الوعد التوراتي بأن الرب قطعه مع "إبراهيم": "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى نهر الفرات".

ويتفق معظم الباحثين على أن هناك عدة دوافع أسهمت في تسريع حركه الاستيطان هي: التاريخية، والدينية، والأمنية، والسياسية، والاقتصادية، والديمغرافية، والنفسية. رغم الاختلاف على أولوية دافع على الآخر. ويرى البعض أن الدافعين التاريخي والديني كان أقوى من غيره، ومن جهته يعزو المجلس الاستيطاني الأعلى الاستيطان إلى" الأصول التاريخية والتوراتية". وفي شرائع «المشنا» المكملة للتوراة الدينية اليهودية فالحرب مفروضة شرعاً، وحرب مأمور بها نصاً في التوراة، وحرب توسعية».[٢]

وتعتبر العقيدة الاستيطانية الاستعمارية جزء مكون أساسي، وليس طارئاً، من العقيدة الإسرائيلية، أو من رؤية «إسرائيل»، لذاتها، حيث أن هذه الرؤية تحمل بعدا أسطورياً ودينياً وأيديولوجياً، باعتبار فلسطين هي (أرض الميعاد) لليهود.

ان وجود نحو ٦٦٦ ألف مستوطن و٥٤١ مستوطنة كبيرة و٠٤١ بؤرة استيطانية عشوائية بالضفة الغربية والقدس المحتلة. تبلغ بينهم نسبة المستوطنين الحريديم ٦٣٪، بينما يشكل المستوطنون القوميون المتدينون ٥٣ ٪. ويقدر عدد المستوطنات الإيديولوجية ٥٤ مستوطنة. ويشكل سكانها ٤٣٪ من مجموع سكان المستوطنات، وينتمي معظمهم لأحزاب اليمين المتطرف، ومن هذه الفئة خرجت التنظيمات السرية الإرهابية والعصابات الاستيطانية الإرهابية التي تستهدف الفلسطينيين.

وقد وصل معدل تزايُد سكّان المستوطنات في عام ١٢٠٢ إلى ٢٤٪ مقارنة مع بداية العقد وبنسبة ٢٢٢٪ مقارنة مع العام ٠٠٠٢.

دينيا: يمكن القول أن الوصف الأكثر دقة لأغلب الجماعات الدينية التي تنطلق من فكرة الإيمان بأساطير تلمودية بأنها: (يهودية المُسمى وصهيونية الهوية ومتطرفة السلوك ويمينية التوجه السياسي) وتجتمع كل أفكار الجماعات الدينية على هدف واحد وهو **هدم المسجد الأقصى** فيما يعزو المجلس الاستيطاني الأعلى الاستيطان إلى" الأصول التاريخية و التوراتية". وان الحرب في شرائع «المشنا»، المكملة للتوراة، «حرب مفروضة شرعاً، وحرب مأمور بها نصاً في التوراة.

فكريا: يتضح للمتفحص أن هناك فكرا عنصريّا قائما على الكراهية الشّديدة للفلسطينيّين، ويدعو إلى قتلهم أو طردهم من

ناحية، وإلى تعزيز الاستيطان في الضفّة المحتلّة والإسراع في تهويدها وضمّها من ناحيةٍ أخرى. وعند النظر إلى المبادئ الرئيسية لتلك الجماعات الصهيونية الاستيطانية ، نلاحظ أنها تتفق على مبدأ أساسي هو: «**أرض إسرائيل كاملة**»، الذي يُشكل دافعاً لها لإقامة المستوطنات على الأراضي الفلسطينية، على اعتبار أن ذلك يمثل واجب ديني قبل أي شيء آخر. حيث يرى كتاب "**عقيدة الملك**" الاستيطاني «انه في الحرب على مصير أرض إسرائيل ينبغي **قتْل الأغيار** الذين يطالبون بهذه البلاد لأنفسهم، يسلبونها منّا، في حين هي إرث لنا من آبائنا». فيما يذهب كتاب (**عقيدة الملك**) بعيدا في الدعوة إلى القتل حيث يجيز قتل الأطفال العرب معتبرا أنهم خطر مستقبلي.

أكثر الظواهر وضوحا اليوم هو عضو الكنيست المتطرف (ايتمار بن غفير) الذي ترشح في انتخابات الكنيست الـ ١٢، على رأس قائمة «العظمة اليهودية» ورغم انه لم يتجاوز نسبة الحسم إلا انه حصل على حوالي **٣٨ ألف** صوت. **بمعنى انه وعلى الأقل يوجد هناك ٣٨ ألف إسرائيلي مقتنع بفكر هذا المتطرف الذي يدعو إلى تهجير الفلسطينيين بالقوة**

موقف القانون الدولي

فيما يتعلق بموقف المنظمات الدولية من الاستيطان فقد نص قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ٧٦٩١، والذي يدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية المسلحة من الأراضي التي احتلتها في العام ٧٦٩١، ويؤكد على عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب، والحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة أن تعيش فيه بأمان.

وكذلك نص قرار مجلس الأمن ٤٣٣٢ (٦١٠٢) على أنه يجب على جميع الأنشطة الاستيطانية في الأرض الفلسطينية المحتلة، بما فيها القدس الشرقية

كما ينتهك قرار مجلس الأمن رقم ٦٤٤ لسنة ٩٧٩١، والذي أكد على عدم شرعية سياسة الاستيطان الإسرائيلي الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس، واعتبارها عقبة خطرة في وجه السلام في الشرق الأوسط.

كذلك قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٤ لسنة ٩٧٩١ الذي يدعو فيه مجلس الأمن سلطات الاحتلال الإسرائيلي وقف الأنشطة الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها في العام ٧٦٩١ بما فيها القدس.

والقرار رقم ٥٦٤ لسنة ٠٨٩١، الذي طالب إسرائيل بوقف الاستيطان والامتناع عن بناء مستوطنات جديدة وتفكيك المستوطنات المقامة، وطالب أيضا الدول الأعضاء بعدم مساعدة إسرائيل في بناء المستوطنات.

ونصت الفقرة ٦ من المادة ٩٤ من معاهدة جنيف الرابعة بشأن حماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب المؤرخة بتاريخ ٢١ آب/ اغسطس من العام ٩٤٩١، على انه «لا يجوز لدولة الاحتلال أن ترحل أو تنقل جزءا من سكانها المدنيين إلى الأراضي التي تحتلها".

كما تنتهك إسرائيل البنود الأخرى لمعاهدة جنيف الرابعة وخصوصاً المادة ٣٥ التي «تحظر على دولة الاحتلال أن تدمر أي ممتلكات خاصة ثابتة أو منقولة تتعلق بأفراد أو جماعات، أو بالدولة أو السلطات العامة، أو المنظمات الاجتماعية أو التعاونية، إلا إذا كانت العمليات الحربية تقتضي حتما هذا التدمير».

وفي ذات المجال قال المقرر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية والخبير الحقوقي مايكل لينك إن المستوطنات الإسرائيلية تنتهك الحظر المطلق المفروض على إمكانية أن تنقل سلطة احتلال بعضا من سكانها المدنيين إلى أرض محتلة، مؤكدا أن «المجتمع الدولي اعتبر هذه الممارسة جريمة حرب عندما اعتمد نظام روما الأساسي في عام ٨٩٩١.

وأخيرا فان المؤشرات تقول أن هذا التأثير الديمغرافي لصالح المستوطنين سيكون ملموسا بشكل اكبر في الأجيال المقبلة. حيث تسود في صفوف المستوطنين ثقافة إنجابية مختلفة عن غيرهم حيث أن المستوطِنة تلد في المتوسط أكثر من سبعة أطفال في الوقت الراهن. وكذلك يستفيد المستوطنون من نظام قانوني يعمل على حمايتهم من المساءلة على جرائمهم، ويعتمدون على دعم سياسي واقتصادي وأمني من دولة الاحتلال.

وقد بات بعض الإسرائيليين يتحدث بقوة عن دولة المستوطنين أو ما تسمى (دولة يهودا) وبداية افتراقها عن الدولة وان تطبيق فكرة [دولتين لشعبين] تعني، إقامة دولة يهودا بحكم الواقع إلى جانب دولة إسرائيل، وان هناك تحولا في إسرائيل نحو اليهودية الجديدة، المتعصبة، العنيفة، والقاتلة.

وعليه فان البعد الديني الذي تسند إليه إستراتيجية الاستيطان بكل ما يحمله من أفكار متطرفة سيقود حتما إلى مواجهة عنيفة يؤمن بها الحاخامات ومن خلفهم جيل من المستوطنين الشبان الذي تربوا في المدارس والمعاهد الدينية على مبدأين أساسيين (أن هذه الأرض كلها لهم) و (أن طرد الفلسطينيين يجب أن يتم ولو بالقوة والقتل وانه لا يوجد ما يمنع قتل الفلسطيني حتى لو كان طفلا).

ويبدو جليا اليوم أن عنف المستوطنين وإرهابهم اليومي ضد الفلسطينيين تعدى حدود التنظيمات السرية بل أصبح ظاهرة يومية يشارك بها الآلاف أحيانا حيث بات المجتمع الفلسطيني و الدولي يستقبل خبر هجمات المستوطنين اليومية على الفلسطينيين كخبر معتاد في وسائل الإعلام وهذا في واقع الأمر يعتبر تحضير للرأي العام لتقبل هذا السلوك العنيف المتدرج بشكل تصاعدي.

النتائج :

- ✓ العامل الديني و التربية الدينية داخل المراكز الدينية في المستعمرات هي الدافع الأساسي للسلوك العدواني للمستوطنين و تؤسس لحرب دينية قادمة.
- ✓ دولة الاحتلال رسميا تقف خلف دعم المؤسسات الدينية في المستوطنات في الضفة الغربية
- ✓ مسألة أن تشهد الضفة الغربية المحتلة حربا دينية يقودها المستوطنون ضد الفلسطينيين هي مسألة وقت.
- ✓ عدد المستوطنات الإيديولوجية ٥٤ مستوطنة. يشكل سكانها ٤٣٪ من مجموع سكان المستوطنات، وينتمي معظمهم لأحزاب اليمين المتطرف، ومن هذه الفئة خرجت التنظيمات الاستيطانية الإرهابية التي تستهدف الفلسطينيين.
- ✓ هناك فكر عنصري قائم على الكراهية الشّديدة للفلسطينيّين، ويدعو إلى قتلهم أو طردهم، وإلى تعزيز الاستيطان في الضفّة المحتلّة.
- ✓ نحن نشهد الآن تحولا نحو اليهودية الجديدة (المتعصبة، العنيفة، التي تدعو إلى القتل)
- ✓ تعزز المدارس الدينية عند خريجيها الإيمان بفكرة أرض إسرائيل الممتدة من الفرات إلى النيل، وضرورة جعل دولتهم دينية
- ✓ المبادئ الرئيسية للجماعات الصهيونية تتفق على مبدأ أساسي هو: «أرض إسرائيل كاملة»
- ✓ تغلغل فكر الاستيطان المتطرف داخل صفوف جيش الاحتلال مثل كتيبة «نيتساح يهودا» في الضفة التي يخدم فيها يهود متعصبون دينيًا ويسكن قسم منهم في البؤر الاستيطانية العشوائية، وهي ميليشيا تطورت كوحدة من الجيش الإسرائيلي، ينفذ جنودها الذين ينتمون لعائلات مستوطنين اعتداءات ضد الفلسطينيين.
- ✓ المستوطنين أوجدوا (شعب الاستيطان)، الذي لديه ثقافة ولغة خاصة به، مبادئ وأخلاق خاصة، وجماعة تجتمع حول مفكرين وحاخامات يقتلون ويحرقون
- ✓ المستوطنين المتطرفين يحاولون تطبيق فكرة (دولتين لشعبين) وفق رؤيتهم، وذلك من خلال إقامة (دولة يهودا) (دولة المستوطنين في الضفة الغربية) بحكم الواقع إلى جانب دولة إسرائيل
- ✓

المراجع:

- عدد المستوطنين نحو المليون والمستوطنات ٩٩١ مستوطنة و٠٢٢ بؤرة. مركز المعلومات الفلسطينية على الرابط الالكتروني https://www.wafa.ps/Pages/Details/35499
- المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان. تقرير الإستيطان الأسبوعي من ٢٢٠٢/٢/٩١-٢٢٠٢/٢/٥٢ https://nbprs.ps/2022/03/26/
- تقرير الاستيطان الأسبوعي ٤-٣-٢٢٠٢. المكتب الوطني للدفاع عن الأرض ومقاومة الاستيطان. على الرابط https:// /natourcenters.com
- معتوق، ازدهار ،الاستيطان الصهيوني وآثاره التدميرية على الشعب الفلسطيني،مجلة الوحدة الإسلامية ،العدد ٤١
- وتد ، محمد. إيتمار بن غفير.. عرّاب التحريض الدموي على الشعب الفلسطيني . ١٢٠٢ . الجزيرة نت .https://www /aljazeera.net/news/politics/2021/10/22
- سلامة، حسام. كتاب «شريعة الملك».. مرجعية جديدة للقمع الإسرائيلي . مجلة الشرق الاوسط . الاحـد ٥٠ جمـادى الاولـى ٢٣٤١ هـ ٠١ ابريل ١١٠٢ العدد ١٢٨١١
- الظاظا، حسن، الحرب في شريعة اليهود، مجلة الفيصل ع٥٣٢ ص٥٣-٩٣. عام ٦٩٩١م
- العزاني، عبد الرقيب ، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية،٧٠٠٢
- موقع الأمم المتحدة على الرابط الالكتروني : https://news.un.org/ar/story/2021/12/1090372
- هذه لنا، وهذه... أيضاً لنا : موقع بتسيلم https://www.btselem.org/arabic/press_releases/20210309
- المستوطنات الإسرائيلية بالضفة الغربية: ماذا تعرف عنها؟ ولماذا أنشئت؟ https://www.canadavoice.info/
- دوف فايسغلاس، التحديات الأمنية في القرن الواحد والعشرين، ٩٢- أيار (مايو) ٢١٠٢.
- ٠٠٤ اعتداء خلال ٢٢٠٢ . على الرابط الالكتروني. https://www.alaraby.co.uk/politics/٢٢٠٢
- زهافا غالئون، «شبان التلال هم ذراع الحكومة»، مختارات من الصحف العربية، نشرة ٣٩٦٣، ٠٣-١١-١٢٠٢، https://: bit.ly/3Elj3fi
- الخبير مايكل لينك يدعو إلى تصنيف المستوطنات الإسرائيلية ك «جرائم الحرب» . https://news.un.org/ar/ story/2021/07/1079422
- تسفي برئيل، المجتمع الإسرائيلي أصبح يخاف من المستوطنين، هآرتس/ الأيام ٦ آب (أغسطس) ٥١٠٢
- ألون بن دافيد، الهوة بين مملكتي إسرائيل ويهودا تزداد اتساعاً، معاريف/ الأيام ٥١٠٢.
- نيويورك تايمز: هجمات المستوطنين في الضفة الغربية وصلت مستويات عالية.٢٢٠٢. https://www.alquds.co.uk/
- ران ايدليست، الإرهاب اليهودي جزء من ماكنة الاستيطان، معاريف/ الأيام ٣١ آب (أغسطس) ٥١٠٢.
- المدارس التلمودية: مركاز هراف . ٨٠٠٢ . على الرابط الالكتروني : https://www.aljazeera.net/news/ /international/2008/3/7
- ماذا وراء قرار إعطاء أولية لبناء معابد يهودية بالضفة المحتلة؟ وكالة الاناضول : https://www.aa.com.٧٠٨٥٧٣٢/ tr/ar/

- الحياة الجديدة ٩ آب (أغسطس) ٢٠١٥.
- الحياة الجديدة عن صحيفة «هآرتس»٣١ آب (أغسطس) ٢٠١٥.
- صحيفة «هآرتس» .عددها الصادر بتاريخ ٠٣ يوليو/تموز ٢٠١٥

مصر الجديدة و إنعكاسات ثورة يناير 2011 على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

The New Egypt anf the repercussions of the Junuary 2011 revolution on the Palestinian-Israeli Conflict

حسام نمر عبيد الله
رام الله - فلسطين

تاريخ الإستلام 25-2-2023 تاريخ القبول 23-4-2023 تاريخ النشر 30-4-2023

الملخص:

أتاحت الثورة المصرية للنخب السياسية فرصة إقامة دولة مصرية ديمقراطية قادرة على استعادة هيبتها الدولية والإقليمية وإحياء الدماء بفعاليتها ووجودها العالمي ، لكن الصراع على السلطة وتعبئة المصالح الحزبية والفردية أضاع هذه الفرصة. وتحولت لعنة استغرقت مصر وقتا طويلا للخروج واستعادة مناعتها الداخلية.

لم يكن للتغيير في القيادة السياسية في مصر بعد الثورة وعلى مدى السنوات العشر الماضية أثر جوهري أو حتى تغيير ملموس في التعامل مع إسرائيل ، ولم يلقي هذا التغيير بظلاله على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وبدلاً من ذلك ، استمرت النخب الحاكمة في الحفاظ على التوازن والالتزام بالعلاقة مع إسرائيل، مع اختلاف حجم الاتصالات ، وهو القاسم المشترك بين الحكام الذين وصلوا إلى السلطة بعد الثورة.

رغم اعتبار مصر وسيطًا في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، ورغم فشل الدور المصري في فرض أو اقتراح حل للصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، إلا أنها سعت فقط إلى الحفاظ على الهدوء والاستقرار دون خطة سياسية أو مفاوضات من أجل. للوصول إلى حل نهائي. نصت اتفاقيات أوسلو على الوصول إلى إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل وفق حل الدولتين ، وهو ما رفضته إسرائيل علنًا بعد الثورات العربية ، وتجرأت على التحدث عنه علنًا في منتدياتها ومؤتمراتها الصحفية.

نجحت الثورة المصرية ، وسقط نظام مبارك ، وشهدت الساحة المصرية أحداث وتحولات بعد الثورة كان لها أثر كبير في تحديد شكل النظام المقبل والتوجه السياسي المطلوب تنفيذه. خاضت الأحزاب السياسية صراعا طويلا لتحديد شكل الحكومة وطبيعة الدولة الجديدة ، وكان لهذا النضال العديد من النتائج، اتسم معظمها بالصراع والتنافس السياسي.

أتاحت الثورة المصرية للنخب السياسية فرصة إقامة دولة مصرية ديمقراطية قادرة على استعادة هيبتها الدولية والإقليمية وإحياء الدماء بفعاليتها ووجودها العالمي ، لكن الصراع على السلطة وتعبئة المصالح الحزبية والفردية أضاع هذه الفرصة. وتحولت لعنة استغرقت مصر وقتا طويلا للخروج واستعادة مناعتها الداخلية.

الكلمات المفتاحية: مصر الجديدةِ، ثورة يناير 1102 ،الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلِي

Abstract:

The Egyptian revolution provided the political elites with an opportunity to establish a democratic Egyptian state capable of restoring its international and regional prestige and reviving blood with its effectiveness and global presence, but the struggle for power and the mobilization of partisan and individual interests missed this opportunity and turned into a curse that took Egypt a long time to get out and restore its internal immunity.

The change in the political leadership in Egypt after the revolution and over the past ten years did not have a fundamental impact or even a tangible change in dealing with Israel, and this change did not cast a shadow on the Palestinian-Israeli conflict. Instead, the ruling elites continued to maintain balance and commitment to the relationship with Israel. , with the difference in the volume of contacts, which is the common denominator among the rulers who came to power after the revolution.

Although Egypt is considered a mediator in the Palestinian-Israeli conflict, and despite the failure of the Egyptian role to impose or propose a solution to the Palestinian-Israeli conflict, it only sought to maintain calm and stability without a political plan or negotiations in order to reach a final solution. The Oslo Accords stipulated reaching the establishment of a Palestinian state alongside the State of Israel according to the two-state solution, which Israel publicly rejected after the Arab revolutions, and had the audacity to speak about it publicly in its forums and press conferences.

The Egyptian revolution succeeded, the Mubarak regime fell, and the Egyptian arena witnessed events and transformations after the revolution that had a great impact in determining the shape of the next regime and the political direction required to be implemented. The political parties fought a long struggle to determine the form of government and the nature of the new state, and this struggle had many results, most of which were characterized by conflict and political competition.

Keywords: New Egypt, January 2011 revolution, Palestinian-Israeli conflict,

المقدمة:

أفسحَ سقوطُ النظامِ المصري المجالَ لجهاتٍ فاعلةٍ جديدةٍ بدوافعها الحزبيةِ والأيديولوجيةِ، وطرحتْ هويةُ الدولةِ ونموذجِ المجتمعِ وإشكاليةِ العلاقةِ بينَ الدينِ والدولةِ ومصادرِ القانونِ للنقاشِ مرةً أخرى [1]. فَبعدَ سقوطِ نظامِ مبارك مباشرةً، حاولتْ قوى الإسلامِ السياسيِ التي تمَ إعدادها لعقودٍ منْ الزمنِ جنيَ ثمارِ الثورةِ، مستغلةً حقيقةَ أنها كانتْ الوحيدةُ الباقيةُ على المسرحِ السياسيِ ومرتبطةٌ بالطبقاتِ الاجتماعيةِ الوحيدةِ منْ حيثُ الخبرةُ والتنظيمُ، في مواجهةِ تراجعِ المشاريعِ التقدميةِ والوطنيةِ واختفائها جميعُها، وشيخوخةِ الأحزابِ الأيديولوجيةِ التقليديةِ معظمها، وبالتالي فقطْ كانتْ تلكَ القوى هيَ الوحيدةُ القادرةُ على تولي الأمورِ كبدائلَ سياسيةٍ جاهزةٍ تبقى في هذا الفراغِ السياسيِ، وقدْ كانتْ جماعةُ الإخوانِ هيَ الفاعلُ السياسيُ الأبرزُ والأهمُ في إطارِ قوى الإسلامِ السياسيِ فقدْ أكدتْ مسيرةَ الأحداثِ أنَ الجماعةَ لا توليَ أهدافِ الثورةِ القدرَ الأكبرَ منْ الرعايةِ بقدرِ ما تهتمُ بتحقيقِ أجندتها في الهيمنةِ على مفاصلِ الدولةِ والمجتمعِ فقدْ بدأَ انتقالُ الجماعةِ منْ حالةِ المحنةِ إلى وضعِ التمكينِ عبرَ الانفرادِ بالسلطتينِ التنفيذيةِ والتشريعيةِ[2].

ولكنَ هذا الانفرادِ لمْ يدُمْ طويلاً بسببَ فشلِ الإسلامِ السياسيِ وعلى رأسهِ جماعةُ الإخوانِ المسلمينْ مبمثلهْ برئيسِ مصرَ محمدْ مرسي الَّذي فشلَ وأخفقَ في إدراةِ الحكمَ وإقناعَ الجماهيرِ بنجاعةِ ادرارتهْ على المستوى الداخلي في حلِّ القضايا السياسيةِ والاجتماعيةِ والاقتصاديةِ، وعلى المستوى الخارجيِ منْ خلالِ فشلهِ بإعادةِ دورِ مصرَ الإقليميِ والدولي وإعادة مِصر إلى مكانتها في التأثيرِ والفاعليةِ.

فبقيَ الصراعُ القلسطيني الإسرائيليَ يروحُ مكانهُ معَ غلبةٍ إسرائيليةٍ باستمرارِ مصادرةَ الأراضي وإقامةِ المستوطناتِ والاستمرارِ بالاقتحاماتِ للمسجدِ الأقصى والمدنِ الفلسطينيةِ دونَ أنْ تحركَ حركةُ الإخوانِ المسلمينَ التي تتولى حكمَ أكبرِ دولةٍ عربيةٍ ساكناً لا بلْ استمرتْ بالعلاقاتِ الثنائيةِ بينَ البلدينِ (مصرَ إسرائيلَ) والتزمتْ بالاتفاقاقياتِ المُوقعةَ معَ إسرائيلَ في ظلِ تغولِ السياسةِ الإسرائيليةِ ضد الفلسطينيينَ.

للإجابة على إشكالية الدراسة " أثر التحولات السياسية في مصر على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي"، سَوفَ نَقسم في هذه المقالة إلى قسمين، القسم الأولُ يتحدثُ عنْ التَّحَوُّل الدِّيمقْراطيُّ مَا بَعْد الثَّوْرة فِي مِصْر وَأثَرِه على الصِّرَاع الفلسْطينيِّ الإسْرائيليِّ والقسم الثاني يتحدث عن الصراعُ السياسيُ في مصرَ وأثرِه على القضية الفلسطينية.

مشكلة الدراسة :

تعتبر العلاقات المصرية الفلسطينية من العلاقات المهمة والمتداخلة في المحيط العربي، ولذا تكمن مشكلة الدراسة في مناقشة أثر التغير في القيادة السياسية في مصر على العلاقات الفلسطينية المصرية في الفترة ما بعد ثورة 52 يناير من عام 1102.

أسئلة الدراسة :

1. ما هي طبيعة العلاقات المصرية الفلسطينية تاريخياً؟.
2. ما هو مدى تأثير التحول الديمقراطي على طبيعة العلاقات المصرية الفلسطينية؟.
3. ما هي مظاهر اهتمام القيادات السياسية في مصر بالقضية الفلسطينية؟.
4. ما هو مستقبل العلاقات المصرية الفلسطينية في ضوء المتغيرات المحلية والاقليمية والدولية؟.
5. ما هو أثر الصراع على السلطة بعد ثورة 52 يناير على التحول الديمقراطي؟.

منهيجة الدراسة :

سوف نستخدم المنهج التحليلي للوصول إلى نتائج أكثر دقة، وذلك من خلال تحليل وتفسير تغيرات القيادة السياسية في مصر وأثرها على القضية الفلسطيية، لذلك سيتم تطبيق هذا المنهج من خلال معرفة صانعي القرار السياسي وعلاقتهم بتغير النظم السياسية أو التداول على السلطة.

1. التحول الديموقراطي ما بعد الثورة في مصر وأثره على الصراع الفلسطيني الإسرائيلي

كانَ هناكَ اعتقاد سائد أنَ النتائجَ الأوليةَ للثورةِ المصريةِ سوفَ يكونُ بناءُ نظامٍ سياسيٍ ديمقراطيٍ يُلبي تطلعاتِ الشعبِ المصريِ بالعيشِ بحريةٍ وكرامةٍ وعدالةٍ ويحقِّقُ طموحاتهِ السياسيةَ وبما أنَ القضيةَ الفلسطينيةَ وحلَ الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيليِ منْ تطلعاتِ الشعبِ المصريِ واهتماماته انتظرنا أنْ يكونَ لمصر الديمقراطيةِ رويةً جديدةً لحلِ الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيليِ ولكنَ الثورةَ لمَ تأتي بنظامٍ ديمقراطيٍ حقيقيٍ والنظامِ لمْ يأت برويةٍ ومبادرةٍ لحلِ الصراعِ الفلسطينيِ الاشرائيلي سوفَ نتطرقُ بهذهِ النقطةِ بتقسيمها إلى قسمينِ الأولُ مفهومَ التحولِ الديمقراطيِ وعواملهِ والثانيةَ تعقيداتِ التحولِ الديمقراطيِ في مصرَ.

التحول الديموقراطي وعوامله:

لم يتمْ إعطاءُ مفهومِ التحولِ الديمقراطيِ التعريفِ الذي يستحقهُ بسببَ ارتباطِ هذا المفهومِ بمفهومِ الديمقراطيةِ، حيثُ تمَ تركيزُ معظمِ الاهتمامِ على المفهومِ الأخيرِ، وخاصةً أنَ الديمقراطيةَ في التطورِ الحديثِ لها[1]، تمتدَ في التطبيقاتُ المختلفةُ والمتنوعةُ اذ شملتْ الأنظمةُ الغربيةُ والأنظمةُ الأخرى، ولكنْ معَ ذلكَ، أصبحَ الانتقالُ إلى الديمقراطيةِ في الحكومةِ أحدَ الموجاتِ العظيمةِ التي نشهدها في العالمِ اليومِ، والتي تَبلورتْ منذُ منتصفِ السبعينياتِ والثمانينياتِ منْ القرنِ المَاضي، وقدْ تأكدتْ سِماتها خلالَ فترةِ التسعينياتِ، بعدُ أنْ كانتْ قضيةُ الاستقلالِ الوطنيِ قضيةَ الخمسينياتِ والتطورِ في الستينياتِ والسبعينياتِ، فقد احتلتْ قضيةَ الديمقراطيةِ صدارةَ مشاكلِ دولِ العالمِ الثالثِ في القرنِ العشرينَ[2]، وَذلكَ لعددٍ منَ العَواملِ التي نُجملُها فِيما يَلي :

- تعيشَ بعضَ هذهِ البلدانِ الآنِ بمستوياتٍ معيشيةٍ أقلَ مما كانتْ عليهِ عشيةِ الاستقلالِ الوطنيِ، ولا سيما في إفريقيا.

إنَ الدولَ التي تمكنتْ منْ تحقيقِ درجاتٍ مختلفةٍ منْ التنميةِ وجدتْ نفسها في إطارِ التَّبعيةِ الدوليةِ التي أخْضَعتْ إستقلالها الوطنيَ للمؤسساتِ الماليةِ الدوليةِ وأسواقِ البلدانِ المستعمرةِ السابقةِ.

- في الحالةِ الأخيرةِ، أدى التفاوتُ الاجتماعيُ الشديدُ إلى استقطابٍ قويٍ في هذهِ المجتمعاتِ مما أدى إلى مظاهرَ متعددةٍ

منْ عدمِ الاستقرارِ الاجتماعيِ والسياسيِ، مما أدى إلى ظاهرةِ الانقلاباتِ العسكريةِ والعنفِ المَدنيِ المتمثلِ في الإرهابِ الثوريِ وإرهابِ الثورةِ المضادةِ وامتدَ أحياناً للتعبيرِ عنْ نفسهِ في الحَربِ الأهليةِ.

- في معظمِ الحالاتِ ، ارتبطتْ التنميةُ والتخلفُ بدرجاتٍ متفاوتةٍ في الشدةِ والعنفِ ، معَ مظاهرِ الاستبدادِ السياسيِ ، وقمعَ حقوقِ الإنسانِ الأساسيةِ ، والعنفُ الاجتماعيُ في صورةِ القمعِ والقهرِ الاجتماعيِ والاستغلالِ الاقتصاديِ.

ارتبطتْ هذهِ الظواهرِ مجتمعةً في أذهانِ العديدِ منْ مفكريِ العالمِ الثالثِ بطبيعةِ النظمِ السياسيةِ في هذا العالمِ، ويبدو أنَ فشلهمْ في إنجازِ مهامِ التَّحررِ البشريِ والإجتماعيِ والسِّياسيِ يعتمدُ على عَدمِ قدرتهمْ على إنشاءِ نظامِ حكمٍ؛ مما يضمنُ مشاركةَ جماهيرِ المواطنينَ في إنجازِ هذهِ المهامِ وبالتالي مشاركةُ دولِ العالمِ الثالثِ في أعادَةِ النظرِ في الديمقراطيةِ ومدى ملاءمتها لأنظمةِ الحكمِ التي تحتويها، بحيثُ أصبحتْ مسألةُ استكمالِ مهامِ التحولِ الديمقراطيِ منْ أهمِ مهامِ الحركاتِ الثوريةِ في العالمِ الثالثِ.[3]

يشيرَ مفهومُ التحولِ الديمقراطيِ بشكلٍ عامٍّ إلى عمليةِ الانتقالِ منْ شكلٍ غيرِ ديمقراطيٍ للحُكومةِ إلى نظامٍ ديمقراطيٍ، وهيَ عمليةٌ معقدةٌ يمكنُ أنْ تستغرقَ وقتا طويلاً أوْ قصيراً اعتماداً على توازنِ القوى في المجتمعِ، بمعنى آخرَ، تعرفَ الدمقراطية بأنها عَمليةُ انتقالِ منْ الأنظمةِ الاستبداديةِ إلى نظامٍ تمَ فيهِ حلُ أزمةِ الشرعيةِ والمشاركةِ والهويةِ والتنميةِ أيْ اعتمادِ الديمقراطيةِ كأسلوبٍ لإدارةِ الأنشطةِ السياسيةِ.[4]

يشملَ مفهومُ التحولِ الديمقراطيِ إجراءَ تغييراتٍ دستوريةٍ تنظيميةٍ وأيديولوجية، وإعادةُ توزيعِ السلطةِ والنُّفوذِ ، وتوسيعَ المشاركةِ فيها، وظهورَ مراكزَ سياسيةٍ واجتماعيةٍ مستقلة.[5]

عوامل التحول الديموقراطي

العوامل الداخلية :

بشكلٍ عام، لا يمكنُ تفسيرَ التحولِ الديمقراطيِ بعاملٍ أوْ سببٍ واحدٍ فَقطْ ، وهوَ نتيجةُ للعديدِ منْ العواملِ المتقاطعةِ بعضها أساسيٌ والآخرُ ثانويٌ، وبعضها يتعلقُ بالعواملِ البنيويةِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والثقافيةِ والتاريخيةِ والدينيةِ والتي تشكلُ البيئةُ الانتقاليةُ، وبعضها الآخرُ يتعلقُ بالفاعلينَ السياسيينَ منْ حيثُ هوياتهمْ وقراراتهمْ واستراتيجياتهمْ.[1]

العوامل الخارجية :

أما بالنسبةِ للعواملِ الدوليةِ التي لها تأثيرٌ في عمليةِ التحولِ الديمقراطيِ، فالمَقصودُ بها تلكَ العواملِ التي تنبعُ منْ البيئةِ الخارجيةِ للدولةِ، إذ يعتقدُ الكثيرونَ أنَ للعواملِ الخارجةِ عنْ سلطةِ الدولةِ لها تأثيرٌ في إحداثِ تحولٍ ديمقراطيٍ قدْ يطيحُ بالأنظمةِ الاستبداديةِ وتحقيقِ الانتقالِ إلى الديمقراطيةِ.[2]

---

1 .ملراحل التحول الديموقراطي:

هُناكَ أربعةَ مَراحلٍ يَعتمِدُ عَليْها نَجاحُ عَمليةَ التَّحوُلِ مِن عَدمِه وَهذِه المَراحِلَ بِالترتيب:

أولاً: مرحلةُ تقريرِ الانتقالِ إلى النظامِ الديمقراطيِ، أوْ مَرحلةِ الانطلاقِ الفعلي، معَ تكوينِ توافقٍ حولَ ضرورةِ التحولِ والعَملِ على الاسْتِجابةِ للمَطالبِ وبناءَ المؤسساتِ السياسيةِ ، وفي المُقدمةِ إنشاءَ دورُ البرلَمانِ وتفعيله.

ثانيًا: يَتجلى ذلكَ في الانتقالِ منْ النظامِ الاستبداديِ السُلطَويِ إلى النِظامِ الديمقراطيِ، اذ تشتدُّ خلالَ هذهِ المرحلةِ الخلافاتِ والصراعاتِ السياسيةَ والاجتماعيةَ.

ثَالثاً: هيَ مرحلةُ الانطلاقِ الفعليِ للتَّحولِ منْ خلالِ سنِ قانونِ الانتخاباتِ وقانونِ الأحزابِ السياسيةِ وتحديدِ موعدٍ للانتخاباتِ وآلياتها.

رابعاً: مرحلةُ ترسيخِ التَّحول الديمقراطيِّ وتأمين انتقالهُ وتحوله، أوْ مرحلةِ السَّير نحوَ النضجِ الديمقراطيِ، وترسيخها، والتماسكُ الفعليُ، وتطويرَ ثقافةٍ سياسيةٍ ديمقراطيةٍ، وهذا يؤدي إلى النضجِ الديمقراطيِ.[1]

وعليهِ، لا يمكنُ التحولُ الديمقراطيُ أنْ يتمَ إلا بوجودِ متطلباتٍ وآلياتٍ عِدة، تنظمُ عمليةَ الانتقالِ تلكَ وتتحكم في صيرورتها، ولعلَ أبرزَ هذهِ الشروطِ والمتطلباتِ : تحقيقُ مفهومِ الدولةِ القانونيةِ بما في ذلكَ الارتكازِ على دستورٍ قانونيٍ منبثقٍ عنْ إرادةِ الجماهيرِ، وصياغةُ نظامٍ قانونيٍ للحقوقِ والحرياتِ، ووجودَ دولةِ المؤسساتِ التي تخضعُ لآلياتِ وضوابطَ تضمنُ عدمَ احتكارها منْ جانبِ الهيئاتِ، كما يتطلبُ وجودَ مجتمعٍ مدنيٍ فاعلٍ، وإقرارِ مبدأِ التعدديةِ السياسيةِ بشقيها (التعدديةِ الحزبيةِ، وتعدديةُ الرأيِ) بوصفها التَعبيرِ المُباشر عَن حُريةِ التَّعبير، وَوضعِ آليةِ التَّداولِ للسُلطةِ سلمياً وقانونياً طبقاً لأحكامِ الدِستور، ووجودِ ثقافةٍ سياسيةٍ تُؤمنُ بِمبدأ الدِّيمقراطِية فكراً وَسُلوكاً.[2]

---

1 .أَنماطُ التَّحولِ الدِّيمقْراطِي:

والمقصودُ بها الأشكالِ التي اتخَذتها عَمليةُ التَّحولِ الديمقراطيِ، والتدابيرُ المُتخذةُ للإطاحةِ بالنظامِ غَيرِ الديمُقراطيِ، وَنحاولُ التَّمييزَ بينَ ثلاثةِ مساراتٍ رئيسيةٍ، وهيَ: -

- **المسارُ الأولُ التحولُ منْ أعلى :** ويعني تحولُ النظامِ إلى ديمقراطيةً بمبادرةٍ منْ قادةِ النظامِ السياسيِ الذينَ يملكونَ القدرةُ والدورُ الحاسمُ في إجراءاتِ هذا التحولِ.[1]
- **المسارُ الثاني التَّحولُ الدِّيمقراطيَ منْ خلالِ التَّفاوُضِ :** وهذهِ الحالةُ تأتي بمبادرةٍ مشتركةٍ منْ قبلِ قيادةِ النظامِ الحاكمِ والمعارضةِ معاً.[2]
- **المسارُ الثالثُ :** وَيعني قيامُ جَماعاتِ المُعارضةِ بأخذِ زمامِ المبادرةِ في التَّحولِ نحوَ الديمقراطيةِ، ويأتي هذا التحولِ بَعدَ صراعاتٍ ومصادماتٍ ومظاهراتٍ وإضطراباتٍ عامةٍ وقيامِ بعضِ أعمالِ العنفِ منْ جانبِ القُوى الرافِضةِ للوَضعِ القائمِ، وعلى أثرِ ذلكَ تستجيبُ الأنظمةُ السلطويةُ لواقعِ الأمرِ وتبدأُ بِمراجعةِ نَفسها وتقييمُ سِياستها الداخليةِ والخارجيةِ.[3]

---

1 .إشكالياتُ التَّحولِ الدِّيمقراطِي في مِصرَوَتداعياتُها على القَضيةِ الفِلسطيّنيةِ:

لا توجدُ دولةٌ في المنطقةِ العربيةِ مؤهلةً للعبِ دورٍ إقليميٍ مثلَ مِصرَ، وهيَ الدولةُ الوحيدةُ التي يُمكنها أنْ تلعبَ دوراً منافساً لِطرفيْ المثلثِ الإقليميِ التُركي الإيراني وتعارضُ أيضاً مشروعَ الاحتلالِ الإسرائيلي، وَلسْنا هنا للخوضِ في التَّفاصيلِ حولَ الأسبابِ التي تؤهلُ مِصرُ لِلعبِ هذا الدورِ، لأنَ هذهِ الأسبابِ منْ كلاسيكياتِ العلاقاتِ الدَّوليةِ التي يَعرفها كلُ متابعٍ للسياسةِ، لكننا نشيرُ سريعاً إلى الموقعِ الجغرافي القَريبِ منْ فِلسطينَ وما يمثلهُ منْ أهميةٍ دوليةٍ نظراً لأهميةِ الصراعِ العربي الإسرائيلي في المعادلةِ الدوليةِ، إضافةً إلى مَوقعها الوسيطِ بينَ آسيا وأفريقيا وشواطئها على البَحرِ الأحمرِ والبَحرِ الأبيَضِ المُتوسِّط، والذي يَطلُ أيضاً على الدُّولِ الأوروبيةِ، علاوةً على أنَ لديها عَدداً كبيراً منْ السُّكانِ، وهوَ عاملٌ يمكنُ أنْ يمثلَ نعمةً سياسيةً وإستراتيجيةَ لكلِ بلدٍ إذا كانَ يتعاملُ معها بشكلٍ جَيد.

على الرغمِ منْ هذهِ المؤهلاتِ الجيوستراتيجيةِ، فَقدتْ مصرُ الكثيرَ منْ نفوذها الإقليميِ في العقودِ الأخيرةِ وانسحبتْ منْ أداءِ دورٍ رئيسيٍ في ملفاتِ الشرقِ الأوسطِ منْ ناحيةٍ، وأفريقيا منْ ناحيةٍ أُخرى.

ويُمكنُ القولُ إنَ العلاقاتِ الفِلسطينيةَ المِصريةَ قدْ مرتْ بنقطةٍ حساسةٍ، وحتى لوْ عادتْ مصرُ لتَتوَلى مَكانَتها الوَطنيةَ في قيادةِ الأُمةِ العَربيةِ، فإنَ مفهومَ البعدِ الوطنيِ ودورِ مصرَ لنْ يكونَ كما كانَ منْ قبلٍ، اذ سَتُعطي مِصرَ الأولويةُ لأمنِها وَمصالحُها الوَطنيةِ، وهوَ ما لنْ يتحققَ بالتصادمِ معَ تلِ أبيبَ وواشِنطُن، بلْ بالاقترابِ أكثرَ مِنهُما، منْ ناحيةٍ أخرى، وَرغمُ أنَ مصرَ تَرعى ملفَ المصالحةِ الفلسطينيةِ، إلا أنَ قدرتها على تَحقيقِ ذلكَ محدودةً بسببَ تَرسيخِ واقعِ الانقسامِ وظهورِ جماعاتِ مصالحٍ راغبةً في استمرارهِ منْ جهة، ومنْ جِهةٍ أخرى لأنَ إسرائيلَ لنْ تَسمحَ بإعادةِ وحدةِ الضفةِ الغربيةِ وَقطاعِ غزةَ تحتَ سلطةٍ واحدةٍ وحكومةٍ واحدةٍ، ولا يمكنُ لمصرَ إجبارُ إسرائيلَ على تَغييرِ مَوقفها، بالإضافةِ إلى ظهورِ قوىً وَمحاورَ عَربيةٍ وإقليميةٍ تتنافَسُ معَ مِصرَ على الملفِ الفلسطينيِ وملفِ المصالحةِ.[1]

لمْ تكنْ عملياتُ التغييرِ في مصرَ، بقيادةِ قوى شبابيةٍ تَعتمدُ على وَسائلِ الاتصالِ والتكنولوجيا الحديثةِ فَوضَويةٍ أوْ عنيفةٍ، إنما حصلتْ بطرقٍ سلميةٍ وحضاريةٍ، ولمْ تكنْ مدفوعةً بقوةِ تيارِ الإسلامِ السياسيِ، بلْ يفضلُ غضبَ الشعبِ المِصريُ على نظامهِ الذي حكمه لمدةِ الثلاثةَ عقودٍ، والذي رَفعَ شعاراتٍ تتعلقُ بإرادةِ الشعبَةِ في العيشِ بدونِ طُغيانٍ وَفسادٍ أيِ الحياةِ بحريةٍ وكرامةٍ وَعدالة.[2]

هذهِ الثوراتِ الديمقراطيةِ العربيةِ المعاصرةِ جعلتْ إسرائيلُ أكثرَ قلقاً منْ احتمالاتِ دَمقرطَةِ العالمِ العَربي، كما أنَ إتساعِ قاعدةِ الدِّيمقراطيةِ العَربيةِ سيفقدُ إسرائيلَ شِعارَ أنها الديمقراطيةُ الوحيدةُ في الشرقِ الأوسطِ[3] ، واللافتَ أنهُ بدأتْ تترددُ بينَ أركانِ الحكمِ في إسرائيلَ فكرةً أنَ حركةَ الاحتجاجِ قدْ تجرِ مصرُ الديمقراطيةُ شبيهةً بإيران، حتى إنَ رئيسَ الوزراءِ نتنياهو طرحُ سيناريوهاتٍ عدة أوَلها: قيامُ نظامٍ يتوجهُ نحوَ إيران، وثانيها : استيلاءٌ الإسلاميينَ على السلطةِ، وثالثها : تطبيقُ إصلاحاتٍ علمانيةٍ، وإنَ ظل على تشديدهِ في وجوبِ الاحتفاظِ بالسلامِ معَ مصرَ، وجلبِ الهدوءِ إلى جنوبِ البلادِ[4].
أما شِمعونْ بيريزْ رئيسُ إسرائيلَ وفي لقاءٍ معَ المستشارةِ ميركلْ فقد أبدى تَخوفهُ مِنَ الديمقراطيةِ في مصرَ، مذكراً بالتجربةِ المريرةِ لانتصارِ حماسَ في الانتخاباتِ الديمقراطيةِ في يناير 6002 م، وقالَ بيريزْ : " الديمقراطيةُ الحقيقيةُ تبدأُ تحديداً في اليومِ التالي للإنتخاباتِ، بمنحِ حُقوقِ الإنسانِ والاهتمامِ بِرفاهيةِ المواطنينَ، وإذا نجحَ في الانتخاباتِ عُنصرٌ دينيٌ متطرفٌ وخطيرٌ وارتقى إلى السلطةِ فما قيمةُ الانتخاباتِ؟ [5].
بلغَ العداءُ الإسرائيليُ والخوفُ منْ إقامةِ نظامٍ ديمقراطيٍ في مصرَ وصلَ إلى أبعادٍ تحدثَ بها الصحفيُ والكاتبُ الإسرائيليُ عُوفَرْ شيلحْ، الذي تناولَ الموضوعَ في مقالٍ بعنوانِ " الديمقراطيةِ ليستْ للعربِ"، اذ أضافَ شِيلحْ :" إسرائيل تدركُ أنَ الشعوبَ العَربيةَ معاديةٌ لها وَلسياستها العِدوانيةِ تجاهَ الشعبِ الفِلسطينيِ وَباقي الشُّعوبِ العَربيةِ، فإنها تَرى أنَ الأنظمةَ الدِّيمقراطيةَ سَتُعبِّرُ عنْ مَواقفِ شُعوبِها منْ إسرائيلَ؛ وبالتَالي سَوْفَ يُؤدي ذلكَ إلى تغييرٍ في الإستراتيجيةِ والسياسةِ العربيةِ تجاهَ إسرائيلَ." [6]

---

1 .الصراعُ السياسيُ في مصرَو أثرِه على الصراعِ القلسطيني الإسر ائيليَ بعدَ الثورةِ.

قبلَ تولي حركةُ الإخوانِ المسلمينَ حكمَ مصرَ كانتْ دائماً ترفعُ شعارَ دعمِ فلسطينَ ومحاربةِ إسرائيلَ، وتحرضُ على حكامِ مصرَ لعدمَ دعمهمْ فلسطينَ، وتعاونهمْ معَ إسرائيلَ وما أنْ استلمتْ الحكمَ حتى أصبحَ هناكَ تفهمٌ للاتفاقاتِ الثائية الموقعةَ بينَ مصرَ وإسرائيلَ، وأصبحَ منْ طبائعِ الأمورِ وجودَ علاقاتٍ ثنائيةٍ بينَ البلدينِ وغابَ الدعمُ لفلسطين وسقطَ الشعارُ ووضعَ في الخزانةِ لفتراتٍ قادمةٍ، وبذلكَ تكونُ حركةُ الإخوانِ كشفتْ عنْ وجها الحقيقيَ أنَ دعمها لفلسطين ما هُوَ إلا وسيلةً لحشدِ الجماهيرِ إلى صُفوفها ومداعبةُ عواطفِ الجماهيرِ فقط، لزيادةِ شعبيتها إذ إنها لمْ تقدمْ أيَ مبادرةٍ لحلِ الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي.

تاريخياً ، كانتْ هناكَ علاقةُ ارتباطٍ بينَ القضيةِ الفلسطينيةِ والعالمِ العربي بحيثُ أنَ أيَ تحولاتٍ أوْ تغيراتٍ كبرى حدثتْ في العالمِ العربي انعكستْ بشكلٍ مباشرٍ على القضيةِ الفلسطينيةِ وفرصِ حلِ الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي، عندما تتخلفُ الحركةُ القوميةُ العربيةُ والثوريةُ تتخلفُ القضيةُ الفلسطينيةُ، وعندما يتصاعدُ الوضعُ العربيُ تصعدُ القضيةُ معها بعدَ نجاحِ ثورةِ 52 يناير، إذ سيطرَ على المشهدِ السياسيِ عددٌ كبيرٌ منْ الإسلاميينَ، وحركاتٌ وجماعاتٌ يقودها الإخوانَ، وتياراتٌ سلفيةٌ مختلفة، شكلتْ أحزاباً سياسيةً تقومُ بالعملِ الحزبيِ والسياسيِ وفقَ رؤيةِ ومرجعيةِ إسلاميةٍ ، وعلى رأسِ القائمةِ جماعةَ الإخوانِ المسلمينْ والتياراتُ السلفيةُ المختلفةُ[1].

وقدْ شابَ المرحلةَ الانتقاليةَ عدمَ التحديدِ الدقيقِ لمهامَ هذهِ المرحلةِ اللازمِ القيامِ بها، منْ جانبِ القوى الأساسيةِ الرسميةِ والمدنيةِ والشعبيةِ والإسلاميةِ ، إضافةٌ إلى تراجعِ المصالحِ العامةِ أمامَ إعلاءِ المصالحِ الخاصةِ الفئويةِ أوْ الحزبيةِ أوْ المؤسساتيةِ.[2]

ما أنْ أُزيلتْ الستارةُ عنْ حقبةِ مباركٍ واتتْ الثورةُ بأولى ثمارها منْ إنهاءِ القمعِ وتكميمِ الأفواهِ حتى دخلتْ البلادُ في موجةٍ منْ الصراعاتِ والتناكفْ السياسيَ والتخوينِ والتكفيرِ والنعراتِ السياسيةِ والتأطيرِ الحزبي الذي لمْ يدعْ مجالاً للصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي إلى الظهورِ أوْ حتى التواجدِ في الساحةِ في ظلِ تزاحمِ المصالحِ الحزبيةِ والفرديةِ .

أثبتت الثورات العربية هشاشةُ وضعفِ النِّظام في مواجهة المجتمع، فأظهرت أن الرؤساء والزعماء الذين كانوا يعتقدون أنه لا يمكن الإستغناء عنهم وأن لديهم مناعة وحصانة لا تُمَس قد وجدوا أنفسهم فجأةً معزولينَ وعاجزينَ وبدونِ قوةٍ، وظهرت الشعوب كأنها (الحصان الأسود)[1].

بعدَ عشرةِ سنواتٍ منْ اندلاعِ ثوراتِ الربيعِ العربي يظهرُ الشرقُ الأوسطُ اليومَ في وضعٍ شديدِ البؤسِ إذ فشلتْ تجاربِ التحولِ الديمقراطيِ جميعُها، وتحولت إما إلى مزيجٍ منْ حروبٍ أهليةٍ وإقليميةٍ كما هوَ الحالُ في سوريا واليمنِ وليبيا ، أوْ صعودِ أنظمةٍ ديكتاتوريةٍ لا تقلُ في تسلطها ولا انتهاكها لحقوقِ الإنسانِ عنْ الأنظمةِ السابقةِ كما في حالةِ مصرَ، وما ارتبطَ بذلكَ منْ غيابِ الاستقرارِ وصعودٍ للتنظيماتِ الإرهابيةِ ، وزيادةٌ غيرُ مسبوقةٍ في أعدادِ الهجرةِ، وتراجعَ فرصِ التنميةِ والتمكينِ الاقتصاديِ. وقدْ انعكسَ هذا بالتأكيدِ في شكلِ إعادةِ تقييمِ المواقفِ والآراءِ حولَ الربيعِ وثورةِ 52 يناير، في شكلينِ متميزينَ : يتمَ إعادةَ صياغةِ المواقفِ اليومِ فيما يتعلقُ بالربيعِ العربي : الموقفُ الأولُ يذكرنا بالكتاباتِ التقليديةِ ، ويمثلهُ الذينَ يرونَ الشرقُ الأوسطُ على أنهُ غيرُ ديمقراطيٍ لأسبابٍ ثقافيةٍ ودينيةٍ ، ويرونَ وجودَ نظامٍ استبداديٍ كضمانِ المزيدَ منْ استقرارِ المنطقةِ ، ومصالحُ القوى الغربيةِ ووضعِ الأقلياتِ الدينيةِ ، وفي الموقفِ الثاني ،ويمثلهُ الذين يرونَ انحيازاً ديمقراطياً واضحاً، يتجاوزُ الخطابَ التقليدي حولَ الشرقِ الأوسطِ ويبحثُ في أسبابِ فشلِ التَّحوُلِ الديمقراطيِ في مِصرَ والشرقِ الأوسطِ .[2]

إنَّ السياساتِ الخارجيةِ التي اتبعتها الأنظمةُ التي حكمتْ مصرُ منذُ العهدِ الملكي، مروراً بحقبةِ جمالْ عبدِ الناصرْ ومحمدْ أنورْ الساداتْ وحسني مباركٍ ، وانتهاءُ بعهدِ محمدْ مرسي ، حيثُ استخدمَت الحكمُ الملكيُ والجُمهوري واعتبرتْ أنَ القضيةَ الفلسطينيةَ قضيةً عقائديةً وإسلاميةً سعياً منها لإحياءِ الخلافةِ الإسلاميةِ في العالمِ الإسلامي.[3]

وبعدَ قيامِ الثورةِ المصريةِ عامَ 1102 كانتْ الأولوياتُ المصريةُ الداخليةُ هيَ الأبرزُ، إذْ غابتْ القضيةُ الفلسطينيةُ إلى حدٍ كبيرٍ عنْ الشعاراتِ التي تمَ ترديدها في الشوارعِ المصريةِ وبعد أنْ استلمَ المجلسُ العسكريُ الحكمُ المصريُ في المرحلةِ الانتقاليةِ؛ التزمتْ مصرُ بمعاهدةِ السلامِ معَ إسرائيلَ، وامتنعتْ عنْ اتخاذِ أيِ مواقفَ ضدَ إسرائيلَ؛ حفاظا على المصالحِ الاقتصاديةِ والتنمويةِ الداخليةِ تخوفا منْ انقطاعِ المعوناتِ المقدمةِ منْ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ، ولمْ يتمكنْ منظمو مظاهراتٍ خرجتْ في الأشهرِ التاليةِ للثورةِ تضامنا معَ فلسطينَ وقطاعِ غزةَ، منْ استقطابِ القوى السياسيةِ الكبيرةِ، ولمْ يتجاوزْ عددُ المشاركينَ في تلكَ المظاهراتِ المئاتُ، أوْ الآلافِ في أحسنِ تقديرٍ، وذلكَ لانشغالِ المصرينَ بشؤونهمْ الداخليةِ، أما المطالبةُ بوقفِ تصديرِ الغازِ المصريِ إلى إسرائيلَ، فقدْ بررتْ بالدرجةِ الأولى بسببِ السعرِ القليلِ الذي تدفعهُ إسرائيلُ مقابلَ الغازِ المصريِ، وباعتباراتٍ مصريةٍ وطنيةٍ.[4]

بعدُ أنْ استلمَ الإخوانَ المسلمونَ الحكمَ المصريَ عامَ 2102 ، أصبحَ اهتمامهمْ بالقضيةِ الفلسطينيةِ مرتبطاً بحساباتِ مصلحةِ مصرَ الوطنيةِ واعتباراتُ العاملِ الجيوسياسيِ والأمنِ القوميِ المصريِ، وبموازينَ القوةِ والربحِ والخسارةِ، بعدُ أنْ كانَ الخطابُ الأيديولوجيُ هوَ الأبرزُ في مواقفَ الإخوانِ المسلمينَ بشأنَ القضيةِ الفلسطينيةِ سابقةً؛ وبالتالي فإنَ موقفَ الإخوانِ المسلمينَ منْ معاهدةِ السلامِ أصبحَ يتصفُ بالتردِدِ خوفا منْ خسارةِ المجتمعِ الدوليِ وتحديداً الدعمَ الماليَ الذي تحصلُ عليهِ مِصرُ منْ الولاياتِ المتحدةِ الأمريكيةِ، وبالرغمِ منْ وجودِ مراحلَ قامتْ فيها الجماعةُ بالتهديدِ بإلغاءِ معاهدةِ السلامِ معَ إسرائيلَ أوْ إعادةِ صياغتها، إلا أنَّ ذلكَ كانَ بالدرجةِ الأولى لاعتباراتٍ مصريةٍ وطنيةٍ.[5]

شاركتْ مصرُ أثناءَ حكمِ جماعةِ الإخوانِ المسلمينْ في لعبِ دورِ الوساطةِ في ملفاتٍ عدَّة تتعلقُ بالشأنِ الفلسطيني كملفِ المصالحةِ الفلسطينيةِ، ووقفَ العدوانِ الإسرائيلي على غزةَ وذلكَ بالتوسطِ بينَ الطرفِ الإسرائيلي والفلسطينيينَ، فانتقلَ

الإخوانَ المسلمينَ بذلكَ منْ حركةٍ سياسيةٍ في صفوفِ المعارضةِ تهاجمُ الاحتلالَ الإسرائيليَ، إلى قوةٍ تقودُ النظامَ السياسيَ تَقومُ بالوساطةِ بينَ الخصمينِ الفلسطينيِ والإسرائيلي.[6]

إنحدرتْ القضيةُ الفلسطينيةُ كقضيةٍ عربيةٍ مركزيةٍ أوْ ما يسمى بالبعدِ الوطنيِ وَتدهورتْ في مواجهةِ ما يسمى بالربيعِ العربي، لا سيما في الساحةِ المصريةِ، وتركتْ تداعياتٌ خطيرةٌ على القضيةِ الفلسطينيةِ. إذ كانتْ بعضُ مراكزِ القوى في مصرَ تحاولُ قطعَ الصلةِ التاريخيةِ والمصيريةِ والاستراتيجيةِ والنفسيةِ بينَ فلسطينَ والشعبِ المصري، وكانتْ هناكَ حالةٌ منْ القلقِ لأنَ القضيةَ الفلسطينيةَ لمْ تكنْ على أجندةِ الثورةِ وحيثُ اتخذتُ الثورةُ بعداً وطنياً لمْ يرفعْ المتظاهرونَ أوْ الثوارُ فيهِ شعاراتٍ كبرى مثلِ تحريرِ فلسطينَ أوْ الوحدةِ العربيةِ أوْ القضاءِ على إسرائيلَ وأمريكا. وعندما بدأتْ الثورةُ في مصرَ، لمْ يهتفْ حتى بشعارٍ واحدٍ ضدَ واشنطن وإسرائيلَ أوْ يتمُّ حرقُ العلمينِ الإسرائيلي والأمريكي كما كانَ الحالُ في الثوراتِ والانقلاباتِ العربيةِ السابقةِ.[1]

وعلى الرغمِ منْ اختلافِ مواقفِ الفلسطينيينَ منْ ثوراتِ الربيعِ العربي، وجدَ الفلسطينيونَ ذريعةً لكلِ ما سبقَ على أساس أنَ هناكَ أولوياتٌ للثوارِ الأوائل - قبلُ الكشفِ عنْ أبعادِ ما كانَ يجري وكانتْ أولوياتهمْ هيَ : تغييرُ النظامِ القائمِ، وبناءُ الدولةِ والمجتمعِ، ومنْ ثمَ معالجةُ القضيةِ المركزيةِ للأمةِ العربيةِ ، حتى إعلانِ اعترافِ رئيسِ الإخوانِ مرسي بالاتفاقياتِ الموقعةِ معَ إسرائيلَ ورسالتهِ الشهيرةِ لشمعونْ بيريز، إذ رأى الفلسطينيونَ أنَ مِصرَ تمرُ بمرحلةٍ انتقاليةٍ، سيدفعُ الفلسطينيونَ فيها الثمنَ أولاً، ولكنْ بعدَ ذلكَ ستعودُ مصرُ إلى أصالتها العربيةِ وتعيدُ ترتيبَ أولوياتها لمعالجةِ القضيةِ الفلسطينيةِ ، ليسَ فقطْ للدفاعِ عنْ الشعبِ الفلسطيني، ولكنْ منْ أجلِ الدفاعِ عنْ مَصالحَ القوميةِ المصريةِ المهددةِ منْ الكيانِ الصهيوني.[2]

كانَ واضحاً منذُ بدايةِ الأحداثِ أنَ أيَ تغييراتٍ في مصرَ سيكونُ لها تداعياتٌ على القضيةِ الفلسطينيةِ، وانعكاساتٌ على العواملِ الاجتماعيةِ والسياسيةِ التي ستواجهُ عمليةَ التغييرِ. ونحنُ نراهنُ وما زلنا نراهنُ على أنَ الأيديولوجيةَ القوميةَ العربيةَ والمواقفَ المعاديةَ لإسرائيل متجذرةٍ بعمقٍ في الوعيِ الجمعيِ المصري بلا شكٍ، لكنها ليستْ ضمنَ أولوياتِ الجماهيرِ الذينَ قدْ يكونُ لديهمْ مطالبُ ذاتُ طابعٍ وطنيٍّ، وبالتالي تحولَ في الرأيِ العامِ تظهرُ سماتِ الرأيِ معَ مرورِ الوقتِ وهذا يذكرنا بـ (ثورةٌ) يوليو 2591 التي كانتْ في بداياتها ثورةً وطنيةً بحتةً، وكانَ هذا واضحاً في مبادئِ الثورةِ، وبعدُ ذلكَ كانَ لها تَوجهاتٌ قوميةٌ وتحرريةٌ ثوريةٌ .[3]

وبشكلٍ عام، لمْ ينضمْ الإخوانَ للثورةِ أوْ مطالبها، ولمْ يتمكنوا منْ ترويضِ الثورةِ المضادةِ، فانقضتْ عليهمْ في 03 يونيو الثورةَ والثورةَ المضادةَ في حركةٍ مشتركةٍ لمْ تعنِ فقطْ هزيمةَ الإخوانِ المسلمينَ كَمُنظَّمة، بل أدتْ إلى انهيارَ مشروعِ الإسلامِ السياسي كَكلٍ في حكمِ مِصرَ، وما تلاهُ منْ سنواتٍ شهدتْ تراجعاً ملحوظاً في وجودِ الإسلامِ السياسي في الشارعِ المصريِ وشعبيةً وتأثيراً.[4]

دَخلتْ مصرُ في عامِ 3102 في دوامةِ السياسةِ الخارجيةِ القائمةِ على الصراعاتِ الداخليةِ، بلْ تطورُ الصراعِ بينَ النظامِ والإخوانِ المسلمينَ لتحديدِ كلِ العلاقاتِ والسياساتِ الخارجيةِ لمصر، مما أضعفَ دورُ مصرَ الإقليميِ واستراتيجيتها الخارجيةِ. لا تتغيرُ علاقاتِ الدولِ بسهولةِ معَ وصولِ رئيسٍ جديدٍ ينتمي إلى أيديولوجيةٍ مختلفةٍ، حتى لوْ كانَ التغييرُ بسببِ الثورةِ، لأنَ هناكَ مَصالحَ وطنيةً ثابتةً للدولةِ لا يمكنُ للرئيسِ الجديدِ تَغييرها بسهولةٍ، خاصةً عندما يكونُ هناكَ إرتباكٌ حولَ ما إذا كنا نواجهُ ثورةً شعبيةً واسعةَ النطاقِ أوْ وضعاً غامضاً بينَ الثورةِ والمخططاتِ الخارجيةِ.[5]

وأدى حُكم الإخوان إلى إدارة الدولة بشكلٍ فاشل وصنفت الدولة أبانَ حكمها بالدولة الفاشلة التي تفقد فيها الحكومة المركزية احتكارها لحق استخدام العنف المشروع في إقليمها والذي هو من الوظائف الرئيسية للدولة وبدونه لا يمكن تحقيق وظائف الدولة الأخرى، وهي الحالة التي تضحى فيها الدولة عاجزة عن أداء وظائفها، نتيجة انهيار أو تفكك هياكل الدولة وفقدها شرعيتها مع إنهيار القانون والنظام السياسي بأكمله.[6]

تتأثرَ السياسةُ الخارجيةُ لكلِ دولةٍ بلا شكٍ بالعواملِ الداخليةِ، وتلعبَ المنافسةُ الحزبيةُ والانتخابيةُ أحيانا دورا في تشكيلِ السياسةِ الخارجيةِ حتى في الدولِ الديمقراطيةِ، لكنَ هذهِ العواملِ الداخليةِ تظلُ عنصراً هامشياً في كثيرٍ منْ الحالاتِ، وحتى السياسةِ الخارجيةِ المتعلقةِ بالأمنِ القوميِ في هذهِ البلدانِ تكونُ سياسةً لا علاقةً لها بالصراعاتِ الحزبيةِ، وعادةً ما يؤدي تضخيمُ تأثيرِ النزاعاتِ الداخليةِ على السياسةِ الخارجيةِ إلى إضعافِ الدولِ ودورها الإقليميِ أوْ الدوليِ.[7]

ولا شكَّ أنَ تجربةَ صعودِ جماعةِ الإخوانِ المسلمينَ وسقوطِها قدْ أدى إلى تداعياتٍ سلبيةٍ على تعاملِ مصرَ معَ حركةِ حماسَ، إذ كانَ هناكَ اتهاماتٌ مختلفةٌ وجهتْ إلى الحركةِ بالعملِ على الأراضي المصريةِ وتهريبِ أسلحةِ واقتحامِ السجونِ وغيرها، وقد ترتبَ على ذلكَ صدورُ قرارٍ منْ محكمةِ الأمورِ المستعجلةِ المصريةِ بحظرِ حركةِ حماسَ وأنشطتها على الأراضي المصريةِ وذلكَ في مارسَ 4102.

سادَ مِصرَ في السنواتِ الأخيرةِ التي سبقتْ الثورةُ فراغٌ سلبيٌ كبيرٌ في شتَّى مناحي الحياةِ ، كانتْ تفوحُ منها رائحةَ اليأسِ والعجزِ، وكانتْ الظروفُ المحيطةُ بمصر منْ خارجها وداخلها تتنبأ بنشوبِ ثورةٍ وبعدُ الثورةِ وبالرغمِ منْ الانتقالِ إلى التعدديةِ الحزبيةِ المقيدةِ ، فإنها لمْ تشهدْ تحولاً ديمقراطياً حَقيقياً؛ بلْ انتقلتْ إلى هامشٍ منْ الديمقراطيةِ يتسعُ ويضيقُ حسبَ إرادةِ السلطةِ الحاكمةِ، وفي هذا الصددِ سوفَ نتحدثُ عنْ سعيِ القوى الثوريةِ إلى تغييرِ النظامِ السياسيِ على أملٍ منها بإقامةِ دَولةٍ مَدنية .

وعلى الرغمِ منْ أنَ الإخوانَ المسلمينَ، وفقا لرؤيتهمْ الدينيةِ، لمْ يكونوا بحاجةٍ إلى الوصولِ إلى السلطةِ لتحقيقِ الإصلاحاتِ السياسيةِ بأنفسهمْ، فقدْ حاولوا تغييرُ الإطارِ الدستوريِ بما يتماشى معَ رؤيتهمْ وشاركوا في العمليةِ السياسيةِ التي مكنتهمْ منْ الوصولِ إلى السلطةِ قبلَ أنْ يحققوا الأسلمةُ التدريجيةُ للمجتمعِ والضروريةِ لإصلاحِ النظامِ السياسيِ كما تتصورُ الجماعةُ. كما قدمَ الإخوانُ رؤيةً عامةً للمجتمعِ تسعى إلى خلقِ إطارٍ عامٍ للدَّولةِ التي تتطلعُ إلى إقامتها وتحديد معالمها وَوضعُ محدداتِ النظامِ السياسيِ الذي يمكنُ أنْ تعملَ فيهِ، مما يؤدي إلى حالةٍ منْ القلقِ تثيرُ احتمالَ أنْ تفرضَ الجماعةُ رؤيتها الفكريةَ على المجتمعِ المصريِ بأسرهِ في حالةِ الحكمِ.

منذُ نشأتها، رَفضتْ الجماعةُ المنهجيةَ السياسيةَ القائمةَ على النمطِ الغربيِ للدولةِ الوطنيةِ القوميةِ على أساسٍ أنَ هذهِ المنهجيةِ تتجاهلُ الحضارةُ الإسلاميةُ والتاريخُ والانتماءاتُ الدينيةُ والهويةُ الثقافيةُ والوطنيةُ؛ مما يعيقُ النهضةَ والاستقلالَ.[8]

إنَ النهجَ المتبعَ في تغييرِ السياسةِ الخارجيةِ لِمصر خلالَ فترةِ محمدْ مرسي القصيرةَ لمْ يتطرقْ عمليا إلى الجوانبِ الإستراتيجيةِ للحكمِ. إذ كانتْ مشكلةُ الشرقِ الأوسطِ وآثارِ انتصارِ مرسى على القضيةِ الفلسطينيةِ شبهِ استراتيجيةٍ ، لكنْ كانَ لها تأثيرٌ كبيرٌ في تعزيزِ سلطةِ حركةِ حماسَ في غزةَ، وجاءَ إنجازُها في فتحِ معبرِ رفحْ ولكنْ اختلفتْ طريقةُ التعاملِ معَ السلطةِ الفلسطينيةِ والرئيسِ أبو مازنَ خلالَ فَترةِ وِلايتهِ.[9]

ما حدثَ في مِصرَ بعدَ 03 يونيو 3102 وانتهاءُ حكمِ الإخوانِ المسلمينَ ليسَ مجردَ حركةِ شعبيةٍ عاديةٍ أوْ تمردٍ على الرئيسِ مرسي أوْ انقلابٍ عسكريٍ، ومهما سُمِّيَ فقدْ حدثَ إعادةَ خلطِ للأوارقْ في مِصرَ والبلادِ والمنطقةِ، وتركتْ أيضاً تداعياتٍ على القضيةِ الفلسطينيةِ، لا سيما أنَ حركةَ حماسَ استمرتْ في تأكيدِ علاقاتها معَ جماعةِ الإخوانِ المسلمينْ في مصرَ، رغمَ أنَ الأخيرةَ تحولتْ إلى حركةٍ معاديةٍ للنظامِ القائمِ في مصرَ؛ مما أدى إلى إعادةِ التَوتُّرِ في العلاقةِ بينَ مصرَ وسلطةِ حماسَ في قطاعِ غزةَ وتشديدِ الحصارِ على قطاعِ غزةَ معَ انفراجةٍ في العلاقةِ معَ السلطةِ الفلسطينيةِ والرئيسِ محمود عباس[10].

أما النتيجةُ الأخطرُ فهيَ الطريقةُ التي تعاملتْ بها وسائلُ الإعلامِ المصريةِ معَ الملفِ الفلسطينيِ، وإعادةُ تشكيلِ وعيِ الجماهيرِ المصريةِ المحبةِ لفلسطين وقضيتها العادلةِ بقولهم إنَّ الفلسطينيينَ لا يستحقونَ الوقوفُ والدعمُ المصريُ إلى جانبهمْ، ولا داعي لمصر لإعادةِ النظرِ في اتفاقياتِ كامبْ ديفيدْ لإرضاءِ الفلسطينيينَ أوْ الدخولِ في المواجهةِ معَ إسرائيلَ منْ أجلِ الفلسطينيينَ والحديثُ المكررُ أنَ مصرَ قدمتْ مائةَ ألفِ شهيدٍ دفاعاً عنْ الفلسطينيينَ لإحداثِ شرخٍ بينَ الشعبينِ المصريِ والفلسطينيِ.

ومنْ خلالِ تحويلِ مؤشرِ العداءِ منْ إسرائيلَ للفلسطينيينَ، العداءُ الذي بدأَ يتوغلُ في الشعبِ المصريِ نفسهِ، وينعكسُ في سلوكهمْ تجاهَ الفلسطينيينَ، سيؤدي هذا التحولِ إلى أنْ يفقدَ الفلسطينيونَ أهمَ دولةٍ وشعبٍ يمكنُ أنْ تؤثرَ على مواقفِ الشعوبِ والدولِ الأخرى، مما يمثلُ انتصاراً كبيراً لإسرائيل ودافعاً قوياً للانفرادِ بالفلسطينيينَ، واستكمالَ مشروعِها الاستيطاني

والتهويدِ في الضفةِ الغربيةِ والقدسِ ، واستكمالاً لمشروعِ الإخوانِ بتشكيلِ مشروعٍ دويلةٍ في غزةَ.
فاستمرارُ تأكيدِ حماسَ على انتمائها لجماعةِ الإخوانِ المسلمينَ واستمرارَ حالةِ العداءِ بينَ الإخوانِ والدولةِ المصريةِ معَ حالةِ العنفِ والإرهابِ في سيناءَ، أحدُ أهمِ مصادرِ التوتُّرِ بينَ مصرَ وحركةِ حماسَ في قطاعِ غزةَ وأهلِ غزةَ هُم الذينَ سيدفعونَ الثَّمنَ.
تسارعتْ الأحداثُ في مصرَ بعدَ الثورةِ ونتجَ عنها تغييرُ النظامِ الحاكمِ وتغيراتٌ سياسيةٌ كانَ لها الأثرُ الكبيرُ في مرحلةِ ما بعدَ الثورةِ إذْ كانتْ الجهودِ كُلها تتركزُ على الشأنِ الداخلي وتسعى لتنظيمِ مجرياتِ العملِ السياسي في مصرَ، وغابَ في تلكَ الفترةِ الصراعُ الفلسطينيُ الإسرائيليُ في ظلِ الصراعاتِ الحزبيةِ ذاتِ الطابعِ السياسي التي كانتْ أبرزَ معالمَ هذهِ المرحلةِ واستمرتْ بمراحلَ قادمةٍ أخرى، ومعَ غيابِ ملفِ الصراعِ نتيجةً التجذباتْ والتجيشْ الحزبيَ والطائفي الذي كانتْ تقودهُ حركةُ الإخوانِ المسلمينَ غابَ الصراعُ الفلسطينيُ الإسرائيليُ، ولكنَّهُ لمْ ينسى بلْ تمَ إيداعهُ لمرحلةٍ مستقرةٍ آتية.

لا تلامُ مصرُ في هذهِ المرحلةِ بسببِ غيابِ الصراعُ الفسطيني الإسرائيليَ منْ جدولِ أولوياتها، لأنها في مرحلةِ تكوينِ ما بعدَ الثورةِ، ويمكنُ اعتبارُ عدمِ الاستقرارِ، وعدمِ وضوحِ المستقبلِ السياسي لمصرَ مبرراً مقبولاً لأكبرِ دولةٍ عربيةٍ وأكثرِ دولةٍ محوريةٍ في المنطقةِ لقلةِ اهتمامها بالقضيةِ الفلسطينيةِ، وبالتالي قلةُ فاعليتها في إيجادِ فرصِ الحلِ للصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي.

وللتَّعمُيق بالفهمِ سوفَ نَتطرَّقُ إلى تقسيمِ هذا الفصلِ إلى مبحثينِ أولهُما متغيراتُ السياسيةُ الداخليةُ وانعكاستها على الصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي والثاني التدعياتْ الإقليميةُ والدوليةُ على السياسةِ الخارجيةِ المصريةِ وأثرُها على الصِّراعِ الفلسطينيِّ الإسرائيلي.

مثلتْ ثورةَ 52 يناير فرصةً تاريخيةً لإحداثِ تحولٍ على مسارِ العلاقةِ المصريةِ الإسرائيليةِ وإعادةُ صياغتها على أسسٍ جديدةٍ فقدْ منحتْ الثورةُ الرأيَ العامَ المصريَ الفرصةَ للتأثيرِ في دوائرِ الحكمِ واتجاهاتِ عمليةِ صنعِ القرارِ بعدَ الثورةِ، وسمحتْ مظاهرُ التحولِ الديمقراطي التي عاشتها مصرُ بعدَ الثورةِ للأحزابِ والحركاتِ السياسيةِ والقوى الشبابيةِ المصريةِ التي تتبنى مواقفَ رافضةً للعلاقةِ معَ إسرائيلَ بالتعبيرِ عنْ مواقفها المطالبةِ بإعادةِ النظرِ في اتفاقيةِ (كامب ديفيد) وفرضِ مبادراتٍ لحلٍ عادلٍ للصراعِ الفلسطيني الإسرائيلي.

ومعَ ذلكَ لمْ يغبَ على أيِ سياسيٍ محنكٍ ومخضرمٍ أنَ هذهِ الثورةِ لنْ تحدثَ فرقاً جوهرياً في طبيعةِ العلاقاتِ المصريةِ الإسرائيليةِ، وإنما كانَ منْ المتوقعِ الحفاظُ على التوازنِ في العلاقاتِ واستمرارها، وذلكَ نتيجةُ بقاءِ التحالفاتِ الدوليةِ المساندةِ لإسرائيل لاعباً أساسياً في التأثيرِ على مخرجاتِ الثورةِ، وبذلكَ فإنَّ تغييرَ القادةِ السياسيينَ لمْ يتوقعْ منهُ تغييرٌ في نهجِ العلاقةِ، أوْ التخلي عنْ دورِ الوسيطِ في عمليةِ السلامِ.

وخلالَ حكمِ الرئيسِ الحالي لمصرّ عبدَ الفتاحْ السيسي، استطاعتَ مصرُ إعادةِ مكانتها الدوليةِ والاقليمة وتواجدتْ في المحافلِ الدوليةِ كلها على أساسِ الوسيطِ الفعالِ لفرصِ حلِّ الصراعِ الفلسطيني الإسرائيلي، ناهيكَ عنْ تحسنٍ في الأوضاعِ الاقتصاديةِ المصريةِ، وتعزيزِ الجبهةِ الداخليةِ والوصولِ إلى الاستقرارِ الداخلي، وهذا بدورهِ يعززُ مصرَ إقليماً ودولياً ويعززُ فاعليتها في حلِّ الصراعِ الفلسطيني الإسرائيلي وإعادةُ مصرَ موقفها الداعيَ لضرورةِ ايجادِ حلٍ عادلٍ وشاملٍ للصراعِ الفلسطيني الإسرائيلي على أساسِ قراراتِ الشرعيةِ الدوليةِ وإنهاءُ الاحتلالِ فمصرُ قويةٌ وهيَ داعمةٌ وحاضنةٌ للمشروعِ الوطني الفلسطيني.

لا شك أنَ الفلسطينيينَ همْ أصحابُ المبادرةِ، وهمْ أولُ منْ يدفعُ ثمنَ هذهِ الخياراتِ، ولكنهمْ عندما يختارونَ المقاومةُ المسلحةُ أوْ يذهبونَ إلى التفاوضِ، فإنَ الجزءَ الأكبرَ منْ هذا الخيارِ يكونُ مستنداً على التحولاتِ والتغيراتِ التي تطرأُ على بعضِ مكوناتِ إحدى هاتينِ الدائرتينِ سواءٌ في بعدها العربي أوْ الإسلامي.

ليسَ هناكَ منْ شكٍّ في أنَ مواقفَ القوى الكبرى، ولا سيما الغربيةِ منها لهُ التأثيرُ الأكبرُ على مجرياتِ الصراعِ الفلسطيني الإسرائيلي ولكنَ ذلكَ أيضاً لا يتمُ إلا منْ خلالِ التحكمِ والتأثيرِ في هاتينِ الدائرتينِ، فالاستفرادُ بالفلسطينيينَ والضغطِ عليهمْ لا يكونُ إلا نتيجةً حتميةً لطبيعةِ العلاقةِ التي يفرضُها الغربُ على هاتينِ الدائرتينِ.

نتائج الدراسة :

مثلتْ ثورةَ 52 يناير فرصةً تاريخيةً لإحداثِ تحولٍ على مسارِ العلاقةِ المصريةِ الإسرائيليةِ وإعادةُ صياغتها على أسسٍ جديدةٍ فقدْ منحتْ الثورةُ الرأيَ العامَ المصريَ الفرصةَ للتأثيرِ في دوائرِ الحكمِ واتجاهاتِ عمليةِ صنعِ القرارِ بعدَ الثورةِ، وسمحتْ مظاهرُ التحولِ الديمقراطيِ التي عاشتها مصرُ بعدَ الثورةِ للأحزابِ والحركاتِ السياسيةِ والقوى الشبابيةِ المصريةِ التي تتبنى مواقفَ رافضةً للعلاقةِ معَ إسرائيلَ بالتعبيرِ عنْ مواقفها المطالبةِ بإعادةِ النظرِ في اتفاقيةِ (كامب ديفيد) وفرضِ مبادراتٍ لحلٍ عادلٍ للصراعِ الفلسطينيِ الإسرائيلي.

1 .الثورة المصرية لن تحدث فرقاً جوهرياً في طبيعة العلاقات المصرية الإسرائيلية، بل حافظت على التوازن السائد في العلاقات المصرية الاسرائيلية.

2 .التحول الديمقراطي الذي عقب ثورة 52 يناير المصرية لم يكتمل وذلك نتيجة دخول الأطراف السياسية التي تشكلت بعد الثورة في خصومات وصراع على السلطة حيث أثر على إكتمال هذا التحول بطريقة سلبية.

3 .الدور الإقليمي والدولي والتحالفات الدولية لم تكن مهيئة لإحداث إختراق في طبيعة الدور المصري بعد الثورة.

4 .حكم الإخوان المسلمين لمصر بعد ثورة 52 يناير كان دون المتوقع، حيث كانت جموع الجماهير ترتقب تغييراً جوهرياً في طبيعة العلاقات المصرية الإسرائيلية ولكن المخيب للآمال كان الإستمرار في النهج السائد والحفاظ على حالة التوازن في العلاقات الثنائية.

قائمة المراجع :

- Marc Lynch (2012), The Arab Uprising: The Unfinished Revolutions of the New Middle East, (New (21) York: Public Affairs, 2012), P. 18
- **وحيد عبد المجيد** ،مصر إلى أين؟ في مفترق ثلاثة طرق، مجلة المستقبل العربي، العدد 404، أكتوبر2102.
- **علي سعيد صميخ المري**، التحول الديمقراطي في دولة قطر *4002-5991*. ،رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 6002 ،ص71.
- **د. حسنين توفيق إبراهيم**، "التطور الديمقراطي في الوطن العربي قضايا وإشكاليات"، السياسة الدولية، العدد 241، اكتوبر 0002.
- **هلال علي الدين** ،التطور الديمقراطي في مصر. قضايا ومناقشات، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، 6891 .
- **عمرو الشوبكي** ، الدستور المصري : مشاكل إجرائية وأزمة في الفحوى. من كتاب: الإصلاح الدستوري في الأوقات الانتقالية، تحرير: ألفارو دو فاسكونسيلوس وجيرالد ستانغ، ترجمة: وائل السواح، بيروت: المركز اللبناني لدراسات السياسة ومبادرة الاصلاح العربي، 4102.
- **محمد صالح شطيب**، أثر التحول الديمقراطي على الاستقرار السياسي في الدول العربية، مجلة الدراسات الإقليمية العدد(03) 3102.
- **هايل الدعجة ،ودعان** ، التحول الديمقراطي في الأردن *9891-7991*. عمان: وزارة الثقافة 5002.
- **الشمري ناظم نواف** ،إشكالية التحول الديمقراطي في البلدان العربية. المجلة السياسية والدولية2102 العدد (93).
- **محي، أحمد غالب** ،التحول الديمقراطي أسبابه شروطه مستوياته دراسة حاله العراق 4102. مجلة قضايا سياسية (73-83).
- **شطيب محمد صالح**، أثر التحول الديمقراطي على الاستقرار السياسي في الدول العربية. مجلة الدراسات الإقليمية3102 (03).
- **حمدي عبد الرحمن** ،ظاهرة التحول الديمقراطي في افريقيا : القضايا والنماذج وآفاق المستقبل ،السياسة الدولية ، عدد (311 يوليو 3991).
- **عبد الحي وليد**، إسرائيل: حيرة أمام الثورات العربية المعاصرة ، 22 مارس ،1102،مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت.
- **حماد وآخرون** ، إسرائيل والثورة المصرية . . مخاوف وأزمات مستمرة، 92 يونيو 2102، قراءة منشورة على موقع الخليج ، يمكن الاطلاع عليها من خلال الرابط التالي : (https://www.alkhaleej.ae/node/pdf/762025/pdf).
- **محمود محارب**، إسرائيل والثورة المصرية ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،12 أبريل 1102، الدوحة - قطر ،شارع الطرفة .
- Middle East Jack Goldstone, "Understanding the Revolution of 2011: Weakness and Resilience in Autocracies", Foreign Affairs, vol. 90, no. 3 May-June 2011.
- **محمد مندور**، دراسة بعنوان يناير أكثر من مجرد هزيمة، January 27, 2021.
- **سيف ابراهيم**، سياسة مصر الخارجية والقضية الفلسطينية من الحكم الملكي إلى الربيع العربي *(3102-7191)*، جامعة بير زيت ،اطروحة ماجستير.
- **جميل هلال** ،الصراع العربي - الإسرائيلي في ضوء المتغيرات العربية والإقليمية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية 3102.
- **سيف ابراهيم** ، سياسة مصر الخارجية والقضية الفلسطينية من الحكم الملكي إلى الربيع العربي *(3102-7191)* ، جامعة بير زيت ،اطروحة ماجستير.
- **جميل هلال** ،الصراع العربي - الإسرائيلي في ضوء المتغيرات العربية والإقليمية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية 3102.
- **الملواني شيرين** ، في مقال لها على موقع بوابة الاهرام يمكنك الاطلاع عليه من خلال الرابط التالي : https://gate.ahram.org.

eg/News/2718671.aspx
- **إبراهيم أبراش**، الثورات العربية في عالم متغير، منشورات دار الزمن، الرباط، 1102
-Michael Ignatieff, "Intervention and State Failure", Dissent Magazine, Winter 2002, P 118.
- **فراس ابو هلال**، لماذا تفتقر مصر لدورها الاقليمي ؟، 22.يناير .0202 ، مقال منشور على موقع عربي 12.
- **رفيق حبيب**، الدولتان: الإسلاميون والدولة القومية، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2102.
- **ابراهيم ابراش** ، العلاقات الفلسطينية – المصرية تغير المنطلقات، وتعدد الأطراف الفاعلة ، دراسة منشورة على موقع https:// www.prc.ps